وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى \ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

شِــعرُ أَبــي نُواس
دِراسَةٌ تداوِلِيّة

أطروحة مُقَدمَة إلى

كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة دَيالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية \ أدب

من قبل

حُسَين عمران مُحَمَّد

بإشراف

أ. م. د. عَليّ مِتعب جَاسِم

جمادى الاخرة ١٤٣٦هـ **نيسان ٢٠١٥م**

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

المُقدِّمة----------١ - ٤

التمهيد : قراءة في المعالجات التداوليّة ----------٥- ٤٢

- الخطاب الشعري العربي مثالاً -

الفصل الأوّل : القَصديّة ٤٣ - ١٦٣

المبحث الأوّل : قصديّة المتكلم ----------٤٤ - ٥٤

المبحث الثاني : استراتيجيات القصد ومستوياته اللغوية---------- ٥٥ - ٨٤

المبحث الثالث : القصديّة والافتراض المسبق---------- ٨٥ - ١٠٦

المبحث الرابع : القصديّة والسِّياق ---------- ١٠٧- ١٢١

المبحث الخامس : الاشاريات والمقاصد---------- ١٢٢-١٣٦

الفصل الثاني : الأفعال الكلاميّة ١٣٧- ٢٣٣

المبحث الأوّل : الأفعال الكلاميّة وفق تصنيف أوستين وسيرل---- ١٣٨- ١٥٩

المبحث الثاني : قوة الأفعال الإنجازية وضعفها---------- ١٦٠- ١٨٢

المبحث الثالث : الحدث الكلاميّ---------- ١٨٣- ٢٠٥

المبحث الرابع : الفعل التأثيري---------- ٢٠٦- ٢٣٣

الفصل الثالث : الإستلزام التخاطبي ٢٣٤- ٣٠٠

المبحث الأوّل : مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه ---------- ٢٣٥- ٢٤٧

المبحث الثاني : الاستلزام التخاطبي وخرق مبادئ كرايس--------- ٢٤٨- ٢٦٢

المبحث الثالث:الاستلزام التخاطبي في الخطابين الإنشائي والمجازي—٢٦٣- ٢٨٠

المبحث الرابع : الاستلزام التخاطبي والتناص---------- ٢٨١- ٢٩٠

المبحث الخامس : الاستلزامات التخاطبية المولِّدة بالشكل اللغوي--- ٢٩١- ٣٠٠

الخاتمة ---------- ٣٠١- ٣٠٤

المصادر والمراجع---------- ٣٠٥- ٣١٦

ملحق رقم (١)---------- ٣١٧ - ٣١٩

ملخص الأطروحة باللغة الإنجليزية---------- A – F

الغلاف باللغة الإنجليزية

المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

المُـقَدِّمَـــةُ

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسّلام على أبي القاسم محمّد المصطفى الأمين ، وعلى آل بيته الطاهرين المعصومين ، وأصحابه الغُرّ المنتجبين ، وبعد....

يعد أبو نواس من كِبار الشعراء ليس على صعيد موروث الشعر العربي فحسب بل إقليميا وعالميا وغدت نتاجاته الشعرية كنزا من كنوز الأدب العالمي لشهرتها وانتشارها العريض والواسع ، وتداولها المضطرد على ألسنة الجمهور والقرّاء بمختلف طبقاتهم ، وفي كل مكان وزمان ، ومن ثم تناول النقّاد والدارسون ذلك الإبداع النواسيّ من كل صوب نفسيا وانطباعيا وبنيويا وأسلوبيا ووظائفيا وغيرها من المعالجات والقراءآت النقدية وتسعى هذه الدراسة لإضاءة شعر أبي نواس تداوليّا وهي الدراسة الإكاديمية الأوّلى في العراق والوطن العربي التي تناولت ديوانا كاملا للمقاربة التّداوليّة .

لقد تهيأ ليّ في هذه الدراسة أن أجمع بين تفعيل المنهج التّداوليّ ومفاهيمه ومحدداته المنهجية والإجرائية ، واخضاع شعر أبي نواس (- ١٩٥هـ) تحت اختبار آليات هذا المنهج وأدواته في قراءة تطبيقية تهدف الى محاورة النصوص فكان العنوان هو " **شعر أبي نواس دراسة تداوليّة** " .

إنّ الباحث اصطفى المنهج التّداوليّ في التحليل والمقاربة لسببين ، أما الأوّل ، فلما تتمتع به التّداوليّة من مزايا أهمها إيلاؤها أهمية كبرى المتكلم ومقاصده بوصفه أحد الأركان الرئيسة في العملية التخاطبية ، كما وهبت النص في سياقه المعين أو المحدد رعاية كبيرة ، وأهتمت بالمستمع أو المتلقي في عملية الإتصال والتفاعل والوصول الى قصديّة المتكلم استنادا الى السّياق والمعارف المشتركة . أما السبب الآخر ، فهو قلة الدراسات الأكاديمية المستثمرة لهذا المنهج لاسيما في المشرق العربي الى جانب شغفي بالمناهج النقدية وتشجيع أساتذتي – لاسيما الدكتور سمير الخليل والدكتور عليّ مُتّعب - للسياحة في عالم النقد ولكل ما هو قشيب من مناهج نقدية ونظريات لسانية . وقد وقع الإختيار على شعر أبي نواس لطبيعة

لغته الشعرية المتسمة بسمات لغة الطبقة الشعبية والقريبة من إسلوب الحوارات اليومية وهذا محط عناية التّداوليّة ومدار اشتغالها .

وقد عقدتُ لهذه الدراسة تمهيدا وثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة ، وكان التمهيد خاصا بالبحوت والدراسات التي عالجت الموروث الشعري في ضوء المنهج التّداوليّ ، وفيه فُصِّلت الكيفية التي دُرِس فيها المتن الشعري تنظيرا وتطبيقا .

وتناولت في الفصل الأوّل القصديّة من محاور متنوعة مستهلا الفصل بقصديّة المتكلم وأبرز استراتيجياته في التبليغ ، والمستويات اللغوية التي عبّر بوساطتها المتكلم عن قصده ، وكذلك العلاقة بين الإفتراضات المسبقة وبين المقاصد ، وأهمية السياقات في تشكيل الدلالات وتحديد المقصود من المعاني ، والإشاريات وما تشملها من محددات سياقية بأبعاده المتنوعة الشخصية، والزمانية ، والمكانية ، والإجتماعية .

ودرستُ في الفصل الثاني الأفعال الكلاميّة في شعر أبي نواس ، وقد تهيكل هذا الفصل في أربعة مباحث ، في الأوّل منه سُلط الضوء فيه على التصنيف الخماسيّ للأفعال الكلاميّة بحسب تصنيف أوستين وسيرل ، وأختص الثاني ببيان درجتي الشّدة والضعف في الفعل الشعري المنجز ، فيما أعتنى الثالث ببنية المتن النّواسيّ مُعدّا القصيدة حدثا كلاميّا شعريا ، أما الرابع فتناول الفعل التأثيري بوصفه العنصر الثالث من عناصر الفعل الكلاميّ ، وقيمة هذا الفعل في تداوليّة النص الشعريّ ومستويات تجلّياته وآليات ظهوره .

أما الفصل الثالث فكان ميدانه الإستلزام التخاطبي ، وفيه عالجتُ مدى التزام المتكلم \ الشاعر بقوانين التخاطب أو خرقه لها في العملية التخاطبية في زمن الإنتاج ، والإستلزام الناتج من الأساليب الإنشائية والتشكيلات المجازية ، والكشف عن مرجعيات التناص وآلياته والدلالات الضمنية ، وكذلك الإستلزمات المتولّدة في أنماط السيّاق ومرجعيات التأويل ، وأخيرا أبرز أشكال الإستلزامات المتولّدة بالشكل اللغوي. وجعلت الخاتمة خلاصة لأهم افكار الإطروحة ونتائجها . وسعى البحث في فصوله الى تطبيق المنهج التّداوليّ ، مستعينا بمجموعة من المصادر والمراجع منها : " آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر "للأستاذ

الدكتور محمود أحمد نحلةً ، والتداوليّات علم استعمال اللغة " لحافظ اسماعيلي علوي ، و" استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة " لعبد الهادي بن ظافر الشّهري .

ويبقى لي أن أشير إلى امرين الأوّل : أنّي اعتمدتُ طبعات مختلفة من ديوان الشاعر – موضع الدراسة – وشروحٍ متعددة ؛ وذلك للاشتغال على مساحة أوسع من النصوص الشعرية في ديوان الشاعر الأكثر مطاوعة للتحليل التداوليّ سواءً على مستوى الملف المعلوماتي أو السّياقي للنصوص ، أم على ما تترشح منها من استجابات وغايات تأثيرية ، أو ما تقدم تلك القراءآت من قضايا تخدم هذه الدراسة في محطاتها المختلفة على امتداد جسد البحث .

والآخر : أنّي جعلتُ التمهيد قراءة في الدراسات السابقة لسببين ، أما الأوّل فالرغبة في كسر الأفق التقليدي للتمهيد ، والثاني تحاشيتُ الدخول في تفصيل تاريخي عن نشأة التداوليّة واصول المصطلح العلمي ؛ لأنّ معظم الباحثين قبلي وقفوا عليها ، كما حصرتُ المداخل التوضيحية في بدايات الفصول والمباحث .

وإذا كان البحث جزءاً من المناسك الأخيرة في معبد الحياة الجامعية فلا بد من الحديث عن أمر جليل هو أن هذا البحث ما كان له أن يرى النور لولا فضل البارئ عزّ وجلّ ، وفضل مشرفي الدكتور عليّ متعب ، وقد كان لملاحظاته العلمية الأثر البالغ في انجاز هذا العمل ، فله منّي المودة الكثيرة والشكر الجزيل .

الباحث

أيلول ٢٠١٤ م

التَمهِيد

قراءة في المعالجات التداوليّة

- الخطاب الشعري العربي مثالاً -

أصبحت قراءة النصوص ولاسيّما الشعرية منها أكثر غنى وثراء منذ أن أنتجت الحداثة الغربية نظرياتها اللسانية ومناهجها النقدية ، ومن بينها التّداوليّة التي أُتُخِذَتْ منهجا للتحليل والمقاربة في العديد من الدراسات والبحوث ، وقد تنوعت المادة الخاضعة للمعالجة حقولا معرفية مختلفة منها دينية كما في رسالة الماجستير للباحثة ناغش عيدة من الجزائر الموسومة ب " اسلوب الإستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداوليّة " أو اطروحة الدكتوراه للباحث العراقي شاهر جلال عطية عام ٢٠١٢م الموسومة ب " اسلوب الأمر في صحيح مسلم في ضوء أساليب القرآن الكريم " دراسة تداوليّة موازنة ". فيما اتخذت بعض المقاربات القصص على ألسنة الحيوانات ميدانا لها لاسيما رسالة الباحثة حبّي حكيمة من الجزائر والموسومة ب " السّياق التّداوليّ في " كليلة ودمنة " لإبن المقفّع ، أو بعض المصنفات البلاغية النقدية عند الباحثة ثقبايث حامد في رسالتها الموسومة " قضايا تداوليّة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني " عام ٢٠١٢م ، وتجاوزت بعض تلك المقاربات الى حقل علم الإجتماع لاسيما رسالة الباحثة أدوينة سليم من الجزائر عام ٢٠٠٩ م والموسومة ب " فلسفة التدّاوليّات الصورية وأخلاقيات النقّاش عند يورغن هابرماس " وقد اختارت بعض المعالجات اعمالا أدبية بمختلف اجناسها سواء في المسرح كما في دراسة الباحثة ياسة ظريف في رسالتها " الوظائف التّداولية في المسرح مسرحية صاحب الجلالة لتوفيق الحكيم – نموذجا – عام ٢٠١٢م أو في الرواية كما في رسالة الباحثة زينب عبد الأمير الموسومة ب " المرأة في روايات جبرا إبراهيم جبرا " دراسة في البنية التّداوليّة السردية " .

وما دامت دراستنا تتخذ من الشعر متناً اجرائياً سنقف على الدراسات التداوليّة للخطاب الشعري مبينين اجراءآت الباحثين فيها ومن أهم البحوث الأكاديمية التي عالجت المتون الشعرية الأطروحة الموسومة ب " **تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا** " ل **شيتر رحيمة** من قسم اللغة العربية في كلية الأداب والعلوم الإنسانية جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر عام ٢٠٠٩وهي من الدراسات المثمرة في هذا المجال . وقد تناول في الفصل الأوّل الموسوم ب " عتبات التّداول في جمهرة أشعار العرب " إذ تفعّل الباحثة مفهوم الإحالة والمرجعيات وعلاقته بوحدة فصول الكتاب ، ذلك أن الرابط بين فصول

جمهرة أشعار العرب هو إحالتها على موضوع واحد هو الشعر وتفعيّل دور المؤلف في ضوء الفرضيات التي تبنتها مسبقا عن شخصية المخاطب الإجتماعية وملكاته اللغوية واستعداداته التأويلية فضلا عن العناية بالتواصل وتوظيف النصوص السابقة في انتاج نصوص جديدة ، وكشف قصدية المرسل ثم تسليط الضوء على الوظيفة الإقناعية بوصفها فعلا تأثيريا ثم كشفت الباحثة عن أربع عتبات هي الإفهامية والحوارية والتوجيهية والحجاجية لتشكل مقدمة لتعبأة المتلقي للتفاعل مع النصوص المنسجمة ومهمة العتبة الأوّلى درء سوء الفهم الذي قد يحصل بين المتخاطبين ، وقد وظفت مبادئ التعاون لكرايس لإنجاح عملية التواصل واستشهدت بنماذج من الشعر ومن القرآن الكريم لتوضيح ذلك . وأبرزت دور السياق في ترجيح دلالة على حساب أخرى . وبالنسبة للروابط والإشاريات وكذلك الإستعانة بالتمثيل للشرح من باب العناية بالسامع والتأثير في نفسيته . وقد قرأت الباحثة العتبة الإفهامية قراءة تداولية بوصفها فعلا انجازيا مضمرا، وأنصبت عنايتها في العتبة الحوارية على فكرة التفاعل أو تبادل الأدوار في الحلقة الكلامية وأهمية اللغة الموحدة والمفردات الواضحة في الإستعمال والتّداول ، بالإضافة إلى ذلك أن دعم الفكرة القائلة بأنّ النص الشعري ينتج بوصفه فعلا انتاجيا ينتج نصا شعريا جديدا بوصف الأخير فعلا تأثيريا . لقد عالجت شيتر الأمثلة الكثيرة التي ساقها أبو زيد القرشي قراءة تداوليّة وفقا لنظرية الفعل الكلامي ؛ لرغبة المؤلف في اقناع القارئ بهذا الجانب الغرائبي الذي يرتبط بقول الشعر ونستشف من نص حواري نثري أن فشل الحوار في بعض الأحيان يرجع الى تباين مقامات المتخاطبين و الأفعال الصادرة عن طرفي الحوار ، كما أفصحت عن آليات نمو الحوار ومنها الإستفسار وظائف اللغة التي تحددها السياق وتحدد مقاصد المتكلمين أيضا.

في العتبة التوجيهية : رصدت الباحثة استراتيجيات بناء قصدية المتكلم بما يناسب المقام وكيفية اسهام العلاقة بين الطرفين في الكشف عن مقصدية الخطاب ومن أنماط العلاقات تلك السلطة بأنواعها الدينية ومن خلالها قاربت قصيدة كعب بن زهير تداوليّا وفق محور متتالية الأفعال الكلاميّة والإعتماد على السلم التوجيهي في توجيه المخاطب وارتباطها بالسياق . أما في العتبة الحجاجية فقد أظهرت الباحثة في معالجتها أن مؤلف الجمهرة

مارس عملا حجاجيا ضمنيا من خلال تركيز أبي زيد القرشي على موقف الرسول – ص وآله- المؤيد للشعر واغفاله الموقف المناوئ وهذا الفعل في ذاته عمل حجاجي . ومن سبيل النصوص المتناولة كشفت الباحثة الآليات الحجاجية وفق ما يأتي :

١-الحجاج والتعريف ، وعدّت تعريف الرسول – ص وآله - للشعر هو تعريف تداوليّ وشكل من أشكال الحجج وهي في معالجتها التداولية تربط النص بالمقام لتأكيد الطرح واقناع القارئ.

٢- الحجة والسلطة وبيان السلم الحجاجي .

٣- الحجاج والإنجاز وفي هذه الآلية الحجاجية نقلت الباحثة في معالجتها للنصوص التراثية مفهوم الفعل المضمن أو المنجز والفعل التأثيري .

٤- العتبات وتلقي الشعر : ترى الباحثة في تحليها لمقدمة الجمهرة أن المؤلف وضع هذه المقدمة للتأثير في جموع القرّاء ، وكشفت أن الأفعال التأثيرية على مستوى المضمون ترتبط بالحالة النفسية للشاعر ورصدت مستويات الإستجابة والتأثير من ذلك مستوى الإستهجان والإستحسان والمؤثر الفردي والجماعي والأثر الآني والبعدي ويصنفان تبعا للزمن ، واللغوي وغير اللغوي تبعا لنوعية الرد. وفي الفصل الثاني الموسوم بتداوليّة الحوار في النص الشعري تركز تحليلها لبيان ما يأتي : انّ تخاطبات الشاعر في نصوص الجمهرة على ألسنة الآخرين هي في الغالب آلية تضمينية تتيح كشف بعض مقاصد الشاعر باستعمال المؤلف للتراكيب والأساليب تداوليّا. وقراءة النصوص وفق مبدأ الحدث الكلامي . ورصدت الباحثة أيضا الألقاب والأسماء أو ما تعرف بالمبّجلات والتصغير والترخيم والإشارة في سياقاتها الخاصة التي وردت فيها . في مجال التأشير الشخصي لتحديد العلاقة أو المسافة العلائقية بين المخاطب والمستمع والتي تمكن من جانب آخر في الكشف عن مقصدية المبدع الى جانب تفعيل الإفتراضات المسبقة ، كما تلعب الصفة الملحقة بالمرأة أهمية كبيرة في الكشف عن العلاقات التي تربطها بالمتكلم أو الرغبات التي يفصح عنها المتكلم من خلال استعمال هذه الصفة أو تلك ، وفي مختلف الحالات تتمتع النصوص بكثافة تضمنية تتيح للقرّاء افتراضات تحاول لجوء الشاعر لمثل هذا . وتعالج النصوص بوصفها

انجازية لفعل واحد شامل ، ولا ينفصل الفعل الشامل او الأكبر عن البنيات الصغرى للنصوص . بعد ذلك قرأت الباحثة النصوص النقدية القديمة لاسيما نص إبن قتيبة حول معمارية قصيدة المديح قراءة تداوليّة مبرزة أهمية سلسلة الأفعال الكلامية في بناء نص إبن قتيبة للوصول الى الفعل المقصـــود من المدح ، وقد بيّن نص إبن قتيبة وفق طريقة حجاجية إذ أن لكل جزء حاجة ، بالإضافة إلى ذلك البنية اللغوية المعقدة للقصيدة وأفعالها الإنجازية والتأثيرية ، وكذلك دور الإفتراض المسبق في التحليل والمعالجة لكونها من الوجهة البراجماتية الإطار المنظم لعملية التخاطب والأرضية التي تبنى عليها. ومن بين أبرز القضايا التي عالجتها الباحثة تداوليّا قضية التنغيم في التحاور الشفهي وأثرها التّداوليّ على المتلقي ومساهمتها في الكشف عن المقاصد وكذلك ما تفضي اليه معاودة إلقاء النص في ظروف ومقامات مختلفة الى تغيير الأداء الصوتي . وفي فقرة أنظمة النص الشعري تخضع الباحثة قصيدة جاهلية تحت المجهر التحليلي وفق المنهج التداولي وتصب عنايتها على الإيقاع التخييلي ومقاربتها مقاربة تداولية من حيث الأفعال الإنجازية والتأثيرية والافتراضات المسبقة المتولّدة بفعل الأنماط الإيقاعية وصيغ النداء لاسيما الترخيم وأساليب التوكيد لاسيما التكرار واستعمال الأفعال وبأزمنة معينة في مقامات خاصة وتقسيم القصيدة الى أقسام وبنيات صغرى . ثم قراءة النصوص في هذه المدونة وفق قواعد التخاطب كرايس بين القبول أو الرفض أو بين الانتهاك والتمسك ثم صياغة قواعد تخاطبية للنص الشعري ترتبط بقنوات التواصل الكتابية والشفاهية ارتباطا تداوليا .

استهلت الباحثة فصل أفعال الكلام وتداولية النص الشعري بوصف اللغة الأدبية من حيث هي خرق للزمان والمكان واللغة اليومية وهي في ذلك تحقق فعلا انجازيا ثم فصلت القول في جهود أوستين وتمييزه للجمل بين الوصفية والإدائية وتحكم على الأخير على أساس الإخفاق والنجاح وليس الصدق والكذب ، ثم ولجت الى مفهوم الفعل الكلامي وأركانه الثلاثة وتقديم تعريفات لمفهوم الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر ثم انتقلت الى شروط أنجاز الأفعال الكلامية التي حددها جورج يول ثم التصنيف الخماسي للأفعال الكلامية تبعا لقوة فعل الكلام الى القرارات التشريعية ، والممارسات التشريعية ، وضروب الإباحة ، والأوضاوع السلوكية، والمعروضات الموصوفة، وكذلك ظهور قيمة مفهوم الحدث الكلامي

وارتباطه بالتفاعل بين الأطراف المختلفة وظهور القيمة الإنجازية للحدث الكلامي وتأخرها وأهمية السياق أو ملف القصيدة على الفهم وتحليل القصيدة الواحدة ذات الأغراض المختلفة وفق مبدأ العلاقة بين الأغراض الفرعية والغرض الرئيس ومبدأ اشتمال النص الكلامي على بنيات صغرى والعلاقة المضمرة بين الأفعال الكلامية الفرعية مع الفعل الكلامي الشامل وتعويل فكرة العلامات على القدرة التأويلية للقارئ الذي تقوم عبر سلسلة من الإفتراضات وأنماط تشكيل الفعل التأثيري بين السلوكي واللغوي وظهور الفعل التأثيري موازيا للفعل الأنجازي أو غير موازٍ ، وتعالج الباحثة نماذج من الفعل التأثيري على أنّها أفعال انجازية لاسيما في سماع الرسول – ص وآله - لقصيدة كعب وتحلل بعض تلك الأفعال التأثيرية على أنّها في الواقع أفعال انجازية وترصد الخروق في قواعد التخاطب لاسيما قواعد التعاون عند كرايس وتعدُّ الوصف والتمثيل في الخطاب الشعري من الوسائل المهمة في انجاز الفعل الكلامي وتوظيف تقنية الحجاج لإثبات مواصفات شخصية في الشخصيات تم خلصت الى القول الى أنّ للفعل التأثيري أهمية كبرى في انتاج أفعال كلامية جديدة تضع في حساباتها قيام الفعل الجديد على الفعل التأثيري السابق . وقد أولت الباحثة عنايتها بتقنيات الإنجاز واتخذت من الاستفهام مثالا لها محللة الإستفهام الحقيقي والإستفهام البلاغي والأفعال المنجزة بالأسئلة المنتهية بجواب والأفعال المنجزة بالأسئلة التي لا تفضي لجواب وترى التمثيل وسيلة من وسائل الإنجاز الى جانب وظيفته في انسجام النص واتساقه. كما افرزت الباحثة الافعال الكلامية البسيطة والمركبة لينتج الحدث الكلامي الشعري . وارتكاز تلك الأفعال البسيطة والمركبة على آلية الحجاج وتفعيل الإفتراض المسبق ومعالجة الأفعال الكلامية غير المباشرة لتصل الى نتيجة مؤداها غياب الفعل الكلامي المباشر في النص الشعري وعدّ هذا الغياب دليلا على شعرية النص . أما في فصل السِّياق وتداوليّة النص الشعري وهو الفصل الرابع من الأطروحة فقد استعرضت ثلة من تعريفات السِّياق وتقدم مثالين الأوّل نثري والثاني شعري ثم الإفضاء الى نوعي السياق وهما السياق الخارجي أو سياق الحال والسياق اللغوي أو سياق المقال . ويلعب تشابه سياق التكلم مع سياق التلقي دورا مهما في عملية تداول النص الشعري ومراعاة المبدع للمتلقي تؤثر في البنية النصية أو بالأحرى توظف البنية النصية توظيفا تداوليّا يسمح بإحداث أثر معين ثم تحدد مصاديق ذلك في آراء النقّاد العرب القدماء لاسيما إبن طباطبا العلويّ . كما

عالجت الباحثة المحددات السياقية داخل النص الشعري ثم قرأت مصنف أبي زيد القرشي قراءة سياقية تداوليّة وتأثير تلك العناصر على القوة الإنجازية المرتجى تحقيقها من الفعل الكلامي ، وربط تلك العناصر في اتساقها مع بنية النص والطبقة الواحدة وفي اطار العمل الكلي لجمهرة أشعار العرب . ثم عولجت البنية النصية والإحالة السياقية وأفضى ذلك إلى أن معنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري السياق ، ثم سلطت الضوء على الإفتراضات المسبقة في معالجة عناصر السياق وعلاقة الإفتراضات المسبقة بعملية الإنتاج وهي جملة من العلميات التي تسبق عملية الإنتاج أي قبل تحقق الفعل الشعري وهدفها الوصول الى تحقيق التأثير في المستمع . وكذلك افتراضات التأويل وهي التي تبنى اعتمادا على المتحقق أي النص الموجود ، إذ يقوم القارئ ببناء افتراضاته انطلاقا من النص ، وينطلق القارئ في صياغة افتراضاته من خلال البنية التي تعتمد مبدأ المشابهة الذي يسمح بتشكيل صورة عن الإنتاج الإبداعي في سياق ما . وتتعلق الإفتراضات التي يمكن أن يصوغها القارئ بما يلي : ١- محتوى النص أو غرض القصيدة. ٢- زمن الإنتاج. ٣- طبيعة الجمهور المستمع للنص .[١] وللباحث رؤيتان حول هذ المعالجة الأوّلى ايجابية وتتجسد من خلال اخضاعها الفصول في جانبها التطبيقي للقراءة التّداوليّة وفق مفاهيمها الإجرائية لنظرة موحدة ، وطرحها لكثير من الآراء والإستنتاجات وكشفها لإستراتيجيات مؤلف الجمهرة ، وتمتعت المعالجة بالعمق واعمال الفكر . أما الرؤية السلبية لها فتتمثل بتجاوز المعالجة المتن الإبداعي الشعري الى قرآءة بعض آراء النُقّاد في المتون النقدية والإستشهاد بنماذج نثرية .

أما أطروحة الدكتوراه الموسومة ب " **التّداوليّة في الفكر النقدي** " للباحث " **كاظم جاسم منصور العزاويّ**" من جامعة بابل \ كلية التربية للعلوم الإنسانية \ قسم اللغة العربية عام ٢٠١٢م فقد اتخذ الباحث المبحث الأوّل من الفصل الثالث الموسوم ب " التّداوليّة

---

(١)- ينظر تداوليّة النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا : شيتر رحيمة ،اطروحة دكتوراه ، الجزائر ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية اللغات والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٩ : ١٢- ٢٦٣

والخطاب الشعري " ميدانا للتحليل والمعالجة ، وفي فقرة العرض التوضيحي لإمكانيةاشتغال المفاهيم التداولية بوصفها أدوات إجرائية لتحليل الخطاب الشعري ، آثر الباحث مفهوم الأفعال الكلامية في المقاربة مستهلا قوله بالحديث عن تصنيف سيرل للأفعال الكلامية وكون هذه الأقســـام في اللـــغة الإعتيادية أو اليومية حقيقية بينما في الكلام الأدبي ليست كذلك ، وإنما هو ادعاءآت ؛ لأن المرسل ليس ملزما بصدق اخباره الأدبي مثلما هو ملزم بصدق اخباره العادي . ووظّف الباحث مفهوم التضمن عند كرايس الى جانب استثمار آراء فان دايك في عملية التفاعل بين النص والسياق لاسيما ضرورة دراسة متوالية الأفعال الكلامية والسياق وعلاقتهما ببنية الخطاب في تحليل النصوص الأدبية . وقارب الإيقاع الشعري مقاربة التداولية .

بعد ذلك نحا الباحث منحى تطبيقيا واختار مقطعا لباوند في محطة للمترو يبدو للوهلة الأوّلى أنه خال من السياق التواصلي ومن الأفعال الكلاميّة . وأولى مفاتيح التحليل التداوليّ التي استعملها الباحث هي الضمائر لأجل تحديد الطرف الأوّل من عملية التخاطب وهو المتكلم. إنّ المتكلم الإفتراضي في سياق القصيدة يفضي الى وجود قارئ افتراضي أيضا ومتعاون ، وهذ اجراء تداوليّ محض . ثم يستعير الباحث إحدى مفاهيم نظرية التلقي وهو القارئ الضمني ليلج بوساطته الى مفهوم تداولي مهم وأعني به الإفتراضات المســبقة ليؤكد من خلال ذلك أن العــلاقة بيــن المصطلحين وطيدة تنظيرا وتطبيقا ولبيان أهمية العلاقة التبادلية بين السياق التواصلي لقصيدة ما وبين تأويلها . وفي سياق تحليل الأفعال الكلامية ينتقل الباحث الى قصيدة " أغنية الحب " ل " بروفروك " ويتخذ من جملة " أكانت تستحق ذلك" عينة للتحليل ويرى أنّ هذه الجملة خارج سياق القصيدة ، هي بنية استفهامية لكن ضمن سياقها التواصلي في القصيدة سؤال بلاغي القصد منه تقديم معلومات لغرض التأكيد ، بمعنى آخر أن الشاعر ينجز فعلا كلاميا توكيديا بوساطة السؤال ، كما يعالج الباحث الوعد بوصفه فعلا انجازيا في قصيدة " الرحيل بدءا من بوما فوك " لوالت وتيمان وتحديدا هذا الشطر " سأكتب القصيدة الإنكليزية في الرفاق والحب " مسلطا الضوء من خلال تحليله له على عناصر السياق من المرسل والمرسل اليه والفعل المنجز غير المباشر هنا هو الإلتماس ، أما رد الفعل الصادر من المتلقي لبنية السؤال البلاغي بوصفه فعلا

تأثيريا . بعد ذلك ينتقل الباحث الى أثر السياق في تحليل الخطاب الشعري ويرى أهمية معرفة عناصره (المتكلم، المخاطب، الخطاب، الزمان، المكان، نوع الخطاب) لنجاح أي عملية تأويلية . ويرى الشعر العربي القديم كان مزودا بملف معلوماتي وعلى العكس من ذلك فإن الشعر الحديث نادرا ما يوفر هذه المعلومات . وأمام هذا النص السائب تتسع الدائرة أمام المتلقين للإفتراض والإختبار والتـــأويــل ، ليخضع بعد ذلك مقطعا شعريا لمحمود درويش موضحاً نسبية السّياق في النص الشعري ، وأن المقطوعة ألقيت الى القارئ بشكل مفاجئ دون أدنى مقدمات سياقية تساعده على الفهم والتأويل .

ويندرج التقليد الأدبي ضمن سياق أشمل في ظله تقرأ النصوص وتؤول . وأظهر أهمية أثر الخلفية المعرفية المشتركة في تحليل الخطاب الشعري ، وقد عزز الباحث بيان المفهوم التداوليّ السابق ببيت عليّ بن الجهم " أنت كالكلب..." وكذلك أبيات الفرزدق التي يهجو بها جريرا ، وأشار الى تنوع المرجعيات المعرفية لدى طرفي الخطاب ، فمنها ما هو مستمد من القرآن الكريم ومنها ما هو مستمد من الحديث النبوي بوصفها أداة إجرائية تداوليّة تسعى الى كشف ارتباط الخطاب :-

١- بمؤلفه بوصفه تعبيرا عن اشكالية أو موقف ما . ٢- بالمتلقي بوصفه تعبيرا عن موضوع متداول يهم المتلقي ويؤثر فيه وهو ما يمنحه صفة التّداوليّة .

وحلل الباحث العلاقة بين المرجع والخطاب ، وهذا الربط يحمل المتلقي على التصديق بتجربة المتكلم بقدر إحالته الى المرجع والعلاقة التي تربط بين تلك الإحالات والمرجع ، وأخيرا تناول مقاربة تداوليّة حجاجية للخطاب الشعري كانت قد أجرتها الدكتورة سامية الدريدي الحسني لعدد من الخطابات الشعرية منها لامية الشّنفرى ورثائية دريد بن الصمة وقصائد متفرقة لأبي الطيب المتنبيّ وقصيدة إبن هانئ الإندلسي التي يمدح بها المعزّ لدين الله الفاطمي .

ورصد الباحث مجموعة من الإجراءآت التي قامت بها الدكتورة في تحليلها من طرق المفاهيم التداولية من دون أن تصرّح بها من ذلك السِّياق والقصديّة ومبادئ التعاون وأفعال

الكلام القولية والإنجازية والتأثيرية ومتضمنات القول والتقنيات الحجاجية .[١]

الرؤية الإيجابية لهذه المقاربة تنطلق من اتفاق الباحث مع الدكتور كاظم العزاوي في التداخل والإمتزاج بين المفاهيم النقدية ومصطلحاتها اضافة إلى أهمية عناصر السياق في نجاح أي عملية تأويلية بهدف الوصول إلى قصدية المتكلم . أما سلبية الرؤية فتتجسد بما ذهب اليه د. كاظم من أنّ الأفعال الكلامية في الكلام الأدبي ، هو ادعاءآت ؛ لأن المرسل ليس ملزما بصدق أخباره الأدبي ، ذلك أنّ الأفعال الكلامية في الأدب بعضها كذلك ، وبعضها الآخر تنفى عنها تلك الصفة . كما يوحي قوله : أن الشعر الحديث نادرا ما يوفر ملف معلوماتي ، ومن ثم تتسع دائرة الإختيار والتأويل أمام المتلقين ، وأمام هذا النص السائب أو النص المقطوع عن سياقه المقالي . هذا القول في الواقع يفتح باب التأويل على مصراعيه ، ومن ثم يفضي إلى انتفاء الحاجة للمسك بقصدية المتكلم في الوقت الذي أعادت التّداوليّة الأولوية والعناية للمتكلم وقصده .

أما الأكاديمي والباحث العراقي سمير الشيخ فله مقاربات تداوليّة لنصوص ابداعية متنوعة في مصنفه " تحوّلات زهرة العبّاد في الخطاب النقدي" ، سنضيء بدورنا من تلك المقاربات ما يخدم البحث وهو مقاربته التّداوليّة لمدونة الشاعر عليّ جعفر العلاق في قصيدة " أنثى الينابيع " . وقد صرّح الباحث في ورقته النقدية تلك عن مقصده ورصد الجوانب النظرية والتطبيقية للتداولية في " أنثى الينابيع" . يستهل المحلل مقاربته برصد سلسلة الأفعال الإنجازية لتشكل تلك السلسلة صورة للعاشق ضمن سياق التحاور علما أن الحوار المونولوجي موجه الى مخاطب متخيل هو الماء . وأهم الأفعال غير المباشرة المنجزة في المقطع الإستهلالي هو الإلتماس ، ليس هذا فحسب بل كشفت الأفعال الإخبارية التوكيدية في سياقها التّداوليّ حالات العاشق النفسية ومكابداته والمسح الإحصائي للأفعال

التّداوليّة ، كما فعّل الباحث في معالجته اهمية المناصصة في التحليل والمقاربة وعنى

---

[١]- ينظر التّداوليّة في الفكر النقدي : كاظم جاسم منصور العزاويّ ، اطروحة دكتوراه ،العراق ، جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية ، ٢٠١٢: ١٧٤- ٢٠٤

بإطار الشاعر في أعماله الشعرية من ذلك التعالق بين قصيدة " أنثى الينابيع" وبين قصيدة " ذئاب الريح " في محور مشترك بينهما هو سياق الموت المتشكل تداوليّا بفعل الكلام التمثيلي المباشر . ويكترث الباحث كثيرا بالمعنى السياقي والإشاريات لاسيما الضمائر وإحالاتها القصدية . ويشكل مفهوم الإفتراض المسبق محورا بارزا في التحليل التّداوليّ بغية الوصول الى قصدية المتكلم ، ثم يوظّف عناصر الإتساق والإنسجام بوصفهما مفاهيماجرائية نادت بها لسانيات النص . كما يرصد ندرة الروابط الممسكة للنص بوصفها احدى آليات الإتساق النصي ثم يضع جدولا يبين فيه الأفعال الإنجازية المباشرة ببنياتها الأسلوبية المختلفة ، وشملت مقاربة الباحث سمير الشيخ التحديدات السياقية من قبيل الزمان والمكان والضمائر ومفهوم الإستلزام الحواري والذي سماه " الإفتراض الضمني" ، وأخيرا أوضح أهمية الفعل التأثيري في المتعة الجمالية . أما على مستوى التنظير فقد أشار الباحث من خلال تحليله الى أوجه التلاقي بين التّداوليّة وغيرها من المناهج النقدية الحديثة لاسيما بينها وبين السيميائية في التمايز بيم مفهوم التماسك ومفهوم الترابط وبين التداولية والتفكيك في محور تعددية المعنى والإرجاء القصدي وغياب المركز الدلالي وهو يعالج مفهوم القصدية في بعدها الإشاري لاسيما الضمائر، أو بين التداولية والتوليدية أو النحو التوليدي في اظهار التباين في مفهوم القدرة التواصلية ، فالتوليدية تعني بها قدرة المتكلم المثالي على الأداء في مجتمع متجانس ، أما في التّداوليّة فيعني معنى المتكلم في السّياق .[١] تتمثل الرؤية الإيجابية لهذه المقاربة بتجاوز الناقد نصه " أنثى الينابيع " الى قصيدته " ذئاب الريح " ويبرر هذا الفعل استنادا إلى مفهوم التناص بوصفه تعالق بين النصوص وعنايته بإطار الشاعر في اعماله ، وهو مطلب تداوليّ محض . كما لفت الأنظار إلى أوجه التلاقي بين التّداولية وغيرها من المناهج النقدية الحديثة ونظريات الدرس اللساني لاسيما السيميائية والتفكيك والنحو التوليدي .أما المقاربات الأخرى التي اتخذت من نص شعري

---

[١]- ينظر تحوّلات زهرة العبّاد في الخطاب النقديّ : سمير الشيخ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١١ : ١٩١- ٢٠٨

واحد أو غرض شعري واحد مادة للتحليل التّداوليّ أو مثالا تطبيقيا فأهمها : قرآءات الدكتور نعمان بوقرة في مصنفه " لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والاجراء " الذي أفرد الفصل الاول من الباب الثاني لسبعة نصوص شعرية حديثة ونص واحد في شعر أبي حامد الغزاليّ . وقد حملت المقاربة العنوان الآتي : **" تفاعل البنية والدلالة في فلسفة الثعبان " للشاعر سميح القاسم .** وقدّم المحلل لمقاربته هذه نبذة عن الشاعر مولدا ونشأة وسلط الضوء فيه على سماته الشعرية من

الثورية والتحررية ومذهبه الشعري المدمج من الرومانسية والرمزية ليضع القارئ في السياق الخارجي للنص الشعري ثم ولج القصيدة من باب بناء النص وانسجامه على جملة من العناصر النصية من الاتساق والانسجام والتناص وغيرها ، وفي طريق تحقيق تداوليّة البنى النصية استعان المحلل بالتحليل والوصف من مجال الجملة الى مجال الخطاب ، كما فعّل المؤلف ما يعرف بالسيميائيات التّداوليّة من خلال سلسلة من الاجراءآت التطبيقية منها التكوين أو التقسيم المقطعي للقصيدة ، والثعبان بوصفه علامة تحيل على فلسفة القوة المثقفــة في كل مكان والفعل التأثيري الذي يمارسه الثعبان هو محاولة اقناع الكيانات الضعيفة في المجتمع بعدم جدوى المطالبة بالحقوق إلا ما تقرره هذه القوة المهيمنة ، والتي تفرض نمطا من حياة الاحتواء والتبعية والعيش في كنف الآخر .[1] وعنت المقاربة عناية بقواعد الإتساق؛ لأنّها في المنظور التّداوليّ التخاطبي هي المسؤولة عن انتظام الخطاب وقبل تقفي الظواهر النصية تناول أقسام الربط حسب رؤية علماء لسانيات النص تناولا موجزا والتي من أهمها : أ- الربط التحليلي ب- الربط الإشاري ج- الربط الاستنتاجي . وفي مقاربته لتداوليّة الروابط وظّف المحلل المنهج الاحصائي لإستخلاص جملة من النتائج لحروف العطف والضمائر منها ، هيمنة الربط بالإحالة الضميرية على سائر الأدوات الأخرى ثم يلي ذللك الرابط التّداوليّ الواو . ويفعّل التأويل في تحليله للقصيدة وفقا لمنهج لسانيات النص نحو قوله " إنّ الغاية من عملية الوصف هذه ليس مقصودة لذاتها ، بل هي

---

[1]- لسانيات الخطاب ، مباحث في التأسيس والاجراء : الإستاذ الدكتور نعمان بوقرة ، دار الكتب العلمية ، بيرت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٢ : ١٤٥ – ١٤٦

وسيلة للتأكد من نصية النص ونوعية العلاقات الاتساقية التي ينى عليها " .[١] ومن الظواهر الاتساقية التي يعالجها المحلل التكرار بنوعيه التام والجزئي والتوازي وأشكاله .[٢] وفي اطار مبدأ تداوليّ محض لتفعيل دور المتكلم \ الشاعر كونه صانعا للخطاب يبحث المحلل عن قصدية المتكلم كما في قوله " إن تكرار الشاعر لإسمي الشحرور والثعبان في مواضع مختلفة من القصيدة والإنابة عنهما بالضمير تأكيد للذوات الفاعلة في الخطاب ، وربما كان قصد الشاعر حين استهل نصه بوصف الشحرور متوجها نحو تأكيد محورية هذه العنصر الخطابي " .[٣] كما يربط آلية التوازي بالحالة النفسية للمتكلم ، وفي سمة المصاحبة المعجمية أو التضام يلفت المحلل نظر القارئ الى ظاهرة الحقول الدلالية في القصيدة ويسميها سجلات مثل سجل ألفاظ الطبيعة وسجل الالفاظ الدينية وسجل الالفاظ السيـــاســـية وفـــي هذه المحطة من المقاربة يشير المحلل الى الفعل الكلامي على أساس ثنائية أوستن وسيرل في عدم مطابقة الفعل القولي للفعل الانجازي . وبانتهاء ظاهرة التضام من قواعد الإتساق يبدأ المحلل معالجته للقصيدة بآليات الإنسجام ثم يصف معجما القصيدة انطلاقا من ظواهر دلالية أهمها الترادف والتقابل والإجمال والتفصيل . ومن أهم العلاقات التي تضطلع بتحقيق سمة الإنسجام في النص هي علاقة المفارقة . ثم يقارب أزمنة النص كونها وحدة تداوليّة تعـالج في موضـــــــــوعه ، علما أن الثنائيات المتحكمة في الأحداث المتسلسلة هي ثنائية الوجود \ العدم او الحياة \ الموت ويميز المحلل بين نوعين من الزمن هما الزمن الموضوعي بحسب الماضي والحال والمستقبل ، والزمن الذاتي المميز بالخصوصية الفردية . كما عالج التناص تداوليّا وكيف أعاد الشاعر النصوص وأنتجها بطريقته الخاصة وتقاطع القصيدة عبر فضاء المناصصة مع أسطورة الثعبان المقدس عند الفراعنة ، بالإضافة إلى ذلك تقاطع هذه القصيدة في منظومتها الفكرية واللغوية مع الخطاب الصوفي الغنوصي في الفكر الإسلامي . وكذلك فكرة تعدد الآلهة ، ويؤول أسطورة الثعبان

---

[١]- ينظر م . ن : ١٤٤

[٢]- م . ن : ١٥٧

[٣]- م . ن : ١٥٨

وسبب تعالقها مع الفلسفة الإستعمارية الحديثة التي تنتهك حقوق المستضعفين وتمنيهم في الآن نفسه بتحقيق الرفاهية والتقدم في ظل تبعيتهم لهذه القوة .[١] وفي قراءة سياقية يمكن للقارئ المتتبع لإنتاج الشابي أن يكون قد اطلع على قصائد أخرى من ديوانه لتشكل مجتمعة ما يسمى في لسانيات النص بإطار الشاعر وأبرز ما يميز الإطار أنّه يشكل سياقا ممتددا للنص المؤول تمثله النصوص التي يحيل إليها الديوان والتي تتلو النص المدروس . بعد ذلك أبرز المحلل مفهوم التخاطب الذي يقتضي اشراك إثنين في العملية لاسيما في النص الشعري بعدّه خطابا متعدد الأصوات .[٢]

وقدّم مفهوم التغريض الذي يعنى " بالبحث في العلاقة التي تـربــط موضوعه بالعنوان ذلك أن العنوان وسيلة تعبيرية عن الموضــوع " .[٣] بوصفه تقنية تحليلية في مقاربة الحدث الكلامي أو القصيدة بوصفها سلسلة من الأفعال الكلامية . بعد ذلك قارب القصيدة من محور الخطاب المجازي والتشكيلات البيانية وعمق الخيال وثرائه وفاعلية ذلك في الأثر المطلوب ، وانتاج المقاصد في عملية القراءة والتلقي . ثم يخصص المحلل فقرتين هما " قــواعــد التــداول وقــواعــد الحجــاج" لـــــفحص الأفعال الكلامية في القصيدة وفقا للتصنيف الخماسي لسيرل وهي : الإخباريات والتوجيهيات والإلتزاميات والتعبيريات والإعلانيات ، ويستهل لكل صنف من تلك الإصناف بتعريف اصطلاحي ثم يعقب ذلك بذكر أصناف الأفعال وأنواعها ويستنتج من ذلك أنّ الافعال التوجيهية هي المهيمنة على سائر الأنواع الأخرى انسجاما مع غرض القصيدة التي تهدف الى ايقاع فعل انجازي طلبي غايته التحريض .[٤]

---

(١)- م . ن : ١٥٦

(٢)- م . ن : ١٥٧

(٣)- م . ن : ١٧١- ١٧٢

(٤)- ينظر م . ن : ١٧٥

أما فعل الإلتزام فقد تحقق بشكل ضمني من طرف الثعبان .[١] وقد أظهرت المقاربة العناية والتركيز على مقاصد المتخاطبين ودلالات الخطاب بين الحرفية والقصدية التواصلية وكذلك الوظيفة الإيحائية للفعل الإنجازي على المستوى الصوتي في بعض الأساليب كنغمة الإستفهام المحض واختلافها عن نغمة الاستفهام الإنكاري أو التعجبي . وفي محور الحجاج بيّن المحلل بجدول البناء الحجاجي للنص ، ثم ذكر أبرز الآليات الشكلية المستعملة في الحجاج مثل الترادف والتكرار لتحقيق الوظيفة الإقناعية في مقامات معينة كمقام الإقرار ومقام الاستهزاء ثم انتقل بعد ذلك الى اظهار أنواع الحجاج في الخطاب الشعري وأهمها الحجاج الخاطئ والحجاج بالسلطة ، وهذا النوع من الحجاج هو الغالب على القصيدة . ومـن أدوات الحـــجاج اعتماد التهديد والترهيب كإسلوب للإقناع الخطابي . ومن أنواع الحجاج أيضا حجاج التبرير وحجاج الرمزية كما تستعرض المقاربة السلم الحجاجي ودرجات القوة في بناء الحجج معضّدا ذلك كله بنماذج لاسيما الأبيات التالية : (٣٠\٣٠\٢٨\٢٨) ، ثم ينهي موضوع الحجاج بجدول يبرز فيه ادوات الربط وهي الفاء والحصر والنفي ولام التعليل ثم الواو .[٢]

ثانيا : صيغ الربط ووظائفه التداولية في شعر عبدالله الصيخان ، قصيدة " كيف صعد إبن الصحراء الى الشّمس "

أما في المقاربة الثانية فقد عالج المحلل قصيدة " كيف صعد إبن الصحراء الى الشمس" معالجة نصية سياقية بما تتيحها اللسانيات النصية من أدوات تراهن على انسجامه وتماسكه وترهن في الوقت نفسه فعله التأثيري في الذات والواقع والإفادة من المدخل التّداوليّ الذي يتعانق مع السياقين النفسي والإجتماعي ليجعل من التأويل النصي طريقا لتحرير الدلالة من سجـــن النص المغـلق. يسـتهل المحـلل مقاربتـه التّداوليّة بالعنوان وتتخذ من الإشاريـــات محـور ارتـكاز للتحليل . وتتشظى قراءة المحلل في هذا المحور الى أبعاده المختلفة من

---

[١]- ينظر م . ن : ١٧٦

[٢]- ينظر م . ن : ١٧٩- ١٨٢

التأشير الشخصي كما في قوله " وأول ما يتبادر القارئ هذه الشخصية المنسوبة الى المكان"الصحراء" فمن تكون؟ هل هي شخصية محددة الملامح والصفات ؟ واقعية في وجودها أو هي شخصية رمزية اختارها الشاعر قناعا للتعبير عن موضوعه " . كما يرصد التأشير المكاني ؛ لأنّ الشخصية تتموضع في سياق الصعود الى الأعلى الى الشمس تحديدا . وهذه الدلالات والمعاني إنّما تكشف عن القصد الخبري للقول دون القصد التواصلي أو قصد المتكلم ، ثم يصرح المحلل بأنّ القيمة الإخبارية للعنوان صبت في قالب استفهامي بالأداة كيف والتي تفيد طلب الاستفهام عن الحال . ثم ينتقل من الفقرة الثانية من تحليله الى التشكيل المقطعي النصي وتقتصر المعالجة والتحليل هنا على بيان البنية الكبرى والبنيات الصغرى ثم الإفضاء الى التقرير بأنّ المقطع الأوّل من النص هو مقطع سردي ينجز بأجمعه فعلا اخباريا . أما المقطع الوصفي فيقوم على عرض الوقائع والحالات في النص . كما نبّه المحلل على نقطة مهمة تتعلق بكيفية الحوار في النص ، إذ يرى أنّه ليس متناوبا بين طرفي الخطاب في دورة كلامية مكتملة وتمتاز باستنطاقه للجماد وتفعيله للثابت وينتج هذا الحوار بوصفه فعلا انجازيا فعلا تأثيريا إقناعيا كون القصيدة قائمة على قضية تبتغي التحقق في الواقع المادي للإنسان العربي .[١]

كما يطرح الناقد في تحليله مسألة انتاج المعنى بدلا من البحث عن قصدية المتكلم قائلا " وربما جاز لنا الزعم ها هنا أن الشاعر ينافح عن رغبات المواطن العربي وفي مقدمتها حرية الفكر والتعبير واستقلال الأوطان ، لكنه بذلك أظهر علاقة الكل المنجز بالمتكلم . واستثمر الأستاذ نعمان بوقرة الإسلوب غير المباشر في نص الصيخان وهو يحاول الدفاع عن قضية المصير العربي إنسانا ووطنا مستدعيا فيه أدلة واقعية مشاهدة ، بالإضافة إلى ذلك الارتكاز على المشروعية التاريخيــة فــي تحمــيل الإنســان العربي مسؤولية النهوض والتجدد والإنطلاق . ويرى المحلل أنّ نص الصــيخان هو بالدرجة الاوّلى نص حجاجي ويعاين وظيفتين حجاجيتين رئيستين هما الوظيفة التصديقية والوظيفة الايقاعية وتحدد

---

[١]- ينظر م . ن : ١٨٥

الوظيفة الاوّلى بالتعويل على تميز دلالة (لكن) . إما الوظيفة الإقناعية فقد استنتجها المحلل بوساطة القضية التي عالجها الشاعر وهذه القضية أنجزت فعلا طلبيا هو الدعوة الى الارتقاء والفعل الانجازي الطبي قدّم مرة بصورة مباشرة وتارة بإسلوب غير مباشر ويستحضر الدليل التاريخي والواقعي بفضل تقنية الاسترجاع لبيان مواطن القوة والضعف في الحياة العربية . ولم يغب عن بال المحلل علاقة المقاطع بعضها مع بعض الآخر والأغراض التي تنتـــــجها القصيدة بوصفها تداوليّة كبرى أو حدثا كلاميا شاملا . في بنية التوازي بوصفها احدى أدوات الاتساق يُجسّر المحلل العلاقة بين اللغة وعلم الإجتماع من جانب وبين معتقدات المتكلم ومقاصده وتكوينه الثقافي والوقائع الخارجية . ويرى المحلل أنّ الفعل غير الصريح في القصيدة بوصفه حدثا كلاميا هو الوصية متخذة من الطلب عنوانا لها ، ومن أفعال التنبيه دعائم تحقق بها تواشج الأبنية المتوازية . ثم ينصرف جهد المحلل الى بيان احدى استراتيجيات تقوية الفعل الانجازي بوساطة أفق التوقع الذي يكشف عن خطابية عالية النغمة يؤشر لها فعل الطلب بصيغة الأمر المتمخض الى الحث والدعوة الى العمل والحركة الصاعدة .[١] ثم يفرد المحلل فقرة في معالجته لإضاءة البعد التّداوليّ للإستفهام في النص الشعري وقد خرجت أداة الإستفـــــهام (من) مــن دلالـــة الطلـــب الى دلالتيـــن ، الأوّلى : دلالة التعجيز والبحث عن المستحيل ، والثانية : دلالته

على الحيرة . أما على مستوى الإنسجام النصي فقد رصد المحلل حركة المعنى لفعل الكلام الإجمالي الذي ينجزه سلسلة من الأفعال الكلامية المختلفة قائلا " ربما كان بإمكاننا تأطير هذه القصيدة ببعد دلالي مرجعي بفضل بنيتها الدلالية الكبرى : كيف صعد إبن الصحراء الى الشّمس ؟ من خلال تلاحم أجزائه في مستوى الشكل الدلالي ، فكل بنية دلالية صغرى تسلمك الى متشابهاتها بعلاقة دلالية معينة مكونة في الأخير الموضوعة المركزية " .[٢]

---

[١]- ينظر م . ن : ١٨٨- ١٨٩

[٢]- ينظر: م . ن : ٢٠٣

وتسجل السيميائيات التّداوليّة حضورا في المعالجة والتحليل لاسيما قوله " فهذا النص يبين جدلية الوجود الإنساني القائم على الصراع والحوار والإختلاف والطموح والسلطة والمال والعنف والايديولوجيا المقدس والمحرّم ، إنّها علامات تختزل العلاقة بين الحاضر والغائب والرذيلة والخير والشر والمقدس والمدنس في نهاية المطاف .[١]

وتشكل الإحالة لاسيـــما ضـــمير الغائب حضـورا متميزا في تحليل نص عبدالله الصيخان وتتمثل فائدتها من بدء النص الى منتهاه في النمو الموضوعاتي للقصيدة وتماسكه ولهذه الإحالة وظيفة برهانية ؛ لأنّها تحدد وجهة الخطاب والفعل الكلامي المنجز والمهيمن وهو الدعوة الى الإرتقاء المادي والمعنوي بالإضافة الى إحالتها على المتلفظ الشاعر .

يستعرض المحلل وهو يستقرئ البنية التكوينية للقصيدة ثلاثة أنواع من السّياق : أولهما السياق التاريخي أو ما يعرف بملف القصيدة وهو كل ما يتعلق بظروف انتاج القصيدة أو ما يعرف بالنصوص المصاحبة من ديوان الشاعر وعام الإصدار والجيل الذي ينتمي اليه والمذهب الأدبي النازع إليه . وثانيهما السّياق النفسي وكل ما يتعلق بوظيفة وصف النفس الشاعرة أو ملفوظ بعينه دالة على الضعف والقلق ...الخ .

وأخيرا السّياق الإجتماعي من خلال التعرف على راهنية العصر وتحديداته الحضارية وكذلك وصف المظاهر والاحوال الاجتماعية وأنماط العلاقات المنظمة للحياة .[٢] وانطلق من آفاق المناصصة واقامة هذه القصيدة علاقة حوارية مع نصوص أخرى الى رصد ظاهرة التعالق النصي وتحديد مرجعياته المهيمنة لاسيما البعد التراث الديني أو التناص مع التراث الديني . في فقرة وظائف الخطاب في القصيدة يفعل المحلل دور المتكلم والمخاطب بوصفهما طرفي الخطاب قائلا " فالبنسبة الى المتكلم فإنّنا نعاين التعبير عن الأمل المراود والذكرى المفزعة وانتظار الغد الواعد ، أما المخاطب فيتجلى تأثره بالرسالة في تغيير

---

[١]- م . ن : ٢٠٤

[٢]- ينظر م . ن : ٢٠٤

سلوكه وفكره باتجاه الإرتقاء والحداثة الفاعلة في السّياق الإجتماعي " .[١]

يخلص المحلل في المنتهى الى جملة من النتائج نجد النقطتين الأوّلى والثانية أكثر أهمية فالتحقيق وتحليل تداوليّة النص هما " ١- العناية بالمشهد اليومي ومفارقاته المتوازية وبعده المادي الحسي ٢- بناء البعد الرمزي على عملية الاستبدال الدلالي بين الـــوحـدات الـــمعجميـــة المتفـــارقة سيـــاقيـــا " .[٢]

ثالثا: البناء والدلالة في قصيدة " تعالي لنرسم قوس قزح " لسميح القاسم

بدأ المحلل برصد التشكيل اللساني من العنوان ومهدّ لذلك بمدخل نظري يتم التركيز فيه على أهمية العنوان من النص من خلال محاور عديدة كلها تخدم التحليل التداولي ومن تلك المحاور ١- إحالة البنيوية اللغوية للعنوان بالضرورة الى شيء ما. ٢- يعد العنوان قصدا للمرسل فهو لذلك يؤسس أولا لعلاقة العنوان بخارجه سواء أكان هذا الخارج واقعا اجتماعيا عاما أو سايكولوجيا وثانيا لعلاقة العنوان بمقاصد المرسل في عمله أيضا . ٣- تعددية وظائف العنوان والتي منها وظيفة الاحتواء لمدلول النص كون العنوان عبارة عن علامة سيميائية وكذلك الوظيفة التناصية .

كما يجسّر المحلل أيضا في معالجته للعنوان بين حقلي اللغة وعلم النفس قائلا :" بدأ الشاعر قصيدته بفعل ، ولم يبدأ باسم ؛ لأنّ مميزات الأفعال الحركة وعدم الاستقرار ، وهذا ما يؤكد توتر الحالة النفسية لشاعر الأرض المحتلة سميح القاسم " .[٣] وتأرجحت القراءة التأويلية لألفاظ العنوان بين تحديد مرجعيات حقيقية وبين مرجعيات ثقافية ثم يختم قراءته التأويلية تلك بجملة " ويبقى العنوان دائما قراءة مفتوحة للقارئ" .[٤]

---

[١]- ينظر م . ن : ٢٠٤

[٢]- م . ن : ٢٠٧ - ٢١١

[٣]- ينظر م . ن : ٢١٣

[٤]- م . ن : ٢١٤

وتتخذ من الإشاريـــات محـور ارتـكاز الوحدات الشعرية للنص ويحددها بأربعة مقاطع والدلالة الصغرى لكل مقطع ، وعني المحلل أيضا بالجانب الأوّل من جوانب تركيب الفعل الكلامي أي بالعمل القولي أو الفعل اللغوي والمقصود به الأصوات التي يخرجها المتكلم أي جملة الأفعال الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية ، ففي فقرة دلالة البنية الصوتية أبرز العلاقة بين عدد التواتر في الأصوات المهموسة لاسيما السين والحاء ومستوى التشكي وأظهر أهمية التنغيم في عكس المقاصد نحو قوله في مقاربته للسطر الشعري " نازلا ..يمتصّني موت بطيء " قائلا : " البيت من بحر الرمل الكلمات نازلا ، يمتصّني ، موت ، بطئء ، كلها تدل على الهبوط الى الأسفل وهو ما يعكس النفسية المحبطة " .[٢] وفي سياق متصل يبين في قراءتـه للبنية الصوتية في موفيمات معينة مثل نازلا ، صارخا انكسارات ، احزان الى قوة الإنفعال وعدم الإستسلام والرضوخ الى الواقع وهذه هي احدى الاستراتيجيات لتقوية الفعل الانجازي موسيقيا . في محور وظائف البنية التركيبية لاسيما في بنية الأمر يسجل المحلل الورود المكثف لهذه البنية ب (١٩) ودلاتها الضمنية المختلفة . كما عالج بنية النداء احصائيا وتداوليّا من حيث أنّها وردت أربع مرات في القصيدة وخروجها عن دلالتها الأصلية الى قصد تداوليّ كالإستغاثة والتحسر والندامة والاستعطاف مما يوافق غرض النص الأساس . لقد حدد المحلل الدلالة النصية داخل القصيدة وخارجها لا يحصل إلا في نطق علاقات سياقية والمعنى لا يصبح دلالة إلا عند ارتباطه بالإحالة وضبط أهم الحقول المعجمية الأساسية في قصيدة " تعالي لنرسم قوس قزح " هي حقل الانكسار وألفاظ هذا الحقل جاءت بوصفها سلوكيات تعبر عن نفسية متوترة محبطة منكسـرة .[٣] وأكدت القيمة الإخبارية للفعل المنجز حاملة صفة الشدة المتضمنة في الفعل وهي من المفاهيم التي طرحها " سيرل ". حقل العبادة ولكسيمات هذا الحقل تدل سيميائيا

---

(١)- م . ن : ٢١٩

(٢)- ينظر م . ن : ٢٢٨

(٢)- ينظر م . ن : ٢٣٠

على معنى العبودية والتضرع الى الله عز وجل . ثم يختم المحلل معالجته لبيان القيمة التّداوليّة للقصيدة ، وذلك من خلال تعبير الشاعر عن قضية الذات العربية في مواجهة الآخر بإسلوب ضمني ينجز سلسلة من الأفعال اللغوية تصب جميعها في فعل كلي هو فعل التحريض عبر صيغ لغوية مختلفة من أمر وتعجب ونداء واستفهام واخبار ويصاغ الفعل التحريضي بنيويا بصيغة فعل طلبي انشائي يسعى الى الإقناع بالتأثير في عواطف النـــاس .

رابعا : شعرية السّرد في قصيدة القتيل رقم ثمانية لمحمود درويش

يمهد المحلل في هذه المقاربة بتقديم نظري لأهمية التحليل اللساني النصي الجامع بين القواعد التركيبية والدلالية والتّداوليّة وتجاوز هذا المنهج الـــوصف النـــحوي الجملي القائم على مبدأ التجزئة الى المكونات المباشرة ، ويوجه العناية والتركيز الى أهمية الفعل التأثيري لاسيما الجرس والتنغيم صوتيا ، ويتكأ في المستوى التركيبي على جهود فان دايك في التركيز على العلاقات النحوية بين الجمل التي تحقق الإنسجام .[1] اتخذت المعالجات التّداوليّة لنص محمود درويش أبعادا عديدة منها ما يتعلق بآلية التكرار متخذة صوراً مختلفة منها تكرار الفعل (كان) وتكرار الضمير(هي) للغائب و(أنا) للمتكلم و(هم) ضمير الجامع الغائب . وقد ولّد الفعل المنجز – القتل- آثارا من الأسى ومشاعر أليمة كشفتها القصيدة بالوسيلة اللغوية. أما القصد كونه أحد المفاهيم الرئيسة في المنهج التّداوليّ فقد سجل حضورا بارزا في تحليل القصيدة لكنه قصد كان حصيلة دلالة النص وبناه الأسلوبية . وكشف المحلل عن أهمية الإحالة النصية والمقام في مقاربته لنص محمود درويش على مستوى السبك النصي وقسم تلك الإحالات على نوعين إحالة نصية وإحالة مقامية ووظيفة الإحالة الأخيرة الكشف عن علاقة البنية بالعالم ، ثم يتوغل في أعماق النص لبيان خصائص الإحالات النصية وعلاقاتها إذ يشير أنّ ضمير الغائب لغير العاقل متحكم في بناء المقاطع الوصفية ويبرز أيضا دور الإلتفات تداوليّا فـــــي الإنتقال . أما الانتقال المعنوي

---

[1]- ينظر م . ن : ٢٣٢

للإلتفات فتظهر بتغيير وضعيات الذات من حال الى أخرى من الطمأنينة الى القلق والخوف أو تحول الطبيعة الهادئة الى مشاهد مأساوية ، فالخضرة وزرقة السماء تحولتا الى بركة دم حمراء .

وأكثر الروابط التّداوليّة حضورا في القصيدة فهي الواو في أنساق متعددة ويفسر توظيف هذا الرابط تفسيرا تداوليّا يتناسب مع نية الوصف والتقرير الذي سيق في تصوير مقام الواقعة وسرد حوادثها . يتوجه عناية المحلل بعد ذلك الى الحقول الدلالية للنص ثم بنيته الدلالية الكبرى كون النص حدثا كلاميا أو بنية نصـية كبرى حسب تعبير " فان " دايك مبرزا أهمية تلك الحقول . بعد ذلك يفعّل المحلل مقولة الناقد الفرنسي " تين " بضرورة دراسة النص وعلاقته بمجموع أعمال الشاعر أو الأديب وهذا المنحى التّداوليّ في التحليل والمعالجة له أهميته في تحديد الموقف والرؤية وفي رسم بانوراما الدلالة ؛ لأنّ هذه القصيدة في احالتها على فضاء الديوان وموضوعه الأساسي " فلسطين " تكوّن أبعاد الرؤية الشعرية لديه .[١]

خامسا : تراتيل الغربة لعليّ عقلة عرسان : أولى خطوات المعالجة التي فعّلها المحلل اجرائيا هي الإمساك بالدلالة الكبرى للنص من حيث أن القصيدة أو النص هو حدث كلامي مؤلف من متتالية أفعال كلامية ، وهذه الدلالة هي " دفقة كراهية المستعمر والرغبة في القصاص منه بالثورة عليه " .[٢] واتخذت هذه البنية الكبرى للتعبير عن نفسها تداوليّا بنى شكلية وظواهر لسانية أهمها ١- التكرار . ٢- التصوير : حرص المحلل من خلال معالجته له إبراز إيحائية الصور وطبقات الدلالات وأثر الصورة في المتلقي وتحليل الصورة في سياقها الوارد ليفضي بعد ذلك الى الإمساك بالصورة الكبرى للقصيدة المتكونة من حاصل اجتماع مجموعة من الصور ، ذاكرا بعد ذلك استـعمال الشاعر لتقنيات التصوير ، وعلى

---

[١]- ينظر م . ن : ٢٣٤ - ٢٣٦

[٢]- م . ن : ٢٤٠

مستوى الآثار المولّدة من ردة فعل المتلقي وربط الرموز بالسّياق العام لتجربة الشاعر في التعبير عن موقفه الراهن لإحداث معادلٍ موضوعي بين الحالة النفسية للشاعر والعالم الخارجي .

وفي المدار التّداوليّ يقرأ المحلل قصيدة علي عقلة عرسان كون الشاعر يعبر عن المعاني الإنسانية من التجربة الذاتية ولعل هذا في العمل ما يجعل النص أكثر تأثيرا وأقدر على تحقيق سمة الفرادة في العمل الإبداعي .[١] لقد تحققت هذه الوحدة بوساطة مجموعة من الوسائط والأساليب لاسيما التكرار والمفارقة والمقابلات . كما يوجه المحلل العناية وعين الرعاية الى سلسلة الأفعال الكلامية وهو بصدد قراءة البنية الدرامية كتقنية فنية لجأ اليها الشاعر في قصيدته.

ويسلط الضوء على احاسيس الشاعر وعواطفه وأفكاره وما يختزل قلبه من مشاعر في معالجته للمونولوج الوارد في بنية القصيدة لتعكس هذه البنية الفنية الحالة النفسية للشاعر والرغبة في الإنتصار للأخ الجريح وهذه المحاولة تنصب في التحليل التّداوليّ .ويفعّل المعالج أيضا مفهوم الإفتراض المسبق ولاسيّما في قوله " إنّ تاريخ الثورة وما يكنفه من نضالات يؤكد على عدم وجود أدب أو ثقافة أو فن في غياب الإستقلال والحرية ..." .[٢]

وتمثل الأرض السلبية بمقدساتها والدماء الزكية التي سالت عليها هي فكرة المحور والأكثر تداولا ليست في هذه القصيدة فحسب بل في أعماله الإخرى بصفة عامة .[٣]

سادسا : نبض النص الشعري من تشكيل الدال الى تغريض المدلول خطاب في سوق البطالة لسميح القاسم إنموذجا

تقوم معالجه نص سميح القاسم بتنوير النص تداوليّا من خلال محاور هي ١- عدّ النص

---

[١]- ينظر : م . ن : ٢٤٠ - ٢٤٣

[٢]- م . ن : ٢٤٨

[٣]- ينظر م . ن : ٢٥٠

كتلة لغوية متماسكة من العلامات وتقترب مقاربته من مشروع شارل موريس وفرنسيس جاك الذي يدرس علاقة العلامة بمؤوليها في الخطاب . ٢- ينظر الى النص بوصفه رسالة لغوية متسقة من الأفعال الكلاميّة وبناء من العلاقات والجمل والألفاظ والمقاطع . ٣- يتجاوز الوصف النحوي من مجال الجملة الى مجال أرحب هو الخطاب. ٤- يبين أهمية نص سميح القاسم على مستوى الشهرة والقراءة من منظور تداوليّ وذلك لقدرته على التأثير وهو مطلب تداوليّ مهم . ٥- يظهر ظواهر الإتساق وعناصرالربط البسيطة مثل حروف العطف والمركبة مثل إسماء الإشارة والموصولة وضمائر الإحالة والمركبات الحرفية والظرفية . ٦- عدم اغفال سلطة المتلقي وتقاطعها مع عالم المبدع. ٧- اضفاء الصفة الديناميكية على الخطاب وتغريضه من حيث هو فعل انجازي يراد إيقاعه مباشرة أو ضمنيا. ٨- يرى المبدع في انتاجه الأدبي ينجز عمله بالوعي الذي تتحدد فيه مواضع التأثير في القارئ من خلال قنوات التبليغ وآلياته .[١] ٩- في المكون الموضوعاتي يستعرض المحلل الملف السّياقي للقصيدة أو مناسبة النص ويسلط الضوء على عناصر المقام من المؤلف – سميح القاسم والزمان عام ١٩٦٧تاريخ كتابة القصيدة وجنس القصيدة – نص شعري حداثي- وموضوع القصيدة وهو الصمود والمقاومة وكذلك المعطيات المتّداولة المتعلقة بأفكار الشاعر ومشاعره الشخصية ورغباته . ١٠- يتحد أفق القصيدة

مع أفق التناص الأسطوري وفضاء المناصصة بوصف التناص أجراءً تداوليّا . ١١- سجل المحلل حضورا بارزا في التّداول لضميريّ المتكلم والمخاطب. ١٢- تمفصل القصيدة على أربعة أقسام اجراء سيميائي تداوليّ كون التّداوليّة امتدادا للسّيميائية. ١٣- ينجز المؤلف والشاعر في المقطع الأوّل سلسلة من الافعال الكلاميّة تشي بدلالة التحدي والصمود . ١٤- في المقطع الثاني تقف حزمة من الأفعال الكلاميّة ذات الدلالة السلبية المستندة الى الضمير المخاطب يتصدره أفعال أسندت الى المخاطب في صيغة الحاضر للدلالة على تجدد أجواء الابتهاج بعودة الضال (يوليسيز) الى أرض الوطن . ١٥- رصد المحلل السهولة في التعبير والألفاظ والعبارات في بنية القصيدة مما يجعل لغتها قريبة من التخاطب ومن ثم فأنّ

---

[١]- ينظر م . ن : ٢٥٧- ٢٥٨

اللغة الشعبية والحوارات اليومية هي الشغل الشاغل للتّداوليّة. ١٦- رغم البساطة والسهولة في الألفاظ والمفردات إلاّ أنّ اختيار المؤلف للألفاظ مليئة بالرموز والإيحاءات مما يكثف التجربة الشعورية ويعطيها قوة ايحائية كثيرة .[١] ١٧- العناية بالإشاريات الشخصية ولاسيّما ضمائر الذات المتصلة البارزة في مركبات اضافية. ١٨- عالج المحلل القصيدة من زاوية الموازنة بينها وبين القصائد التحررية الأخرى قائلا : وخلافا لقصائد الشعر التحرري التي تعتمد أساسا الأفعال الانجازية المباشرة من خلال صيغ الأمر والنهي والإستفهام وغيرها من الأفعال الطلبية نجد الشاعر كثف تجربته في مشهدها الختامي بخطاب تحذيري . ١٩- حلل الناقد دلالة الفعل الانجازي من نوع الوعدي الالتزامي في القصيدة تحليلا سياقيا ينسجم مع المقام الذي يحدد في ضوء التواصلية المقصودة للمتكلم . ٢٠- ترشح في تحليله لمقطع " يا عدو الشمس .. لكن لن أساوم والى آخر نبض من عروقي سأقاوم" مستويات من المعاني والدلالات في القراءة والتأويل . ٢١- اتجهت المقاربة التّداوليّة للمكون التخييلي أو مجال الصورة اتجاها يتضمن الكثافة المضمونية والتأثير في المتلقي بفعل الإنسجام والتآلف . ٢٢- العناية بالقصديّة أي قصدية المتكلم هي سمة بارزةفي معالجته ولاسيّما في الخطاب المجازي بصورة المتنوعة من الإستعارة

والمفارقة والرمز . ٢٣- إنّ احتفال النص بالرموز والتناص مع الإسطورة أدّيا وظيفة الإقناع للتأثير في المتلقي . ٢٤- لم ينأَ المحلل في مقاربته لنص سميح القاسم عن موسيقى النص الداخلية من الوجهة التّداوليّة ، فقد أظهر أن موسيقى الوزن أو البحر كما هي أمام تغيرات الإيقاع والنغمة صارت لها جوقة تعزف انغامها عدة آلات يحكمها نظام تحدده الحالة النفسية التي تنتفض صاعدة، نازلة فتستدعي في كل مرة من النغم ما يكون أكثر كفاءة لنقل هذه الأحاسيس " .[٢]

سابعا: حبك النص في مديح الظل العالي لمحمود درويش دراسة نحوية نصية

---

[١]- ينظر م . ن : ٢٦٢

[٢]- ينظر م . ن : ٢٧٠

يبدأ الناقد تحليله لهذه القصيدة الملحمية بمهاد نظري لتشمل قراءته النقدية مستويات بنية النص السطحية والعميقة في علاقة أجزاء النص ببعضها وارتباط النص من حيث هو بنية دالة بالسّياق المقامي ودور المتلقي في التأويل ويمكن ادراك النص بصفته كلا مترابطا بفعل علاقات تركيبية معينة وبتوظيف ادوات الإحالة والعائد والروابط .[١] بعد ذلك ينير المحلل السّياق المقامي للقصيدة إذ تمثل مرحلة من حياة الشاعر أثر هجرته من فلسطين الى بيروت بداية السبعينات بعد مذابح أيلول في الأردن . ثم تمر المقاربة النصية لهذا المنجز الشعري عبر : ١- ظواهر تماسك النص على المستوى النحوي فقد عملت الروابط التّداوليّة على قدر كبير من الاتساق بين أجزاء القصيدة ٢- يربط السّياق المقالي بالسياق المقامي في معالجته للزمن . ٣- يرصد المحلل درجات الخفاء والتجلي لدلالات الصورة الكنائية. ٤- يعمل التوازي دورا كبيرا في نمو النص واستمرارية عطائه . ٥- يسعى الناقد الى كشف العلاقات بين المقاطع على المستوى المعجمي الدلالي مركزا اهتمامه على جملة ظواهر لها أثرها في ربط النص والتأليف بين معانيه وهي التكرار والتضام والترادف والتقابل وعلاقة العام بالخاص والكل بالجزء . ٦- وقد ركز الناقد اهتمامه على دور السّياق في التأويل

والإفتراض المسبق كمدخل لتأويل العلاقة بين بنية النص وفضائه ووضح بإقتضاب دور كل من "يول براون" و"فـــان دايك" في ذكـر عناصر السياق وأهمية السياق الإجتماعي في الفهم والإنتاج . ٧- إنّ السّياق هو الذي يحدد مجموعة من الافعال الكلاميّة المهيمنة على الشكل النصي . ٨- عالج مسألة القصائد المعراة من السّياق لاسيما النصوص الحديثة بخطوات أهمها وجود القارئ الضمني ، وملف التعريف كما حدده " ليتش وشورت" لا يتقاسم مع المؤلف المعرفة الخلفية فقط بل يتقاسم معه أيضا مجموعة من الإفتراضات والآمال والمعايير حول ما هو ممتع وما هو مؤذٍ ، وما هو قبيح وما يعد صحيحا وما ليس كذلك.[٢]

---

[١]- ينظر م . ن : ٢٧٣

[٢]- ينظر م . ن : ٢٨٢

اتخذت الإشاريات بأنواعها المختلفة من التأشير الشخصي والمكاني والزماني مساحة واسعة في تحليل مقطع برهاني متكون من بنى مقطعية صغرى ، ويسلط الضوء كذلك على معتقدات الشاعر وآرائه وامتداده الفكري والأدبي لاسيما تأثره بالمذاهب الأدبية الغربية كالرومانسية والرمزية وتوظيف ذلك لتوصيل المعاني والتأثير في النفوس والعناية بموقع القصيدة من مجموعة أعمال الشاعر أو ما يسمى في لسانيات النص بإطار الشاعر لأجل ادراك عالم القصيدة وفهمها بصورة أكبر . كما بين أهمية التناص في القصيدة ودور النصوص المتناصة مع قصد المنتج . ويفعّل المحلل مفهوم الإفتراض المسبق من خلال التناصات ذات المرجعيات المتنوعة من التناص الديني والتناص التاريخي والتناص الإسطوري ويتم معالجته للنصوص المتعالقة قائلا : " إنّ ما سبق ذكره من النصوص... تخدم مقصدية النص وهي من ناحية ثانية منسجمة معه وهذا الانسجام يدركه متلقي القصيدة " .[1] كما وجه المحلل عنايته وتركيزه على الثيمات الصغرى ليفضي الى الموضوعة الرئيسة التي تمثل البنية الكلية للمخاطب .

ثامنا : لغة الخطاب الصوفي وبنياته الدالة في شعر أبي حامد الغزاليّ –دراسة لسانية نصية-

تشكلت بنية التحليل والمعالجة للقصيدة من حزمة من الخطوات والمراحل استهله الناقد بالحديث المستفيض عن الغزاليّ دينيا وصوفيا وفكريا وذكر قصائده الشعرية وجمعها وتحقيقها وصحة نسبتها الى الشاعر ثم ولج الى البنية الموضوعية وتقطيع القصيدة الى ستة مقاطع وتحديد البنية الدلالية الكبرى هي النفس اللوامة وربط البنيات الصغرى والكبرى بوحدة العطاء الفكري لدى الغزاليّ شعرا ونثرا . ثم أولى الإشاريات ولاسيّما ضمير المتكلم وضمير الغائب مساحة كبيرة في التحليل والمعالجة وسلط الضوء على وظيفتهما التعبيرية والمرجعية من خلال الإحالة على الذات أو النفس والمقامات المحيطة

---

[1]- م . ن : ٢٩٢

بالوجود الإنساني .[١]

واكد على قدرة النص على التأثير والإقناع في اتجاهه الموضوعاتي على القارئ وهذا هدف تداوليّ بحت عبر إسلوب العرض ونمط البناء والشكل العام .[٢] ومن النتائج التي استخلصها المحلل على مستوى اللغة الشعرية بساطة الألفاظ وسهولتها ووضوحها وبعدها عن الإغراب والألغاز والتنوع الإسلوبي على مستوى صياغة العبارات طلبا وإنشاء ومجازا والعناية بأحوال السياق لإنتاج التراكيب والمقاصد ، ويمكن عدّ فعل التوبة والعودة الى الله أوّلى السلوكيات المنجزة وقد أنجز بشكل صريح ومباشر. ويرصد المحلل أيضا أفعالا انجازية غير مباشرة ، الى جانب تحديد جملة من استراتيجيات المؤلف في بناء الفعل الكلامي والتعبير عن قصده الصريح وغير الصريح وكذلك الإشارة الى العلاقة بين الفعل المتضمن في القول والفعل التأثيري من خلال الربط بين البنى التركيبية وما تحققها من وظيفة تأثيرية في السامع .[٣]

وعولج الرمز والصورة معالجة تداوليّة على مستويات ثلاثة هي مستوى الدلالة المكثفة والشفافة ومستوى التأثير والإستجابة ومستوى السّياق الوارد فيه الرمز والصورة . ثم ينسل من تقنية الحذف لإضاءة مفهوم الإفتراض المسبق وعلاقته بالسياق لتحقيق غايات تأثيرية ، وأيضا العناية بتحليل المعجم الشعري في ضوء نظرية الحقول الدلالية للكشف عن اجتماع عدد من الإلفاظ التي ترتبط بموضوع رئيس يمثل العلة في استدعائها سياقيا مثل ألفاظ الوعيد والرجاء والمعصية والطاعة. وأفرد المحلل جانبا من مقاربته لتحليل بنية الشرط بغرض التمني وتوزيع هذه البنية وتكرارها على جسد القصيدة .[٤]

---

[١]- ينظر م . ن : ٢٩٧

[٢]- ينظر م . ن : ٢٩٨

[٣]- م . ن : ٣٠٤

[٤]- م . ن : ٣٠٤- ٣٠٥

يمكننا أنّ نوجز الرؤية الإيجابية لهذه المجموعة من المقاربات بالنقاط الآتية :

١-خروج الناقد من قوقعة النص اليتيم المغلق إلى واحات النصوص في ديوان الشاعر .

٢-يستثمر الناقد مفاهيما متعددة من علم السرد مثل السرد والوصف والإسترجاع وأخرى من مناهج نقدية شهيرة كالسيميائية والإسلوبية الإحصائية ونظرية القراءة والتلقي والخطاب لاسيما الإتساق والإنسجام في التحليل والمعالجة .

٣-العينات الخاضعة للمقاربة لصيقة بالمشهد اليومي والأحداث الواقعية .

٤-تكمن أهمية المعالجات في بيان القيمة التّداوليّة وربط النص بالسياق والكشف عن المقاصد ، والعناية بأهمية الفعل التأثيري .

٥-تؤكد النصوص المختارة كلها على مستوى الثيمة الرغبة في التغيير وعدم اليأس منه ، وتسير موضوعات القصائد وأغراض في مدار الحرية والإستقلال وصراع الحق مع الباطل بوصفها قضايا مصيرية ومعاشة للإنسان العربي .

أما الرؤية السلبية فيمكن تلخيصها بما يأتي :

١-طبق هذا المنهج على نصوص شعرية حديثة ، وكأنّه يشير من طرف خفي وبعيد عدم كفاءة وصلاحية هذا المنهج في معالجة النصوص القديمة .

٢-عكس الناقد الطرح التّداوليّ في موضوعة انتاج المعنى ، فبدلا من البحث عن قصدية المتكلم ، ذهب في تحليله إلى مسألة انتاج المعنى . وتجاوز في فقرة تحليل العنوان مبدأ القصدية قائلا : " ويبقى العنوان دائما قراءة مفتوحة للقارئ " . أما في تحليله لشعرية السرد في قصيدة القتيل لمحمود درويش فإنه بحث عن القصد المولّد بفعل البنى الإسلوبية للنص لا قصدية المتكلم .

٣-توارى مبدأ التعاون لكرايس والقواعد المتفرعة منه بوصفه اجراء تطبيقيا في التحليل التّداوليّ الذي اتخذه منهجا له .

٤- الإستطراد العريض والحديث المستفيض أحيانا عن السياق المقامي وكل ما يتعلق بالشاعر من معلومات .

وبهذا نكون قد فرغنا من القول من مقاربات الدكتور نعمان بوقرة لنحط رحالنا في مصنف آخر تناول الفصل الثالث منه مسارات ورؤى تداوليّة في التطبيق وأعني بذلك **" التّداوليّة في البحث اللغوي والنقدي " تحرير أ.د بشرى البستاني** وقد اشتمل هذا الفصل على خمس مقاربات تداوليّة ثلاث منها اتخذت من الموروث الشعري مادة للتحليل والمعالجة ورابع هذه المدونات اتجهت صوب المدونات البلاغية واختارت موضوعة **" التقديم والتأخير"** في كتاب **الإيضاح للخطيب القزويني** مثالا لها . بينما رست سفينة اختيار التدريسية **نور وليد علي** على مفهوم **" الإقتضاء التخاطبي " لدراسة آيات من سورة الإنعام .** وتمسكا بمنهجية البحث ووحدة اطار مادته سنكتفي بالمعالجات التّداوليّة التي اتخذت من الخطاب الشعري مادة لها وأولى هذه المعالجات هي القراءة التّداوليّة الموسومة ب **" الفعل الكلامي النصي قصيدة وتعطلت لغة الكلام لمفدي زكريا إنموذجا " للأستاذ الدكتور عبد الحليم بن عيسى من جامعة وهران ، الجزائر .**

لقد ألزم المحلل نفسه في هذه المقاربة تطبيق اجراءآت نظرية الفعل الكلامي والنقلة النوعية التي شهدتها التّداوليّة على يد فان دايك من التحول من الفعل الكلامي على يد جون أوستين وسيرل الى الفعل الكلامي النصي والنظر الى النص بوصفه سلسلة من الأفعال الكلامية تخدم فعلا كلاميا شاملا مستهلا تحليله بفرشة تاريخية لنشـــــأة نظرية الأفعال الكلامية وتطوّرها وعرض المفاصل المهمة من نظرية أوستين لاسيما الوجه الإنجازي وصراعه مع الفلاسفة حول وظائف اللغة وفي مقدمتها الوظيفة الإنجازية وطرحه للدعامتين اللتين أعتمد عليهما أوستين في اكتشاف الأفعال الكلاميّة وتصنيفها وهما القصديّة بوصفها الأساس الذي إنبنت عليه نظرية الأفعال الكلاميّة والسّياق العام بأنواعه ، وإنّ دلالات الأقوال هي جزء لا يتجزء من السياقات . والإقرار بأنّ الوحدة الأساسية للتواصل الإنساني هي انجاز بعض أنماط الأفعال وذلك انطلاقا من موقف معين . وأشار الى الأصول الفلسفية لنظرية أفعال الكلام ولاسيّما صنيع " فتجنشتاين " الذي كان له الفضل الكبير في التأسيس لهذه النظرية واطلاقه مصطلح ألعاب اللغة الذي يتجه نحو الإستعمالات اللغوية انطلاقا من

مقتضيات التواصل الإجتماعي في المقامات المختلفة . وجهود تلاميذه من بعده لاسيما سيرل وفوندرليش ملخصا بعد ذلك أهم القضايا التي طرحها سيرل ومنها :

١-إنّ مفهوم الفعل الكلامي مرتبط بمراد المتكلم وبالعرف اللغوي والإجتماعي الذي يتقاسمه أفراد البيئة اللغوية المعينة .

٢-بيان الفعل الإنجازي يمثل وحدة مركبة من ثلاثة عناصر فعلية مترابطة فيما بينها وهي فعل القول والفعل المتضمن في القول وهو الفعل الكلام الحقيقي والفعل التأثيري .

٣- إعادة النظر في تصنيف الأفعال الإنجازية مؤكدا أنّ جهود أوستين كانت موجهة الى دراسة الألفاظ أي لفظ الفعل وليس الفعل المنجز بكل ما يحمله من حركية ومادية ، وقسم الأفعال في ضوء الغرض الإنجازي واتجاه المطابقة وشرط الإخلاص ضمن خمسة أصناف هي التقريريات والتوجيهيات والإلتزاميات والتعبيريات والإيقاعيات.

٤-ادخل مفهوم الأفعال الكلامية غير المباشرة المرتبطة أساسا بقصد المتكلم ووسع في شروط انجازية العبارة اللغوية وسمّاها شروط الملائمة أو الاستخدام . لكن جهود سيرل كلها كانت تقف في حدود الفعل الكلامي البسيط ولم يتعد سلسلة الافعال الكلاميّة التي تكون على مستوى النص ككل وهذا ما قام " فان دايك " أي أنّه بالامكان تحليل النصوص على المستوى التّداوليّ بوصفها تتابعـــات من أفعال اللسان ويقتضي هذا أولا الوقوف على السّياق التّداوليّ الذي ينتج منه النص وتناول النص بوصفه فعلا كلاميّا أكبر انطلاقا من سياق ما ثانيا .[١]

ولتحليل النص بوصفه متوالية من أفعال كلام يرى فان دايك أنّه يجب التركيز على:

١-السّياق لما له من دور كبير في تشكيل النص وتأويله بوصفه متوالية من افعال الكلام .

---

[١]- ينظر التّداوليّة في البحث اللغويّ والنقديّ ، تحرير أ.د. بشرى البستاني ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – لندن ، ط١ ، ٢٠١٢ : ٣١١- ٣٢١

٢- يتكون السّياق التّداوليّ الذي ينتج فيه النص من مجمل العوامل الإجتماعية والنفسية التي تحدد بدقة مناسبة أفعال الكلام وفي اطار هذه المعطيات تتحدد القوة الإنجازية للنص.

٣- تؤول متوالية الأفعال الكلامية كفعل واحد إذ صح تعيين الغرض أو الهدف الكلي العام الذي تقوم عليه .

٤- يتأسس الفعل الكلامي النصي على سمات خاصة تقوم على الترابط والإتساق وتوزيع المعلومات والجمل وترتيب بمتواليتها مما يخلق ملائمة تلك الخصائص لغاية القيام بإنجاز متواليات قوى أفعال الكلام . وبيّن فان دايك أنّ التراتبية التي تقوم عليها الأفعال الكلاميّة تستدعي طريقة معينة في تأليفها وترابط قضاياها وحتى في اقتضاءآتها التعبيرية فالعلاقات بين الافعال القولية ليست دلالية فحسب بل هي علامات تداوليّة تؤديها مجموعة الروابط ذات السمات المميزة والتي تستمد فعاليتها من معطيات السّياق التي تتعالق به مثل أدوات الربط العلية والإستنتاجية .[١]

أما أولى خطوات تحليل قصيدة " وتعطلت لغة الكلام" لمفدي زكريا فقد بدأ بتسليط الضوء على ملف القصيدة وقد نظمها الشاعر في سجن بربروس في فبراير \ شباط ١٩٧٥ إثر خذلان المنظمة العربية للقضية الجزائرية في ثورتها الثالثة عشرة فساق هذا الخطاب ليؤكد

فيه أن الحرية تؤخذ ممن أصابه الوقر بغير لغة الكلام ثم تلا ذلك بيان لعناصر السياق التواصلي فالمتكلم هو الشاعر مفدي زكريا أما المتلقي فهو فرنسا وحلفائها في هيئأة الإمم المتحدة اما المناسبة فهي الرد على قرارات المنظمة الدولية التي خذلت القضية الجزائرية و ثم كشف بعد ذلك أن الفعل الإنجازي المهيمن في النص هو التأكيد للإستعمار ومنه لمنظمة الأمم المتحدة أنّ لغة الرشاش ستحل محل لغة الكلام بعدما خيب آمال الشعب الجزائري بعبارة أخرى كان الفعل الكلامي المسيطر هو الفعل التقريري ، ثم سلط الضوء على الأفعال الكلاميّة المساعدة التي عملت على تحقيق القوة الإنجازية الشاملة للقصيدة منها

---

[١]- ينظر م .ن : ٢٣٢

توظيف الإلتزاميات ، واستعمل الشاعر التوجيهيات مخاطبا فيها جبهة التحرير بقصد حمل

الثّوار على المواجهة ومواصلة الكفاح من أجل الشهادة أو نيل الإستقلال ثم أطنب قليلا في بيان التراتبية التي قامت عليها الأفعال الكلاميّة فالشاعر ساق مجموعة من الافعال التقريرية ثم أورد أفعالا توجيهية دعا فيها الشعب الى التحرير ثم قدّم أفعالا تقريرية أكد للمستعمر وذكّرهم بأنّه قد انقضى السلب والنهب ثم تلت ذلك أفعال تقريرية أخرى أكد فيها مدى الترابط مع الأمة العربية من جهة وسمو الرسالة التي يحملها شهداء الثورة ، وكل قسم أسهم في الغرض الذي تقوم عليه التقريريات ، ومما يدعم هذا الاتجاه استعمال الشاعر في بعض الأحيان الافعال الكلاميّة القائمة على السخرية بتوظيف الإستفهام وخروج دلالته الى غرض تأكيد الدعوة بلهجة ساخرة . ورصد في تحليله نماذج من الخطاب المجازي ولاسيّما الإستعارة والتشبيهات بوصفها أفعالا تقريرية غير مباشرة تعطي للقصيدة بعدا تأثيريا أبلغ من التقرير المباشر ثم تطرق المحلل الى أنواع السّياق الإجتماعي مؤكدا أنّ القصيدة قد جعلت بخصوصيات اجتماعية قوامها الإحترام والوقار للشهداء أو الثوار من جهة والإزدراء والإحتقار للإعمال الإجرامية التي قامت بها فرنسا من جهة أخرى ، واستقى الشاعر من طبيعة المجتمع الجزائري بعض الإستعمالات التي تسهم في بلورة الفعل الكلامي النصي من ذلك عبارات " مقصوص الجناح ، حرب الخلاص ، حول الفضيحة " ثم تلا ذلك السّياق الديني موظّفاً الشاعر معطيات هذا السّياق في بلورة الوظيفة الكلية لإنجاز النص وأشار الى فاعلية الإقتباسات في القصيدة لإعطاء الفعل الكلامي النصي قوة وشرعية من نوع خاص لدى المتلقي من ذلك " عنت الوجوه ، والزرع اخرج شطأه ، الذاريات ، الإنصاب والإزلام ". أما السّياق النفسي فيتعلق بمختلف التعابير والألفاظ التي يوظّفها كمؤشرات تقوم بوظيفة وصف نفس الشاعر ولخدمة الفعل الكلامي وظّف الشاعر مجموعة من الأقوال التي تؤكد ردة الفعل القوية التي نتجت عن خذلان منظمة الأمم المتحدة للقضية الجزائرية إذ أضحى الثوار حكمهم عزما وثقة وصلاحية .[1]

---

[1]- ينظر م . ن : ٣١١ – ٣٣٣

تتجسد ايجابية هذه المعالجة في التفريق بين جهود أوستين وجهود سيرل عن مفهوم الفعل الإنجازي ، واتخاذ السّياق نقطة انطلاق نحو تشخيص الافعال الإنجازية بحسب التصنيف الخماسي لسيرل وبيان أهمية الإستجابة ودورها في عملية التفاعل بوصفها فعلا تأثيريا يبحث عن خذلان منظمة الإمم المتحدة للقضية الجزائرية .

ثانيا: الحِجاج في الخطاب الشعري الحديث قصيدة...لا تَصالُح ...لأمل دنقل نموذجا
أ.د.ورقاء يحيى قاسم المعاضيدي

بدءا ذكرت المحللة أهمية البحث في الكيفية التي يمكن للحجاج أن يشتغل فيها داخل اطارالشعرية وبيان علاقة هذا المصطلح بالتّداوليّة وكيف أفاد الحجاج من نظرية أفعال الكلام ثم ولج بعد ذلك مباشرة الى أنّ الحجاج في قصيدة " لا تصالح " هو رفض الصلح مع العدو الصهيوني الذي اغتصب فلسطين . ثم الإشارة الى العناية التي أولتها التّداوليّة بالحجاج وأبرز روّاده لاسيما أوزفالد ديكرو وارتباط الحجاج بالتّداوليّة تحت التأثير الكلامي واهتمام الحجاج بشكل خاص بالتواصل الحواري . ومقاربة المحللة تسعى الى تحليل الخطاب الشعري بوصفه خطابا حجاجيا وهي لا ترى في الحجاج نمطا من أنماط الخطاب المتعددة بل هو ركن متضمن في الخطاب ذاته . وأبرز سمتين موجودة داخل كل خطاب حجاجي هما : التفاعل ويكون على ضربين حقيقي ، وافتراضي . والتحاورية . ثم ذكرت أبرز خصائص النص الحجاجي وهي : الإنسجام والتناغم ، الحياد ،

التوجيه ، الاستدلال . ثم انتقلت بعد ذلك طرق ورود الحجاج ، فأمّا طرق الحجاج فإنّه يورد بطريقتين أولهما : متخفٍّ أو غير متخفٍّ وثانيهما : صريح أو غير مباشر . وعليه يمكن التمييز بين المقصد الحجاجي الصريح والمباشر وبين البعد الحجاجي المضمر وغير المباشر . بعد هذا المهاد النظري تلج المحللة الى القصيدة تحليلا ومعالجة وأرتات ان تكون آليات الحجاج أولى مراحل المقاربة ومن أهم آليات الحجاج المرصودة في القصيدة : آلية الأخبار والتفسير والإقناع ، وتظهر هذه الآلية خلال الأسلوب الخبري في القصيدة واتخذت من العنوان العينة الأوّلى في التحليل والمقاربة بوصفه جزءا مهما من النص على مستوى

الاتساق والمقصدية تم رصدت ظواهر تماسك النص وأبرزها التكرار وتفعيل الإفتراض المسبق واحتوى العنوان على مستوى البنية التركيبية قوة انجازية حرفية توفرت في الجملة بوجود النهي ، ثـــــم تخلص الى نتيجة مفادها العلاقة بين النص الحجاجي وبين الإفتراض المسبق وترى المحللة أنّ بنية التكرار هي من استراتيجيات اقناع المتكلم لتقوية قوة المنطوق الإنجازية وقد وردت هذه البنية في القصيدة ٢٢ مرة وتتبعت المحللة قوى انجازية مختلفة في النص الشعري وفسرت ذلك على أنّها علامة " على قدرة المؤلف على الإستعانة بكل ما يساعده على اثبات دعواه ليحقق ميل القارئ اتجاه قضيته المطروحة " .[١] ومن أبرز تلك الأفعال الإنجازية هي الفعل الإنجازي الإستفهامي بوساطة الأداة هل والهمزة وخروج هل عن دلالته الحرفية الى دلالة الإستنكار الضمني ، بعدها ذكرت المحللة وسائل اقناع لغوية أخرى كالتوكيد والشرط والنفي والتكرار اللفظي والمعنوي وأساليب الإنشاء من الإستفهام والنداء والأمر وكذلك أحرف العرض ومنها (لو) وهو كثير ما يستعمل في الخطاب الحجاجي لتقوية المنعة لديه مهما حاولوا اغراءه بالمال والسلطان . كما أبرزت المعالجة دور الحوار بوصفه تقنية فنية في الخطاب الحجاجي في القصيدة . كما فعّل الشاعر صدق الحجة باستعمال إسلوب الجزم ، من جانب آخر مسكت المحللة ببنية القيم في المحاججة ووزعتها على حقول دلالية منها الحق ، والإستعطاف . كما رصدت المعالجة

التّداوليّة تقنيات الحجاج في القصيدة منها : الحشد والجمع. ومن التقنيات أيضا ، استخدام حجج السلطة ولقد ظهر في النص من خلال صيغة الأمر (أرو) التي تكررت لإقرار وتثبيت ما يدعو إليه وما يشكله هذا الفعل من دلالة على عطش معنوي ويخلص الحجاج أخيرا الى نتيجة يتوصل إليها أنّه من يحاول اقناعه بالبراهين هي عدم التصالح مع المعتدي. تتمثل الرؤية الإيجابية في هذه المعالجة بالإحاطة الكلية بآليات الحجاج وطرقه وتقنياته وتفعيل المفاهيم التّداوليّة الأخرى لاسيما القصديّة والإفتراض المسبق والفعل الإنجازي والتأثيري ، وكذلك دور الحوار في الخطاب .

---

[١]- م . ن : ٣٧٠

ثالثا : إنجازية أفعال الكلام مقاربة تداوليّة لنماذج من الشعر العبّاسيّ د. عبدالله بيرم يونس الراشديّ

يستهل الراشدي تحليله بمدخل نظري حول مفهوم الفعل الكلامي وأبعاده الثلاثة وهي الفعل اللفظي والفعل الإنجازي والفعل التأثيري ثم يشير الى جهود أوستين في التّداوليّة لاسيما التمييز في المنطوقات التقريرية والمنطوقات الأدائية ، وأنّ وظيفة اللغة لا تقتصر على وصف العالم فقط بل هناك وظائف أخرى ليخلص الى القول أن جوهر نظرية أوستين يكمن في أنّ الأقوال مؤدية الى أفعال ومن ثم هيمنت فكرة الأدائية على ذهن أوستين ، بعد ذلك يفصل الراشدي القول في العناصر التركيبية الثلاثة للفعل الكلامي ، وأنّ الفعل اللفظي يتألف في الواقع من الفعل الصوتي والفعل التركيبي أو التأليفي والفعل الإحالي أو الدلالي . أما الفعل الإنجازي وهو الفعل الأساس الذي يتأتى من خلاله معنى الإنجاز وهو المقصود من النظرية برمتها فيقصد به أن المتكلم حين ينطق بقول ما فهو ينجز معنى قصديا وهو ما أسماه أوستين بقوة الفعل ، وقد اشترط أوستين لتحقيق هذا المعنى الإنجازي ضرورة توفر السّياق العرفي المؤسساتي لغة ومحيطا وأشخاصا . وذهب الى أنّ الأفعال التي تحققت من طريق الإشارة هي غير داخلة في حقل الأفعال الكلامية وإنّما تدخل في مجال السيمياء .[١] أما الفرق بين الفعل الإنجازي وبين الفعل التأثيري فيمكن متابعته من خلال الفـــــــرق بين الصياغتين الآتيتين :

أ-في حال قولي كذا فقد حققتُ إخبارا أو وعدا أو تحذيرا.

ب-بوساطة قولي كذا فقد أزعجت مخاطبي أو أفرحته أو أقنعته. بعد ذلك ينتقل المحلل الى المحطة الثانية في مسيرة التّداوليّة أي جهود سيرل واسهاماته في نظرية الأفعال الكلاميّة لاسيما تصنيفه الجديد للأفعال الإنجازية أي الفعل الإنجازي المباشر والفعل الإنجازي غير المباشر . ويمثل الفعل الأوّل عند سيرل الذي يطابق قوتـــه الإنجازية مراد المتكلم . أما

---

[١]- ينظر م . ن : ٣٨٦- ٣٨٧

الفعل الإنجازي غير المباشر فسيتعرض الراشدي مجموعة من التعريفات ويناقش المشكلة التي تطرحها الأفعال الإنجازية غير المباشرة وهي كيف يمكن للمتكلم أنّ يقول شيئا ما ويعني ذلك ، وهو في الوقت نفسه يريد أن يقول شيئا آخر ، ومن ثم معرفة كيف يمكن للمتلقي أن يفهم الفعل الكلامي غير المباشر مع ما يدل على شيء أخر فعندما نقول مثلا الجو باردٌ في الخارج ونقصد به الإخبار عن حالة الجو فإنّنا نؤدي فعلا كلاميا مباشرا ، وعندما نقصد الى أنّ ندفع السامع الى أنّ يغلق الباب فإننا ننجز أمرا وطلبا ويكون فعلا كلاميا غير مباشر . ثم يتناول أهمية الأفعال الكلاميّة في الأدب وخلاصة طرحه في هذا المحور أنّه يمكن أن نفكر في الأدب بوصفه فعلا أو حدثا . وإنّ الأدب مكون من أعمال وليس ملفوظات معزولة ، وأنّ اللغة الأدبية وظائف عديدة منها وظائف تداوليّة ومنها وظيفة الخرق الدلالي والتأثير في المتلقي ثم يطنب القول في أنجازية الشعر وجوهر هذا المحور هو الحديث في تأثير الشعر و يستعين بنصوص من المدونة النقدية العربية وبآراء بعض المستشرقين لبيان مكانة الشاعر في منظور انتاجه للغة الأدبية وقوة أثر تعبيره على المتلقين ثم يقدم نماذج من النثر والشعر يبرز خلالها الفعل التأثيري للخطاب لاسيما الاستعاذة من فتنة القول وأشعار الكميت بن زيد ودوره في الحروب السياسية التي أثارت حروبا بين القبائل ، ثم يضيف قيمة البيئة الثقافية في تحديد وظيفة الشاعر الفعلية (التأثيريـة) .[1] ثم يلج المحلل كبد المقاربة ليضع شعر المديح الذي كـــــان يخاطب

الخلفاء والأمراء تحت مجهر التحليل التّداوليّ ويقسم الأفعال الإنجازية إلى :

١-القتل وفي هذا القسم شفع المحلل الخطاب الشعري بملف القصيدة والفعل التأثيري الصادر من المرسل اليه ويحدد الفعل الإنجازي التوجيهي بوصفه الفعل المهيمن على القسم الثاني من المقطع الأوّل للقصيدة وتتشجر تلك الأفعال التوجيهية الى النهي عن الصفح وترك عقوبة من بقي من بني أمية . وتغلب الأفعال الإنجازية ضمن مجال الإخباريات بحسب رؤية سيرل في نهاية القصيدة . وأكد في مقاربته على أهمية احالات الضمائر في

---

[1]- ينظر م . ن : ٣٩٠ – ٣٩٣

الخطاب ودورها في تحديد الدلالات والمقاصد في سياقاتها التّداوليّة كما يفعّل مفهوم الإفتراض المسبق ويعالجه بوساطة بنية النفي في القصيدة ولجأ الى ربط السّياق المقالي بالسّياق التاريخي لإيضاح الدلالة وتقويتها.

٢-ترك المشورة ، وهي ثاني الأفعال الإنجازية في الخطاب المدحي للخلفاء والأمراء كما هو واضح في تحليله لقصيدة إبراهيم بن هرثمة في مدحه لأبي جعفر تناول المعالج قوة الفعل التأثيري على المخاطب من حيث أنّ المنصور تحول من رجل دولة يستشير أهل الرأي والحكمة الى رجل مستبد لا يقبل رأي أحد .

٣-الطرب والنزوع السلوكي وهو الفعل الإنجازي الصادر من المتحقق فيخاطب الشاعر أشجع السُّلمي وهو يمدح هارون الرشيد . ويندرج هذا الفعل تحت مجال الإعلانيات.

٤-يمثل العطاء الفعل الإنجازي الأكبر في قصيدة منصور النمري في قصيدة مدح بها هارون الرشيد والفعل التأثيري الصادر من المخاطب والإشارة الى الأفعال الضمنية التي تدرك من الفعل المصرّح، وبيّن المحلل دور المقام في صناعة المعنى وتشكيله.

من أبرز تجليات الرؤية الإيجابية لهذ التحليل التّداوليّ هي امكانية سحب النظريات اللسانية الخاصة باللغات الإعتيادية إلى مجالات أرحب لاسيما الأدب واللغة الشعرية . أما الرؤية السلبية فتتجسد بغياب واضح للبعد الأوّل من الفعل الكلامي أي البعد القولي على الرغم من التفصيلات الكثيرة في المعالجة للفعل الإنجازي والتأثيري .

لقد وقفنا على جملة من الدراسات التداوليّة التي تناولت متونا شعرية ، وأوضحنا منهجيتها في التطبيق ، وسنحاول في الفصول اللاحقة التي بنينا عليها الأطروحة تجاوز ما أخفقت فيه تلك الدراسات بسبب التقصير أو القصور في فهم اصحابها لأدوات هذا المنهج وآلياته الإجرائية مبتدئين ب " القصديّة " – قصدية المتكلم - بوصفها العمودي الفقري في العملية التخاطبية والتواصلية بحسب المنهج التداوليّ والمركز الذي يدور في فلكه كلا من السياق والتلفظ والمخاطب .

الفصل الأوّل

القصديّة

المبحث الأوّل : قصديّة المتكلم

المبحث الثاني : استراتيجيات القصد ومستوياته اللغوية

المبحث الثالث : القصدية والإفتراض المسبق

المبحث الرابع : القصدية والسِّياق

المبحث الخامس : الإشاريات والمقاصد

المبحث الأوّل

قصديّة المتكلم

يشكل مصطلح القصديّة أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات الحديثة والركيزة الرئيسة الفاعلة في التّداوليّة ، أما المرسل فهو القطب الأوّل من أقطاب العملية التخاطـبية . ومن البديهي أنّ الأفعال هي ما يقوم الناس بعمله وقد يتردد الإنسان في اطلاق صفة الفعل على الشيء إذا لم يكن نتيجة لقصد الفاعل وعليه فلا يُسَمَّ الفعل فعلا ما لم يصحبه القصـــد .[١] والمقصديّة في سياق التّداوليّة تعني الدلالة والفهم ؛ لأنّ الدلالة تعني ضرورة قصد التواصل من قبل المرسل والفهم يعني الإعتراف من قبل المتلقي بقصد تواصل المرسل .[٢] إنّ مفهوم المقصدية نجده لدى علماء النفس الظاهرتيين وفلاسفة اللغة وهو ليس إلا جزءا من اشكالية أعم تبحثها فلسفة الفكر ويهتم بها علم التشريح . ويمكن تصنيف المعالجات اللسانية الحديثة للمقصدية لدى فلاسفة اللغة الى تيارين :

١-كرايس ومدرسته : لقد تبنى مفهوم المقصديّة كونها أولية غير قابلة للتحديد ولكنه وضح الإطار الذي يقع فيه وأنواعه . وإنّ التواصلية القصديّة تفترض مرسلا ومتلقياً ، بيد أنّ المقاصد أنواع تتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم وثانوي فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم ، وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أنّ يجعل المتلقي يعترف بأنّه يريد منه جوابا ملائما . ويحصر كرايس مقاصد المتكلم للتأثير في المتلقي بناء على ميثاق بينهما .

٢-سورل : فرق سورل بين مفهومين هما القصد ما كان وراءه الـوعي والمقصديّـــة التّـي

---

[١]- ينظر تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، محمّد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٥ : ١٤٠

[٢]- ينظر ، م . ن : ١٦٣

تجمع بين الوعي واللاوعي . والمقصديّة عنده تكون لغوية وغير لغوية سابقة وحاصلة أثناء العمل والسلوك اللغوي مشتق من المقصديّة وليس العكس فهي التي تحكم في الأفعال الكلاميّة بتحديد أشكالها وخلق معناها .[١] ومن ثم فأنّ " المقصديّة في أفعال الكلام يفهم تحت مقصد المنجز أو دوره الإنجازي المقصود والمتحقق " .[٢]

إنّ الوظيفة الأوّلى للألسنة الطبيعية هي التواصل ، والتواصل الذي نعنيه هو التواصل القصدي أو بعبارة أدق " التواصل التقاصدي " أي الذي يتحقق فيه القصد من جهتين ، جهة المتكلم وجهة المخاطب ، فعاقد الكلام لا يسمى متكلما إلا إذا كان قاصدا التوجه بسمعه الى المتكلم ، إذ السامع الذي يقع الكلام في سمعه صدفة لا يسمى مخاطبا . [٣]

إنّ مسألة القصدية وإن أقصيت من أحضان الدلالية بالمعنى الضيق للكلمة ، فقد لاقت ترحيبا كبيرا بين التّداوليّين ، وهكذا ذهب أنسكومبير الى أن معنى الملفوظ يمكن إرجاعه الى مقاصد المتكلم التي كانت باعثة على التلفظ به كما ذهب ديكرو أيضا الى أن " فهم الملفوظ يستلزم اكتشاف النتيجة التي قصد إليها المتكلم " .[٤]

إنّ المعنى كيان سيميوطيقي يوجد داخل الملفوظ ومنه نستخرجه بمعونة مختلف الكفايات والقرائن . أما القصد فهو ينتمي الى علم النفس ويحيل على رغبة المتكلم في نقل محتوى دلالي – تداوليّ . ومع ذلك فإن الرأي العام ينظر الى أنّ معنى الملفوظ على أنّه – هو وقبل كل شيء – يمثل قصد المتكلم لذا فإنّ المعنى الذي يجتهد المخاطب لإستخراجه

---

[١]- ينظر م . ن : ١٦٥

[٢]- مدخل الى علم النص ، مشكلات البناء ، زتسيسلاف واورزنياك ، ترجمه وعلّق عليه أ. د. سعيد حسن بحيرى ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م : ٢٨

[٣]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، إعداد وتقديم ، د. حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ، من بحث " ما التّداوليّات ؟ " عبد السّلام اسماعيلي علوي :٢٤

[٤]- ينظر م . ن ، من بحث " التأويل الدلالي- التّداوليّ للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول " ، إدريس سرحان : ١٢٧

من الملفوظ – هو مبدئيا – ذلك الذي يفترض أنّ المتكلم كان قصد إليه .[١]

يعد المتكلم الركن الأوّل من أركان القصد ووصف المتكلم لا يعني به اضافة الكلام الى صاحبه على جهة الفعلية والقصد .[٢] وهذا يتفق مع الأصل اللغوي والقاعدة التي تنسب الأفعال الى فاعليها ، وقد أكد اللغويون أصحاب نظرية التواصل على أنّ وجود الباث للرسالة اللغوية لابد أن تقتضي بالضرورة وجود مستقبل لتلك الرسالة .[٣]

إنّ اشتراط القصديّة في التواصل يحيل الى أنّ هذا الفعل غير عشوائي ، إنّما هو فعل مخطط له ، ويعني ذلك أن تحليل معاني العبارات والألفاظ اللغوية رهين بتعيين أغراض المتكلم ومقاصده العامة من الخطاب .[٤]

ويؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها ، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط . فعندما ينوي من استدان دينا

ولم ينوِ الوفاء به فأنّه يعد سارقا . كما يتبؤا القصد بمعنى الإرادة أهمية في التفريق بين مرسل صادق وآخر كاذب وفي هذه الحالة لن يكون محتوى القضية اللغوي هو معيار الصدق أو الكذب بل تكون إرادة المرسل هي المعيار .[٥]

---

[١]- المصدر السابق والصفحة نفسها .

[٢]- نظرية القصد وأثرها في اظهار المعنى والإعجاز القرآني عند القاضي عبد الجبّار المعتزليّ ، ليلى عبّاس خميس ، مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة ، العراق- بغداد ، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧ م : ٦٣

[٣]- ينظر مدخل الى علم الدلالة ، فرانك بالمر ، ترجمة د. خالد محمود جمعة ، دار العروبة ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٩٧ : ٢٣ – ٢٤

[٤]- معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ، عبدالله إبراهيم وآخرون ، المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ١٩٩٠م : ٨٤

[٥]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، ط١ ، ٢٠٠٤ : ١٩٤- ١٩٥

كما قد يتركب القصد من درجات فيصبح بعضها أوضح من بعض ولذلك فالمرسل قد يفصح عن قصده بإحدى الدرجات فيصبح بعضها أوضح من البعض الأخر .[١]

وإذا سلمنا بأنّ السلطة ذات سلمية تراتبية أي أنّها تتدرج في القوة فأنّ هذا التدرج لا يخلو من أثر على القصد المرسل ، وإنّ القصد يتفاوت بتفاوت مراكز من يتلفظ بالخطاب ، وعليه فإنّ تأويل الخطاب الواحد قد يختلف من سياق الى آخر نظرا لإختلاف درجة المرسل وبالتالي سلطته .[٢] والإستدلال على مقصد المتكلم وغرضه إنّما يؤسس على مرجعية مشتركة بين المتلقي ومقام المقال .[٣]

من الشواهد التي تعزز أنّ السلوك اللغوي مشتق من المقصديّة ، ومن ثم فهي التي تتحكم في الأفعال الكلامية بتحديد أشكالها وخلق امكانية معناها قول أبي نواس في قصيدة يصف فيها امراة تغتسل : [٤]

فلما أنْ قضـــــتْ وطرا وهمّتْ على عجل الى أخذ الـــرّداءِ

رأت شخص الرقيب على التداني فأسبلت الظلامَ على الضياءِ

فغابَ الصبحُ منــها تحت ليـــلٍ وظلَّ الماءُ يقطر فوقَ مـــاءِ

هذه الأبيات هي جزء من قصيدة يصور فيها أبو نواس أمراة تغتسل وقد شعرت أنّ رجلا يراقبها وهي تغطي جسدها بشعرها ، ونتج عن ذلك غياب جسمها الأبيض بفعل حضور الشعر الأسود . ونحن إذ لم نكن على معرفة بإنزياحات اللغة وحيوية رموزها لاسيما في

---

[١]- ينظر : م . ن : ٢٠٧ – ٢٠٨

[٢]- ينظر : م . ن : ٢٥٣ – ٢٥٤

[٣]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية " ، منال النجّار ، ٥٦٩

[٤]- ديوان أبي نواس ، شرح وتحقيق محمد مهرات أنيس ، دار مهرات للعلوم ، حمص – سورية ، ط ١ ، ٢٠٠٩م : ١٩

التعبير الأدبي والمجاز خاصة قوله : " فأسبلت الظلام على الضياء " في :

فغاب الصبح منها تحت ليل وظل الماء يقطر فوق ماء

لإنّهما موضع توتر البيت شعريا فالألفاظ الآتية (الظلام \ الضياء) ، (الصبح ، تحت ليل) ، (فوق) كلمات مُتّكِئة على المجاز والمقصود بالصبح بياض بشرتها ، وبالليل سواد شعرها والمقصود ب " ماء " الثانية لين جسمها ونعومتها . وفي هذه القراءة تتجلى ثلاثة مقاصد : الأوّل ، رغبة أبي نواس في التعبير عن الجسد الأبيض والشعر الأسود بعلامتين لغويتين هما الظلام والضياء ، والصبح والليل . الثاني : ظهر في معرفة المتلقي بالقصد . ومقصد ثلاثي : اتضح من خلال التأويل ، وهذا التأويل هو ما يعرف بالإنعكاس القصدي وهو ما أراده المتكلم عند تشفير نصه.

وفي ضوء ذلك أن ملفوظا ما لا يعبر فقط عن حالة ما للأشياء حتى يوصف بكونه صادقا أو كاذبا ، أنّه اضافة الى ذلك يكشف عما للمتكلم من أفكار وأحاسيس كما يثير أو يستدعي شيئا ما للمخاطب ، وهذه عوامل خارجية لا تظهر بالضرورة في البنية ، كما أنّها غير ملازمة لها وما يحددها إلا الإستعمال في المقام .[١] من ذلك الخطاب الآتي من شعر أبي نواس :[٢]

سخّرَ اللهُ للأمينِ مطايا لم تُسَخِّرْ لصاحبِ المحرابِ

هذا البيت من الأبيات الذي أعتمد على قصدية المتكلم في تأويله ، إذ أورد إبن منظور حول هذا البيت خبرا هذا نصه : " إنّ هذا الشعر قاله أبو نواس في محمّد وقد ركب حرّاقته

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول " ، إدريس سرحان : ١٨٨

[٢]- ديوان أبو نواس برواية الصوّلي ، تحقيق د . بهجت عبد الغفور الحديثيّ ، دار الرسالة للطباعة - بغداد ، ١٩٨٠: ٣٦٥

الدّلفين ، فقال له شيخ الى جانبه : اتقِ الله يا هذا . فقال له أبو نواس : يا شيخ إنّ الله لم يسخّر لصاحب المحراب الدّلفين وقد سخّر له ما هو خير من الدّلفين ، فأيّ شيء تنكر من هذا " .[١]

تكشف لنا هذه الرواية أن المخاطب \ الشيخ أنكر على المتكلم أبي نواس قصدا معينا وقام بتأويل لفظة " سخّر " الداخلة عليها أداة الجزم " لم " تأويل يحط من شأن صاحب المحراب أو النبي سُليمان بن داوود عليهما السّلام .[٢] في الوهلة الأوّلى قد يظن القارئ لهذا الخبر أنّ السامع \ الشيخ قد عجز عن ادراك قصد المتكلم أو الوصول الى غرضه ، لكن التأمل في الخبر يظهر لنا بوضوح أنّ طرفي الخطاب تجمعهما معرفة مشتركة في السّياق التّداوليّ الديني وهو أنّ الله سخّر لنبّيه سليمان الجن والإنس . وهذه المعرفة كانت نقطة انطلاق المخاطب لفهم قصد المتكلم ، ومن ثم وقع السامع \ الشيخ في شراك أنّ الدوال تعبر فقط عن أنّ حكم الإثبات أو النفي عن حالة ما للأشياء ، أو بكونها صادقة أو كاذبة ، بيد أنّ المتكلم \ أبا نواس كشف أنّ الالفاظ اضافة الى ذلك تكشف للمتكلم من أفكارا وأحاسيسا قد تجسدت تلك الأفكار في لفظة " سخّر " وأنّه قصد شيئا أبعد من ذلك ؛ لأنّ السّفينة المتهيكلة على هيأة الدّلفين وإنْ أثارت الإعجاب وأوجبت التنزيه والتسبيح ، لكنّها دون ما سخّر الله لصاحب المحراب شأنا ومرتبة ، وهذا ما صرح به أبو نواس بقوله : " يا شيخ أن الله لم يسخّر لصاحب المحراب الدّلفين ، وقد سخّر له ما هو خير من الدّلفين " .

وهذا التصريح من المؤلف هو ما سماه سورل المقصد ؛ لأنّ وراءه الوعي .[٣] ومما يعضد صدق مقصد أبي نواس في تصريحه للشيخ قوله في البيت الأخير من القصيدة نفسها

مَــلِكٌ تقــصُرُ المــدائِحُ عنه هاشميٌّ موفقٌ للصوابِ

---

[١]- نوادر أبي نواس ، إبن منظور ، تحقيق يوسف البقاعي ، مؤسسات الأعلميّ للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م

[٢]- م . ن : ٧١ ، وكذا ديوانه ، الحديثيّ : ٣٦٥

[٣]- ينظر تحليل الخطاب الشّعريّ (استراتيجية التناص) : ٦٥

فقوله ملك إشارة الى منصب دنيوي ، وهذا المنصب لا يبلغ منصب الخلافة الذي وهبّها الله لنبيه سُليمان وعليه يتضح قصد المتكلم وتظهر النتيجة واضحة ؛ لأنّ " فهم الملفوظ يستلزم اكتشاف النتيجة التي قصد إليها المتكلم كما قال " ديكرو" .[١] ومن النماذج التي يكشف فيها المتكلم عن قصده ، قول أبي نواس في قصيدة يمدح بها هارون الرشيد :[٢]

واحتازها لون جرى في جلدها يقق كقرطاس الوليد هجان

إنّ رجوع النُقّاد والشّراح في تفسيرهم للعمل الأدبي الى تصريح المؤلف يعكس رؤية النُقّاد والشّراح لعائدية معنى العمل الأدبي . فكما يسأل الرجل عن شأن من شؤونه فكذلك يسأل النُقّاد والشّراح الشاعر عن معنى ما قاله بإعتبار ما قاله شأناً من شؤونه " .[٣]

ومن ذلك ما أثبته الحديثيّ في تحقيق ديوان أبي نواس إذ قال " وحكى سُليمان بن نيبخت ، قال : سألت أبا نواس عن معنى هذا البيت ، فقال : عنيتُ صحيفة الطفل لم يكتب عليه كاتباه فيها شيئا فقرطاسه أبيض " .[٤] ومن ثم يتفق الباحث مع الطرح القائل أنّ قصد المتكلم هو الذي يخصص الألفاظ ويعممها .[٥]

ومن الألفاظ التي تسربلت بخصوصية المتكلم ، قول أبي نواس في خمريته الموسومة ب " النخيل" : [٦]

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ١٢٧

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٢١ ــ ٥٢٢

[٣]- ينظر القصد عند شراح ديوان أبي تمام ونقاده ، فؤاد مطلب خلف ، رسالة ماجستير ، العراق ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

[٤]- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٢١- ٥٢٢

[٥]- ينظر نظرية القصد وأثرها في اظهار المعنى والإعجاز القرآني عند الجبّار المعتزليّ : ٨٨

[٦]- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ ، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزاليّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان : ٢١٠

فولدت السّياط لـــــها هديرا كترجيع الفحول الهائجـــات

فلما قيل قد بـــــلغت ، ولمّا وتوشك أن تقرّ ، وأن تؤاتى

نسجت لها عمائم من تراب وماءٍ محكماتٍ موثـــــــقات

سترت الجو خـوفا من أذاه فباتت من أذاه آمنـــــــــــات

يتمحور الخطاب حول تصنيع الخمور واعدادها واللغة المستثمرة من قبل المرسل لا تتوقف عند حدود المعنى الحرفي للخطاب ، وعليه فأنّ استراتيجية الخطاب المتبعة للتعبير عن قصد المرسل هي استراتيجية غير مباشرة . أما دلالة قوله " نسجت لها عمائم من تراب " فهي دلالة تداوليّة أسهم السّياق في تحديد قصد المرسل ؛ لأنّ المعنى الإصطلاحي للفظة العمائم هي ما يلف على الرأس من القماش ، لكنّ المرسل وهب هذه اللفظة دلالة خاصة هي الطين المختوم على فم الجرّة كالعمامة على الرأس في سياق معين هو سياق الخمر .

إنّ تخصيص الألفاظ لا يقتصر على سياق واحد هو غرض الخمر بل يمتد الى الأغراض الأخرى من شعر أبي نواس من ذلك تلك الرواية التي نقلها إبن منظور في نوادره " كان أبو نواس يختلف الى محمّد بن زبيدة ، وكان الكسائيّ يعلمه ، فقال أبو نواس للكسائي ، إنّي

أريد أن أقبّل محمّد ، فقال له الكسائي : إنّ في هذا وصمة وأكره أن يبلغ هذا أمير المؤمنين . فقال له أبو نواس : إنّك إن تركتني أقبّلُهُ وإلا قلتُ فيك أبياتا ورفعتها الى الرشيد ، فأبى عليه الكسائيّ ، فكتب أبـو نـواس فـي رقعة : [1]

قل للأميرِ جزاكَ الله صالحة لا تجمع الدّهر بين السّـخل والذّيب

السّخلُ غرٌّ وهمٌّ الذّئب غفلته والذّئب يعلم ما في السّخل من طيب

يستنتج من الرواية المتقدمة أنّ المرسل يتمتع بسلطة تمكنه من ممارسة أفعال وإلحاق الضرر بالآخرين وإنّ كان باطلا وزيفا . إنّ المعنى الحرفي في قوله " لا تجمع الدّهر

---

[1]- نوادر ابي نواس : ١٤٣

بين السّخل والذّيب " غير كاف لفهم الخـــطاب في حال اقتطاع النص عن سياقه الخارجي ؛ لأنّ السّخل والذّيب يحيلان في حقلهما المعجمي على نوعين معروفين من الحيوانات ، ومن ثم فإنّ الشكل اللغوي للتعبير لا يعكس قول المرسل إلا بتموضعه في سياقه الخاص وهو سياق التهديد . وإنّ المعنى التّداوليّ أو قصد المرسل في انجاز فعل التهديد للمخاطب \ الكسائيّ تشكل باستراتيجية غير مباشرة ؛ لأنّ المتكلم وهب السّخل والذيب بوصفهما اشارتين خصوصية في الدلالة لا تنحصر في الحقل المعجمي للفظين ، فأولى العلامتين أي " السّخل " المقصود منه هو الأمين . أما الثانية فهي " الذّيب " ، والقصد منه هو الكسائيّ . إنّ القراءة الفاحصة للنص داخل محيطه تُبين أن هدف أبي نواس من تهديد الكسائي كان لغاية أخرى ، أو هدفا آخر هو رغبة أبي نواس في انتزاع قُبّلة من الأمين ، ولهذا قد يكون الخطاب مركبا إذا ارتبط حصول فعل ما بترك فعل آخر ، أو العكس عندما يكون أحدهما هو المقصود أصالةً والآخر هو المقصود تبعا ، وهنا تتعدد مقاصد المرسل في ظاهرة الخطاب ، فهناك قصد أوّل وقصد آخر ، ولا يصح بالنظر الى القصد الأوّل بوصفه تابعا له .[١]

من زاوية أخرى فإنّ بناء احالة المتكلم يكون على نوعين من القصد استناداً لنظرية الملائمة ، هما : القصد الإخباري حيث يقود المتكلمُ المخاطبَ الى معرفة خبر معين . وقصد تواصلي حيث يقصد المتكلم أنّ يتعرف المخاطب على قصده الإخباري .[٢]

ومن تجلّيات القصدين في شعر أبي نواس قوله :[٣]

لـمّا وردنـــــاها يـــلمُ بشيحـــها عـلجٌ يُحدِثُ منه مصـــانع عـــاد

---

[١]- ينظر استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ١٩٤

[٢]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " في الجهاز المفاهيمي للدرس التّداوليّ المعاصر " ، مسعود صحراوي : ٤٨

[٣]- ديوان أبي نواس ، شرح وتحقيق محمّد أنيس مُهرات ، دار مُهرات للعلوم ، سورية – حمص ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م

قلنا : السّلامُ عليكَ قــال : عـليـكمُ مـــنّي ســـلامُ تـــحـــيةٍ ووداِ

ما رمتمُ؟ قلــنا: المدام! فقــال: قد وُفـّــقتـــُم يا أخـــوتي لرشـــادِ

عنـــدي مدامٌ قد تـقادمَ عهدُهـــا عُصِرت ولم يَشعُر بها أجـــدادي

فـــأكيلُ ؟ قلنا : بعد خُبـــرٍ إنّـنا لا نشـتري سمكا ببـــطن الـوادي

جئنا بها ، فأتـــى بكأسٍ أشـرقـت منها الدُّجى وأضـاء كـــلّ ســوادِ

فـــأدارها عـدداً ثلاثـــا فأنثـــنت منها النّفوسُ، ولـيس منـــها صَـادِ

تدور معاني الوحدات الدلالية الصغرى في الخطاب حول صاحب الحانة ومراسيم الإستقبال وجودة الخمرة ، وواضح إنّ طرفي الخطاب متعاونان متفاعلان أقصى درجات التفاعل . ويظهر من استثمار إسلوب الحوار القصصيّ أنّ الموضوع المركزي للمرسل \ أبي نواس كان السؤال عن زمن انتاج الخمرة ومعرفة ذلك بالتجريب والإختبار ، وعليه فإن قوله :

فأكيلٌ ؟ قلنا بعد خُبرٍ ، إنّنا لا نشتري سمكا ببطن الوادي

يحيل على قصد اخباري ، أي اخبار المخاطب أو صاحب الحانة بهذا المثل ، ومن ثم فأنّ هذا القصد الإخباري سيحيل على القصد التواصلي أو القصد التّداوليّ للمرسل ، أي أنّنا لا نشتري سلعة غائبة حتى نتذوقها ونعرف سمينها من هزيلها ، وهذا هو القصد الرئيس للمرسل مستثمرا بذلك الإستراتيجية التلميحية للتعبير عن قصده . ويظهر من خلال البيتين الأخيرين القبول والرضى بوصفهما فعليين تأثيريين أنّ المرسل كان صادقا في دعواه ، وعليه نستطيع القول أن الإحالة ، فعل يتأسس داخل اللحظة التواصلية ويتحقق من خلال ملاءمة تأويل التلفظ مع صدق المعلومات المتوصلة إليها .[١] وتتعلق احالة المتكلم أساسا بما

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " مفهوم البراغماتية ونظرية المقام في المقولات المعرفية ولدى علماء العربية " ، منال النجار : ٨٨

تقوم به العبارة ، أو ما يقوم به المتكلم ، واحالة المتكلم هي في الأساس مرتبطة بشكل مباشر بالمستمعين ، ذلك أنّ المتكلم يكون عنده قصد احالي ينعكس بشكل مباشر على المستمعين وهو قصد لإستعمال عبارة معينة لإحالة المستمع على شيء معين ، وتختلف الإحالة اللسانية عن احالة المتكلم باختلاف مقاصد المتكلم ، وانعكاس تلك المقاصد على المستمع .[١] كما في الخطاب الآتي لأبي نواس :[٢]

سألتُها قُبلةً ، ففزتُ بـــها ... بعـــد امتناع وشـــدّة التَّـعب

فقلتُ : بـــــالله يا مُعذَّبتي ... جودي بأخرى أقضي بها أَرَبي

فابتسمتْ ، ثم أرسلتْ مثلا ... يَعرفُـــهُ العُجمُ ليس بالكـــذبِ

" لا تُعطِينَّ الصَّبيَّ واحدةً ... يَطلبُ أخرى بأعـــنف الطَّلبِ "

إنّ الاحالة اللسانية للمثل " لا تعطينّ الصبي واحدةً ..." تختلف عن قصد المرسل ؛ لورودهما في سياقين مختلفين ، فالقصد من المثل هو النهي أو عدم الإستجابة لطلبات الصبي حتّى وإن اقتصرت على طلب واحد .

أما قصد المرسل التخييلي ، وهو هنا الفتاة أو المرأة التي قبّلها الشاعر ، فيختلف عن الدلالة الحرفية للمثل ؛ لإختلاف الوضعية السياقية المتكونة من المرسل – الفتاة أو المرأة – والمرسل إليه الشاعر ، وسياق المجون والغزل بالمؤنث ، ومن ثم يكون القصد هو زجر المرسل إليه عن طلب قُبلة أخرى ؛ لأنّ الصبي يحيل على أبي نواس و " واحد " على قُبلة. أما قوله " يطلب أخرى بأعنف الطلب " فالقصد منه " جودي بأخرى أقضي بها أربي " ، والقصد من عبارة " أعنف الطلب " هو القسم والنداء في قوله : " بالله يا معذبتي " .

---

[١]- ينظر م . ن : ٤٧

[٢]- ديوانه ، محّمد أنيس مهرات : ١٠٥

المبحث الثاني

استراتيجيات القصد ومستوياته اللغوية

إنّ المعنى الذي يقصده المتكلم يتخذ له من الوسائل اللغوية والمقامية ما يعين على ادراكه فقد ادرك أن قصد المتكلم مُراعىً فيه حال المخاطب ، وإن قصد المتكلم هو الذي يحدد طريقته التي يتحدث بها ويتغير تعبيره عنه قوة وضعفا بتغيّر الموقف الكلامي . فالطلب مثلا غرض أساسي من أغراض المتكلم لكنه يتفاوت شدة ولیناً فقد يكون أمرا على سبيل الإستعلاء يوجب الطاعة وقد يكون التماسا بين متساويين في المنزلة ، وقد يكون دعاء من الأدنى الى الأعلى وكل ذلك منظور فيه الى طبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطـب .[١] وهذا ماأكده أحد الباحثين بقوله " إنّ العلاقة هي التي تحدد الإستراتيجية المناسبة لتجسيدها وورود الفعل المتوقعة " .[٢] وعليه يمكن تعريف استراتيجية الخطاب بأنّها :" عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ اراداته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي لتحقيق أهدافه من خلال استعمال العلاقات اللغوية وغير اللغوية ،وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة ويستحسنه المرسل ".[٣] ومن بديهيات المعرفة أنّ كل سلوك اتصالي موجه الى هدف والاهداف مختلفة ، والقضية التي تشغل بال الباحثين في شتى أنواع الاتصال اللغوي هي كما يقول رومان ياكبسون مطابقة الوسائل المستخدمة للأثر المستهدف.[٤] أما أبرز استراتيجيات القصد عند المرسل

---

[١]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١١٢د . محمود أحمد نحلة أستاذ العلوم اللغوية ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠١١ : ١١٢ - ١١٣

[٢]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٤٩

[٣]- م . ن : ٦٢

[٤]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التّداوليّ للخطاب " محمّد العبد ٣٢٣

في شعر أبي نواس فهي :-

أوّلاً – الإستراتيجية التضامنية : وهي الاستراتيجية التي يحاول المرسل أنّ يجسد بها درجة علاقته بالمرسل اليه ونوعها وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما واجمالا هي محاولة التقرب من المرسل اليه وتقريبه ".[١] ومن الأدوات اللغوية من هذا النمط من الإستراتيجية :

١-**العلم** : يستعمل المرسل الاسم الأوّل للمرسل اليه عند ندائه مثلا أو عند الحديث عنه إذا كان المرسل أدنى من المرسل اليه مرتبة ولمس رغبة لدى المرسل اليه أو تسامحا في محو ذلك الترتب .[٢]

من ذلك قول أبي نواس :[٣]

ونورُ محمّدٍ أبداً تمامٌ على وَضَحِ الطريقةِ لا يجُورُ

لاريب أنّ الفعل المنجز من قبل المرسل – أبي نواس- هو مدح الخليفة العبّاسي محمد الأمين وقد لجأ الشاعر بوصفه مرسلا في التعبير عن قصده الصريح المدح من خلال ذكر اسم المخاطب الذي هو أعلى مرتبة منه مجردا عن أي كنية أو لقب من الألقاب . وربّما يعود الى سلطة المرسل كونه نديم الخليفة بل أقرب ندماء العصر الى محمد الأمين ومن ثم هيأت تلك العلاقة الاجتماعية الى التصريح باسمه ويعكس ذلك قرب المسافة بين المرسل الأدنى مرتبة بالمرسل اليه الأعلى مرتبة وعمق الأواصر بينهما أو يكون ذلك نتيجة الأعراف السائدة والمتّداولة بين الشعراء وممدوحيهم . ويرى الباحث أنّ السياق النصي للمقطوعة المدحية قد اتكأ على التصريح بشكل واضح بوصفه سمة أسلوبية لإبراز غرض

---

[١]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٢٥٧

[٢]- ينظر م . ن :٢٧٠

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٤٢٢

المتكلم وقصده ومن ثم فإن النطق بالاسم هو لتحقيق سبك الخطاب وليكون مظهراً من مظاهر انسجامه .

٢-الكنية واللقب : يستعمل المرسل الكنية عوضاً عن الإسم الأوّل وقد يكون مرد ذلك الى اعتبار التضامن مع قدر قليل من الرسمية .أما اللقب فقد أصبح استعماله تداوليّا دليلا على التضامن بشرط أن يتلفظ بها المرسل إمّا بالتنغيم المستوي أو تنغيم مناسب للسياق والمعنى أو القصد وإلا انعكس القصد.[١]

ومن النماذج التي تعكس ذلك قول أبي نواس يمدح الأمين العبّاسيّ :[٢]

قامَ الامينُ بأمــرِ اللهِ في البـشرِ واستقبلَ الملكَ في مســتَقبلِ الثَــّمرِ

فالطّيرُ يُخبرُنا، والطّيرُ صادقـةٌ من طيبِ عيشٍ، وعن طولِ من العُمُرِ

فيملكَ الأرضَ أقصى ما تعدُّ يدٌ حتّى يدبَّ كلّــيلَ الصَّــــوتِ والنَّظرِ

قد زينَّ اللهُ دنيــانا ،وحــــسنَّها بابنِ الشّفيعِ الى الرّحمنِ في المــــطرِ

وادادتِ الأرضُ لمّا ساسها سعةً حتى تضاعفَ نـور الشّمس والقــمرِ

كما هو جلّي فإنّ المقصد من هذا الخطاب هو مدح أيضا ونستشف من السّياق اللغوي أنّ المرسل – أبا نواس- قد وجه خطابه الى المرسل اليه محمد الأمين في مستهل خلافته بدليل قوله : " أقام الأمين ...واستقبل الملك " وبديهي أنّ العلاقة بين المتكلم والمخاطب هي علاقة رسمية لم تغشاها بعد الحميمية والصداقة العميقة ومن هنا نفهم أنّ السبب في اللجوء الى الألقاب والكنى بدلا من التصريح بالاسم .وخطاب الشاعر من استعمال اللقب (الأمين)

---

[١]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٢٧٥

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٤٢٢

واضح القصد فهو يريد الخليفة العبّاسيّ محمد الأمين ، وأما قوله " بإبن الشفيع الى الرّحمن في المطر " فإنّ قصده من إبن الشفيع أنّه يريد العبّاس بن عبد المطلب ، فقد رُوِيَ عن أنس : " أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطلب فقال اللّهُم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا وإنّا نتوسل إليك بعم نبيّنا فاسقنا ، قال فَيُسقون " .[١] لقد اختزل أبو نواس سلسلة النسب بين الأمين والعبّاس بن عبد المطلب بقصد الإشارة الى الكرامة التي حصلت لجد الخليفة وأنّه يحظى بمقام رفيع ومنزلة سامية كما يستشف من هذا الشطر من الخطاب أنّ أبا نواس قصد مدح الجد الأعلى وألحق الأمين بعد ذلك . ومن الشواهد على الكنية بوصفها أداة لغوية ضمن نمط الإستراتيجية التضامنية قول أبي نواس في مدح هارون الرشيد :[٢]

تباركَ مَنْ ساسَ الأمورَ بعلْمِـــــهِ وفضّلَ هاروناً على الخلفاءِ

نعيشُ بخيرٍ ما انطوينا على التُّقى وما ساسَ دنيانا أبو الأمَناءِ

السّياق التّداوليّ لهذا الخطاب هو سياق المدح ولعل استعمال المرسل في خطابه أبو الأمناء بدلا من التصريح بالاسم لإحتمالين :

الأوّل: إنّ قصد المرسل من " أبو الامناء " هو نسبة لألقاب أولاده الثلاثة وهم على التوالي : الأمين والمأمون والمؤتمن .

الثاني : إنّ قصد المرسل من " أبو الامناء" هو إن لكل شيء أباً أو أصلاً ومن تلك الموجودات الامانة ومن ثم يكون هارون الرشيد هو أب الأمناء من الخلفاء والعلامة النصية التي تعضد هذا التأويل هي قوله :

---

[١]- ينظر ، صحيح البخاري ،لأبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاريّ الجُعفيّ ، مطابع الشعب ، ١٣٧٨ هـ ، باب الإستسقاء : ٢ \ ٣٤

[٢]- ديوانه الغزاليّ : ٤٠٢ ــ ٤٠٣

تبارك من ساس الامور بعلمه وفضّل هاروناً على الخلفاء

فقوله " فضّل هاروناً على الخلفاء" تعبير صريح عن أفضلية هارون ومعيار هذه الأفضلية هي الأمانة . ومن آليات تجسيد استراتيجية التضامن :

٣-المكاشفة : يعدُّ كشف الذات عنصرا من عناصر التضامن أو دليلا على القرب ويتفاوت الناس من اطلاع الغير على الأشياء العامة الى كشف أدق الخصوصيات ، وعلى ذلك فاستعمال الصراحة مع مرسل اليه معين هو دليل على التضامن والثقة فيه .[١] ومن نماذج المكاشفة في شعر أبي نواس قوله :[٢]

قالوا تنسّكَ بعد الحجّ: قلتُ لَهُمْ أرجو الإلهَ وأخشى طَـيْزنابـــاذا

أخشى قُضَّيبَ كَرْمٍ أنْ يُنازِعَني فضلَ الخِطام وإنْ اسرعتُ إغْذاذا

فإنْ سَلِمتُ – وما قلبي على ثقةٍ من السَّلامة- لم أَسلَـــــمْ ببَغْذاذا

في هذه العملية التخاطبية نجد المرسل الحقيقي – أبا نواس – يفصح بكل ما لديه للمرسل اليه أو بالأحرى مجموعة المرسلين وضمير الجمع في " قالوا " هم اصدقاء أبي نواس وكانوا حين يريدون معابثته يشيعون عنه أنّه تنسك وتاب عن شرب الخمر وكان هذا يغيظه ويثيره عليهم .[٣] لقد كان الدافع وراء كشف أبي نواس لقصده هو غفلة اصدقائه أنّه تغير وابتعد عن شرب الخمر وارتياده الحانات . وهذا التصريح بالقصد يعكس صدق أبي نواس وعدم نفاقه ؛ لأنّه كشف لأصدقائه أولا وللسامعين ثانيا . ولقد وظّف الشاعر الإستراتيجية التضامنية لبيان قصده أو الاخبـــار بالامـــر على وجه الحقيـقة . ومن الشواهد الشـــعرية لأبي نواس في توظـــيف الإستراتيجية التلميحية لكشف القصد قوله :[٤]

---

(١)- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٣٠٢

(٢-٣)- ديوانه ، الغزاليّ : ٢٦

(٤)- م . ن : ٤٦

عـــــاجَ الشقيُّ على دارٍ يُسائلـــها وعُجتُ أسألُ عن خمّارةِ البـــــلدِ

لا يُرقئُ اللهُ عينَيْ مَنْ بكى حجراً ولا شفى وَجْدَ مَنْ يصبُو الى وَتِدِ

قالوا ادَّكرت ديارَ الحيّ من أسـدٍ لا دَرَّ دَرُّكَ قل لي من بنو أســـدِ

ومَنْ تمـــيمٌ ومَنْ قـــيسٌ ولِـــفُّهما ليس الأعاريبُ عند اللهِ مِن أَحَـدِ

هذا الخطاب النواسي يطلع الناس من عصر الإنتاج والى نهاية العالم على الأرض بقصده الواضح ويتمثل هذا القصد المعلن عنه صراحة بالدعوة الى التغيير أي تغيير المتن الشعري العربي شكلا ومضمونا بما يتلاءم والتطور الذي طرأ على الحياة العربية في العصر العبّاسيّ فكريا وحضاريا واجتماعيا .

إنّ كشف أبي نواس عن قصده الصريح بإسلوب التأدب السلبي كان في سياق خاص هو سياق التشبث بحياة الإعراب والوقوف على الإطلال ؛ لأنّها تمثل الحياة البدوية . وقوله " ليس الأعاريب عند الله من أحد " قد يقترب من المضمون القضوي لقوله تعالى : " الأَعرابُ أشدُّ كُفْرَاً ونِفاقاً ".[١]

إنّ هجوم أبي نواس لم يكن على القومية العربية كما ذهب الى ذلك الكثير من الدارسين من النقّاد والشّراح بل كان هجوما في سياق خاص وضد فئة من العرب عبر عنهم ب " الأعاريب " وذلك في قوله " ليس الأعاريب عند الله من أحد " .

يرى الباحث أنّ السياق الموقف والسياق النفسي انتجا هذا القصد المباشر لأبي نواس وأقصد بسياق الموقف التحولات الكبيرة التي شهدتها الحياة في العصر العبّاسيّ وعلى مختلف الأصعدة والمستويات ، وكذلك السياق النفسي وما يعانيه غير العرب على أيدي المتعصبين من العرب القوميين وألسنتهم من قدح وتحقير مما خلق سياقا نفسيا محتقنا أنتجت منها حركة مضادة . وقد تكون المكاشفة في الخصوصيات مثل قول أبي نواس يمدح

---

[١]- التوبة : ٩٧

الإمام عليّ بن موسى الرضا – عليه السّلام - :[1]

قيلَ لي أنتَ أوحَد الناسِ طُرّا في فنونٍ من المقالِ النبّيهِ

لكَ مِن جيّدِ المديحِ قريـــضٌ يُثمِرُ الدُّرَّ في يَدَيْ مُجتنيه

فعلام تركتَ مدحَ إبنِ موسى والخصالَ التي تَجَمّعْنَ فيهِ

قلتُ لا أستطيعُ مـــــدحَ إمامٍ كان جبـــريلُ خادماً لأبيهِ

لقد وظّف أبو نواس في هذه الحوارية الشعرية آلية المكاشفة للتصريح بقصده . كما يلاحظ تعددا للآليات اللغوية في الإستراتيجية التضامنية من ذلك أنّ أبا نواس استعمل الكنية واللقب في قوله " إبن موسى ، إمام " واستعمال المرسل لهذه العلامات للدلالة على مرجع كان لغرض تداوليّ هو تعظيم الإمام عليّ بن موسى الرضا – عليه السَّلام- وقد ذكر المرسل الدافع من وراء كشف قصده وقيده بقوله : " كان جبريل خادما لأبيه " إنّ كشف القصد نتج عنه نجاحا في التواصل من خلال توظيف السياق الديني الناجح .

٤-**نكران الذات** : إنّ نكران الذات ضرب من آليات التضامن التي يستعملها المرسل وهي نكران ذاته لغة أو تجاهلها فيتحدث المرسل عن نفسه وكأنّه يتحدث عن شخص آخر وغدت هذه الآلية من علامات الإستراتيجية التضامنية لاسيما عند من يمتلك السلطة .[2] ومن شواهد هذا الآلية قول أبي نواس في أحدى زهدياته :[3]

يا نُواسيُّ تـــــــوقّــر وَتعَزَّ وَتَصَــبَّرْ

سَاءكَ الدّهــرُ بشــيءٍ وَلما سَرَّكَ أَكْثَرْ

---

[1]- نوادر أبي نواس :٢٤٥

[2]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٣٠٤

[3]- ديوانه ، الحديثي : ٩٧٩

يا كثيرَ الذّنبِ عَفْوُ اللهِ مِنْ ذَنبِكَ أَكبَـرْ

في هذه المقطوعة الزهدية عمد المرسل الى التلفظ باسمه عوضا عن الضمير الدال على ذاته وكأنّه يتحدث عن غيره ، وقد وظّف الشاعر الإستراتجية التضامنية للتعبير عن قصده وذلك لإمتلاكه السلطة على نفسه فعلى الرغم من اتباع النفس للشهوات والمعاصي وازوراره عن المحجة العظمى لكنها تتمتع بالارادة الحرة في اختيار سبيل النجاة ومن ثم نجد أبا نواس يصدر ثلاثة أفعال انجازية أمرية الى نفسه بعد صيغة النداء " يا نواسي " ولهذا تفّعل آلية نكران الذات عند من يمتلك السلطة . ومن النماذج الشعرية على آلية نكران الذات في التعبير عن القصد قول أبي نواس :[١]

أَخي ما بالُ قَلبِكَ لَيْسَ ينقى كأنّكَ لا تَظُنُّ المَوتَ حقاً

استعمل المرسل لفظة أخي في سياق الزهد والنصح ، والقصد من توظيف هذه الآلية هي نكران الذات والتعاطف مع المرسل اليه الذي هو المرسل نفسه . لقد عكس الخطاب الزهدي النواسي بإسلوب النداء للدلالة على التضامن وهذه علامة على رغبة أبي نواس في التخلق بدرجة معينة من التضامن . ولم تمنع شهوات أبي نواس ومغامراته الخمرية والجنسية من ميله الفطري للحفاظ على النفس ودرء المخاطر عنها ولاسيّما أبي نواس وهو العالم أنّ مصير كل حيٍّ هو الموت والبعث والحساب. والملاحظ أنّ لفظة أخي قد تصدرت البنية التركيبية لخطاب الزهد وهذا يحمل درجة قوية من التضامن . من هنا يمكننا القول أنّ المرسل يمكن في الإستراتيجية التضامنية أنّ يعبره عن نفسه بآلية نكران الذات لإمتلاك السلطة على نفسه من جانب ولعلاقة المودة التي يكنها لذاته من جانب آخر .

ثانيا : الاستراتيجية التوجيهية : وتتسم هذه الإستراتيجية بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل ، فوضوح القصد سبب في عدم حيرة المرسل اليه مما يضمن تحقيق هدف بنوعيه الكلي والنفعي في العالم الخارجي وإنّ من ميزات التوجيه الصريح أنّه لا يستلزم أكثر من

---

[١]- ديوانه ، الحديثيّ :٩٨٤

قصد للخطاب وبالتالي فأنّه لا يدع للمرسل اليه فرصة للتأويل أو التملص من مضمونه .[١]
ومن الوسائل اللغوية التي يستعملها المرسل للتعبير عن قصده في الإستراتيجية التوجيهية :

١-الأمر : إنّ التوجيه باستعمال صيغة الأمر ليس تابعا للمواضعة اللغوية فقط ، وإنّما المعول عليه هو اتفاقها مع سلطة المرسل ، بشرط أن لا تتعارض مع سلطة أعلى من سلطته ولذلك فأنّه لو أمر المرسل بمنكر أو نهى عن معروف فإنّ خطابه لن ينال القبول وبالتالي فأنّ الإخفاق في تنفيذ قصده وتحقيق هدفه هو النتيجة الحتمية ، لأنّ خطابه يتعارض مع سلطة أقوى من سلطته وهي سلطة تعاليم الدين حتى لوكان المرسل ذا سلطة في ذاته فالامر بمنكر أو النهي عن معروف ما أمر الله به وما نهى عنه .[٢] استثمر أبو نواس هذه البنية الإسلوبية للتعبير عن قصده كما في أحدى خمرياته والتي مطلعها :[٣]

دَعْ الرَّبْعَ، ما للربعِ فيكَ نصيـــبُ وما إنْ سبتني زينبٌ وكَعُوبُ

الى قوله :

فأطلقَ عن نابـــيهِ وانكبَّ ساجـداً لنا وهو فيما قد يظنُّ مصيبُ

وقال: " ادخلوا..حُيِّيتُمُ مِن عصابةٍ فمنزِلُكُم سَهـلٌ لَديَّ رَحيــبُ "

وجاءَ بمصبـــاحٍ لهُ فـــأَنـــارَهُ وكلُّ الذي يبغي لديهِ رحيـبُ

فقلنا" أَرِحْنا..هاتِ إنْ كنتَ بائِـعاً فإنَّ الدُّجى عَن مُلكِهِ سَيَغـيبُ

وظّف أبو نواس اسلوب الحوار القصصي في هذه الخمرية ونلمس بوضوح تناوب الأدوار بين المتكلم – بائع الخمر- وبين أبي نواس وأصحابه ونرصد في الوقت نفسه فعلين

---

[١]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٣٢٧

[٢]- ينظر م . ن : ٣٤٢

[٣]- ديوانه الغزاليّ : ١١٠ - ١١١

انجازيين ضمن الإستراتيجية التوجيهية ، الأوّل فعل (ادخلوا) الصادر من المتكلم (بائع الخمر) الى عصابة بوصفهم جماعة من المخاطبين تجسدت في صيغة واو الجماعة – ادخلوا- ويستشف من السّياق النصي وبقرينة لغوية هي لفظة " حييت " اضافة الى سياق الحال بائعي الخمر أنّ المرسل أدنى مرتبة من المخاطبين ومن ثم فأنّ القصد التواصليّ ليس هو اصدار الأمر من الأعلى الى الأدنى بل هو قصد متضمن دلالة اللين والتأدب والتأدب واضح في قوله " حييتم من عصابة " و" منزلكم سهل لدي رحيب ". أما الفعل الإنجازي الثاني المتشكل بنيويا من صيغة أسلوبية بآلية الأمر فقد صدر من العصابة . ويفهم من السّياق النصي والعلامات اللغوية المتلفظة أنّهم في موقع الأمر والسلطة كما هو ظاهر من قولهم " أرحنا...هات إن كنت بائعا " ومن ثم يكون القصد المتضمن من هذا الفعل هو الأمر الحقيقي وعليه فإنّ المتكلمين- العصابة - قد عبروا عن قصدهم الإخباري بالإستراتيجية التوجيهية المتجلية بآلية الأمر . وقد يكون المرسل واحدا ولكن سلطته تختلف فتتدرج من القوة الى الضـعف أو العكس .[١] ومن الشواهد على ذلك قول أبي نواس وكان الرشيد أمر بحبسه حتى يدع الخمر فقال في الحبس :[٢]

قُلْ للخليفةِ إننّـــــي حتى أراك بـــــكلّ باسِ

مَنْ ذا يكون أبا نُوا سِكَ إنْ حبست أبا نُواسِ

لاريب أنّ قصد المرسل من فعله الإنجازي الصادر بصيغة الأمر – قل – الموجه الى المرسل اليه هارون الرشيد ليس أمرا حقيقيا وإلا أثار السخرية والاستهزاء والتهكم . إنّ السّياق المقام للمتكلم كونه فردا سجينا في حكومة المرسل اليه وهو الخليفة العبّاسيّ يستبعد أن يكون القصد من فعل الامر " قل " الموجه الى هارون هو فعل استعلائي ومن ثم فإنّ

---

[١]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٢٣٣

[٢]- ينظر أخبار أبي نواس ، أبو هِفّان بن حرب المهزي ، تحقيق وتقديم فرج الحوار ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠١١ م : ٢١٣

القصد الإخباري للخطاب الشعري يتقهقر الى الوراء لتتصدر دلالة الدعاء والخضوع والعفو ، وهكذا فإنّ المرسل عبر عن قصده التواصلي بأحدى الوسائل اللغوية للإستراتيجية التوجيهية .

٢-**النهي :** ومن أدوات النهي استعمال اللفظ الدال معجميا على الترك بالمترادفات وإن كان بصيغة الامر .[١] والخطاب الآتي يبين قصد المرسل من توظيف هذا الإسلوب :[٢]

دَعْ عَنكَ لومي فإنَّ اللومَ إغراءُ وَداوِني بالتي كانتْ هي الداءُ

يخاطب أبو نواس في هذا البيت إبراهيم النظام وقد استعمال المرسل استراتيجية التوجيه بآلية النهي للتعبير عن قصد. إنّ المتكلم قصد من لفظة " دع " الترك أي ترك لومه على شرب الخمر ؛ لأنّ اللوم على ذلك يغريه بالمزيد والإدمان في المعاقرة . وتوحي لفظة " دع " بأنّها أكثر زجرا وردعا من الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية وأسرع زمنيا في النطق وكأنّ المتكلم لا يريد الوقوف عن حالة شرب الخمر لأنّه طالما كان النظام يلوم أبا نواس على شرب الخمر ومجاهرته بالمعصية فضاق به ذرعا الشاعر وهو الذي يطمع بغفران الله وتجاوزه عن خطيئته . إنّ سياق المقام يكشف بوضوح سبب لجوء المرسل لبيان قصده المباشر بهذه الإستراتيجية ، فالفعل الإنجازي يقف بصراحة في حدود المعنى الحرفي والقصد واضح ولا يتحمل التركيب أي تأويل أو قراءة . ومن نماذج قصد المرسل بوساطة الاستراتيجية التوجيهية قول أبي نواس في جنان بعد أن مات بعض آل عبد الوهاب الثقفي فذهب أبو نواس الى دار قريبة من منازل الثقفيين وأطل منها على المأتم ليرى جنان وهي تلطم خديها :[٣]

---

[١]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٣٥٣

[٢]- ديوانه ، الحديثي : ٧٤

[٣]- ينظر ديوانه ، الغزاليّ : ٢٤٢

لا تَبْكِ ميتاً حلَّ في حُفرةٍ وابكِ قتيلاً لكِ بالبابِ

اصدر المتكلم خطابا موجهاً الى المرسل اليه – جنان- وقد انجز هذا الخطاب بإسلوب النهي ، لكن سياق الموقف والمقام لا تسمحان بحمل النهي على أصله بمعنى آخر أن قصد الشاعر من قوله " لا تبك " ليس نهيا حقيقيا ؛ لأنّ هذا الأمر صدر من مرسل أدنى مرتبة من المرسل ومن ثم فإنّ قصد المرسل يخرج من معناه الحقيقي الى معنى سياقي تداوليّ يتحدد وفق العناصر غير اللغوية المحيطة بالنص .

٣-الإستفهام : وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأحدى أدواته وقد تخرج ألفاظ الإستفهام عن معناها الإصلي فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض تفهم من سياق الكلام ودلالته .[١] والقارئ لديوان أبي نواس يرصد جما غفيرا من الشواهد من ذلك قوله في أحدى خمرياته القصصية :[٢]

ونـــــدمانٍ ترادفه خُمـــــارٍ فأورثَ في أناملهِ ارتعادا

فليس بمستقلٍّ الكأسِ ما لـــمْ تكنْ يُسراه لليمنى عِمادا

وقال " ألستَ مُتْبِعها بأخرى توقِّرني ،فإنّ بيَ ازديادا

فقلت:" بلى وبـــــــأخرياتٍ على أني سأجعلها جيادا

فــي هذه العملية الحواريــة أنجز الخمار بوصفه مرســلا فعلا انجـازيا باسـتراتيجية توجيهية موظفا تقنية الإستفهام بوساطة الهمزة الداخـلة على النفي " لست " . وأمــا دلالة الإستفهام هنا فهي دلالة حقيقية ؛ لأنّ المرسل يستفهم عن رغبة المرسل اليه في الازدياد

---

[١]- ينظر جواهر البلاغة ، في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري المصري (ت ١٩٤٣م) ، تحقيق نجوى أنيس ، دار احياء التراث العربي ، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت – لبنان : ٦٢

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٨١

من شرب الخمر فما كان جواب المرسل اليه إلا الإثبات من خلال " بلى " . إنّ الدلالة الحرفية أو المحتوى القضوي للعبارة هي السؤال عن أخذ كأس أخر من الخمر وهذا هو القصد المباشر للمتكلم من هذا السؤال . وقد يخرج الإستفهام عن دلالته الاصلية الى دلالة سياقية قصدية أخرى من ذلك قول أبي نواس يهجو أبا خالد النمري :[١]

يا راكباً أقبـــلَ من ثهمدٍ كيف تركتَ الإبلَ والشّاءا ؟

المحتوى القضوي لهذا الخطاب هو نداء المرسل راكبا مقبلا من بادية " ثهمد " ثم الإستفهام عن كيفية تركه لثروته الحقيقية لاسيما الإبل والشاء . وبما إنّ السياقينِ اللغوي والمقامي للقصيدة يوضحان أنّ الدلالة المركزية للقصيدة هي الهجاء ، وإنّ حال المرسل اليه _ أبا خالد النمري- معروف كونه بدويا معلوما للمرسل – أبي نواس- امتنع حقيقة الاستفهام في قوله " كيف تركت الإبل والشّاء " أي امتنع الاستفهام عن حال الإبل والشاء وتولّد قصدا سياقيا جديدا للمرسل هو التحقير والسخرية . بمعنى آخر أنّ المرسل لم يقصد من الإستفهام ب " كيف " الدلالة الصريحية والمباشرة وإنّما قصد السّخرية والاستهزاء وهذه الدلالة تولّدت بفعل السّياق النصي وسياق المقام أو ملف القصيدة .

٤-النداء : يعد النداء توجيها ؛ لأنّه يحفزّ المرسل اليه لردّة فعل تجاه المرسل.[٢]

وللنداء أدوات كثيرة منها حرف " الياء" مثلما نجد في خطاب أبي نواس في أحدى خمرياته حكاية عن أحد غلمانه :[٣]

حتّى تـغنّـى ، وما تمّ الثلاثُ لـــــهُ حلُو الشّمائلِ محمودُ السّجيّاتِ

" يا ليتَ حظيَّ مِن مالي ومن ولدي أنّـي أجالسُ لبـنى بالعشــيّاتِ"

---

(١)- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٥٣

(٢)- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٣٦٠

(٣)- ديوانه ، الغزاليّ : ١٧٤

استثمر أبو نواس صيغة لغوية تشكلت بإسلوب في قوله " يا ليت حظي من مالي..." ولما كانت دلالة النداء معلومة له امتنع حقيقة النداء وتولّد منه التوجع والتحسر المناسبان من المقام . ومن ثم يكون المرسل عبر عن قصده بفعل غير مباشر بوساطة التعالق النصي وبآلية الاجترار . إنّ أبا نواس استعمل هذا التركيب الندائي بقصد يباين قصد المنتج الأوّل للخطاب وهو قيس بن ذريح .[١] فالسّياق الحقيقي الذي ورد فيه بيت قيس بن ذريح كان سياقيا غزليا القصد منه التحسر والتوجع وأنّه " يكفيه أن يجالس لبنى وستغني عن ماله وولده " .[٢] أما السّياق الجديد الذي ظهر فيه الخطاب من أبي نواس فكان سياق الخمر والمجون فهو يتوجع على نفاد العيش مع الغلمان المرد ،الحسان الوجوه . إنّ المرسل استثمر كفاءته التّداوليّة عند انتاج خطابه باستعمال الإستراتيجية مدركا بوجود طرائق عديدة لقول شيءٍ ما وأنت تقصد وتهدف شيئا آخر منها التوجع والتحسر .

ومن النماذج التي عبّر فيها المرسل عن قصده المباشر وغير المباشر بالاستراتيجية التوجيهية بوساطة آلية النداء قوله :[٣]

قَنِعتُ إذ نِلتُ من أحبابيَ النّظرا وقلتُ يا ربِّ ما أعطيتَ ذا بشـــرا

لم يبقَ منّي، من قَرنْي الى قدمي شيءٌ سوى القلبِ إلا هنّأ البصـــرا

يا ويحَ من لا يبالي عينَ مُبْصرِه ألّا ترى مـــعــه شمساً ولا قمـــرا

هذا المتن الشعري يندرج في سياق الغزل ، ونستشف من الوحدات التركيبية لهذا المتن ولاسيّما البيتين الأوّل والثاني هيمنة اسلوب المنولوج على جسد النص من خلال الأفعال

---

[١]- ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى)، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م :

[٢]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات :١٦٨

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٢٥٠

المتتالية في البيت الأوّل " قنعت ، نلت ، وقلت " ومما يعضد ذلك أنّ اسـلوب النـداء في الخطاب لم يحفزّ متلقيا للقيام باستجابة معينة.

ونلمس بوضوح ورود فعلين انجازيين باسلوب النداء الأوّل في قوله : " وقلت يا ربّ ما أعطيت ذا بشرا " والقصد الاخباري للمرسل من هذا النداء هو الدعاء كون الخطاب صادر من مرسل أقل مرتبة من المرسل اليه. وإذا كان النداء ينتمي الى أحد الأغراض الإنجازية الكبرى وهو الغرض الإنجازي التوجيهي فإنّ قوله " يا ويح من لا يبالي على مبصره " يعكس غرضا فرعيا تعكس اختلافا في القوى الإنجازية بين غرض فرعي وآخر وفقا للمقصد والّسياق .[١] والغرض الإنجازي الفرعي أو القصد المتولّد من هذا النداء في سياق الغزل هو المدح ، وهذه الدلالة الضمنية نتجت بفعل السّياق ؛ لأنّه لما كان عدم اقبال المخاطب معلوما امتنع حقيقة النداء وتولّد منه المدح المناسب للمقام .

ثالثا : الاستراتيجية التلميحية : إنّها " الإستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر ما يقوله ، إذ يتجاوز قصده مجرّد المعنى الحرفي لخطابه فيعبر عنه بغير ما يقف عند اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السّياق ".[٢]

ويوظّف المرسل بعض الأدوات والآليات للتلميح الى قصده إذ يستلزم استعمالها قصدا معينا في الخطاب ، ومن هذه الأدوات ألفاظ الكنايات والروابط والظروف الإنجازية والأفعال اللغوية غير المباشرة والتعبير الاصطلاحي والتشبيه والإستعارة والكناية والتهكم والسخرية والتعريض ومفهوما المخالفة والموافقة والإستلزام .[٣]

ولكون أغلب آليات التلميح وأدواته خضعت للمقاربة في مباحث فصل الاستلزام التخاطبي

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣١٤

[٢]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٣٧٠

[٣]- ينظر : م . ن : ٣٨٥ – ٤٤٢

ولاسيّما آليات الإستعارة والكناية والمفارقة والتناص ومن ثم فإن تناولها في هذه الاستراتيجية يكون من باب التكرار وعليه سيسلط الضوء على التقنيات التي لم تمسها يد المعالجة ولاسيّما مفهومي المخالفة والموافقة.

١-**مفهوم المخالفة :** وهو " دلالة اللفظ على ثبوت حكم للمسكوت عنه ، مخالف لما دل عليه المنطوق به ، لإنتفاء قيد من القيود المعتدّ بها ، في حكم المسكوت عنه. وسمي هذا المفهوم مفهوم مخالفة لما يرى من المخالفة بين حكم المنطوق به وحكم المسكوت عنه . ويسميه بعض الأصوليين دليل الخطاب ؛ لأنّ دليله من جنس الخطاب ، أو لأنّ الخطاب دال عليه ويسميه أصوليون أخرون المخصوص بالذكر".[١]

في باب الخمريات في ديوان أبي نواس نجد المتكلم ينتج خطابا ليبين فيه أحد الشروط التي يجب توفرها في العيش الذي يرغب فيه وهو قوله :[٢]

أَدِرْهـــا علينا مُـــزّةً بابـــليّـةً تَخيَّرها الجاني على عهدِ قَيصَـــرا

عقارٌ أبوها الماءُ، والكَرْمُ أمّـُـها وفي كأسِها تَحكي المَلاءُ المُزَعفَرا

فما الطيشُ إلاّ أنْ ترانَي صاحيا وما العيشُ إلا أنْ ألذَّ فـــأسْـكَـــرا

هذا الخطاب موجه إما لمخاطب حقيقي أو تخييلي بوساطة فعل كلامي إنجازي هو فعل الامر- أدرها- . إنّ موضوع الأمر الموجه للساقي هو اسقاء المتكلم خمرة تتمتع بمواصفات من أهمها : إنّ يكون في طعمها حموضة " مزّة " وإنّ تكون قديمة معتقة أو حسب تعبير المرسل " بابليّة " . وتركيبة الخمرة تتشكل من عنصري الماء والعنب بلون أصفر منبعث من الكأس . أما قوله في البيت الأخير :

---

[١]- معجم مصطلحات أصول الفقه : قطب مصطفى سانو ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ : ٢٠٧

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ١٠١

فما الطيش إلا أن تراني صاحيا وما العيش إلا أن ألذّ فأسكرا

فأنّه يستلزم المعنى الضمني الآتي : إنّ العيش بلا خمرة ليست حياة أو أنّ الحياة الحقيقية هي في السكر لا في الصحو . إذ استلزم القول السابق " وما العيش إلا أنّ ألذّ فأسكرا " إنّ غير اللذّة والسكر ليس بعيش ؛ وذلك باستعمال احدى تقنيات اسلوب القصر وهي النفي والاستثناء ب (ما ، إلاّ) لصفة اللذّة والسكر ، فقد حدد المتكلم الغاية من العيش وهو ترك الصحو والاقبال على السكر .

ويستنتج من استعمال (ال التعريف) في (العيش) استغراق العيش كلّه . أو كلّ العيش يجب استغراقه في اللذّة والسكر هذا على مستوى الحدث أو الموضوع وإما على المستوى الزمكاني فيكون عالم الدنيا والكرة الأرضية .

ومن التعبير عن القصد وفق مفهوم المخالفة من النمط المقيد بقيد الزمان قول أبي نواس في زهدية حديث القبور:[١]

أَلا تأتي القبورَ صباحَ يومٍ فتسمعَ ما تُخبِّرُك القبورُ

فإنَّ سكونهَا حـركٌ تـنادي كأنَّ بطونَ غائبِها ظُهورُ

إنّ الدلالة القضوية لهذه الزهدية هي الطلب برفق ولين لمخاطب غير معيّن استنادا للسياق المقالي والمقامي للخطاب والهدف من هذا الطلب هو سماع أهل القبور . وإنّ صمت القبور وسكونها في الحقيقية بثّ لما في بطونها . أَمّا القصد الاجمالي من البيتين فهو الاعتبار. يفهم من النص السابق ولاسيّما قوله " ألا تأتي القبور صباح يوم " أنّ الوقت المحدد لسماع أخبار أهل القبور هو الصباح فقط ومن ثم لا سماع لإصواتهم غير وقت الصباح كالظهر أو العصر أو المغرب...إلخ . وهذا المقطع من البيت من قول أبي نواس يتناص مع الحديث المروي عن الإمام الصادق – عليه السّلام- : " إذ زرتُم موتاكم قبل طلوع الشمس سمعوا

---

[١]- م . ن : ٦١٣

وأجابوا ،وإذا زرتموهم بعد طلوع الشمس سمعوا ولم يجيبوكم" .[١]

٢– **مفهوم الموافقة** : المقصود بمفهوم الموافقة هو دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه ، وموافقته له نفيا أو اثباتا لإشتراكهما في معنى يدركه كل عارف باللغة ، دون الحاجة الى بحث أو اجتهاد ، وسمي مفهوم موافقة ؛لأنّ المسكوت عنه موافق للمنطوق به في الحكم ، ويسميه بعض الاصوليين مفهوم الخطاب . كما يسميه بعضهم القياس في معنى الاصل ، وتسميه جماعة ثالثة تنقيحة الزيادة ، وتسميه طائفة رابعة دلالة النص .[٢]

والخطاب الآتي لأبي نواس يبين فحوى الخطاب :[٣]

أماتَ اللهُ من جوعٍ رقاشـــاً فلولا الجوعُ ما مات رِقاشُ

ولو أشممتَ مَوتاهُم رغيفاً وقد سكنوا القبورَ إذاً لعاشوا

تتمحور الدلالة المركزية للنص حول الهجاء بوصفه فعلا انجازيا . والمسكوت عنه في هذا الخطاب لاسيما في البيت الثاني هو النظر الى الرغيف وأكل جزء منه أو كلّه أو الاشباع منه أو التصدق به على المحتاجين أو صنع الولائم والمآدب ؛ لأنّ الرغيف بوصفه علامة سيميائية تشتغل في فضاءآت أوسع من دلالته المعجمية لتحيل على الكرم والجود والرفاهية . ومن أجل ذلك تلفظ المتكلم بالحد الأدنى من درجات سلم العطاء بعد أن رتب الأعمال الواهبة في ذهنه استنادا لتدرجها في القيمة . وبهذا فإنّ المرسل وظّف الإستراتيجية التلميحية للدلالة على مقاصد متراكمة ينتظمها سلم واحد.[٤] ومن ثم فإنّ المرسل اليه يفهم

---

[١]- بحار الأنوار : المجلسيّ ، للمولى محمّد باقر المجلسيّ ، طبع دار الكتب الإسلامية ، طهران : ٢ \ ٢٩٧ الحديث ١١

[٢]- معجم مصطلحات أصول الفقه : ٤٢٩ – ٤٣٠

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٥٧٥

[٤]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٤٢٨

أن مجرد الشّم يرجعهم الى الحياة فما بال الأفعال التي تعلو فعل الشّم كالأكل والشّبع ... إلخ. ومن القصد وفقا لهذة الآلية أيضا قول أبي نواس في إحدى طردياته :[1]

لمّا غدا الثّعلبُ في سـفحِ الجبــلْ صحتُ بكلبي : ها.. فهاجَ كالبطلْ

كلبٌ جريءُ القلب، محمودُ العملْ مؤدَّبٌ، كُلُّ الخصال قد كَمــــــلْ

فجـاذبَ المِقودَ كــفّي وحمــــــلْ وطردَ الثعلبَ طـــردَا ما بطــلْ

استعمل المتكلم في هذه المقطوعة الطرّدية آلية مفهوم الموافقة ليدل على درجة من درجات الأمر الموجّه الى كلبه في زمن معين هو زمن الصيد . إذ انتج المرسل هذا الخطاب ليناظر به بين بعض الأوامر أو الطلبات التي لم يصرح بها مثل الأمر باسلوب شديد أو تعنيف الكلب أو زجره باليد أو اللسان ، فهي أحكام متساوية يستلزمها المرسل اليه من الخطاب . وقوله : " صحتُ بكلبي : ها.. فهاج كالبطل " يفهم المرسل اليه إن مجرد الصياح ب " ها " يهيج الكلب مثل البطل وهذا ما يعرف بالتنبيه من الأدنى الى الأعلى بفعل الزجر والعنف أو غيرهما . وقد صدر عن الفعل الإنجازي " صحت " فعلا تأثيريا هو هاج ، ومن ثم فإن فحوى الخطاب أو المسكوت عنه واقع في أدنى درجات سلم التوجيهات باعتبار أنّ المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به أي أن العنف والزجر وغيرهما أولى بالصياح من " ها ".

- **استراتيجيات الخطاب في المستويات اللغوية**

يغدو الخطاب مركبا لغويا ، ومن ثم فهو مكوّن من معنى ومبنى وبما أنّ لكل مستوى لغوي درجة افتراضية تكون أساسا أو مبتدأ في كل مستوى من المستويات ومن ثم يمكن تسميته بالدرجة الاصل إذ تتضمنها كفاءة كل من طرفي الخطاب . وتنتمي هذه الدرجة الى سلمية أو نظام معين في أحد مستويات اللغة مثل نظام ، التركيب نظام التصويت ، نظام المعجم،

---

[1]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات : ٥٧٥

نظام الصرف ، نظام الأساليب . فقد ينتج المرسل خطابه بتوظيفه لإحدى هذه الدرجات ، وقد يخرج عن مقتضاها بدرجة انزياح متفاوتة عن الدرجة الأصل ، وذلك حسب مقتضى السياق مثل الخروج بمعنى الخطاب عن المعنى الحرفي للملفوظ ليجسد نوعا من العلاقة بينه وبين المرسل اليه مثلا ، ولا تستعمل هذه الدرجات بمعزل عن السياق ، فاستعمال الدرجة الإفتراضية أو العدول عنها يعبر عن قصد تداوليّ .[١] ومن المستويات اللغوية التي تبلورت في استراتيجية الخطاب للإمساك بقصد المؤلف :

١ـ المستوى الصرفي :

وهو من المستويات اللغوية التي تمثّل مؤشرا من المؤشرات التي تقترن بالاستراتيجية المباشرة ، وقد يستعمل المرسل صيغا متدرجة في دلالتها الصرفية على أوصاف مشتقة من جذر واحد حسب ما يقتضيه سياق الخطاب وهذه الصيغ هي صيغ المبالغة ؛ لأنّها تتفاوت في القوة فإنّ المرسل يستعمل الصيغة التي يرى أنّها الصيغة المناسبة للسياق ، لإنجاز التأثير الأقوى على المرسل اليه ، أو التعبير عن وجهة نظره .[٢]

إذا كان المرسل اليه ممن تعود الهذر أي الاكثار من الكلام فأنّ المرسل يصوغ وصفا من الجذر نفسه بوزن أقوى درجة وهو صيغة (مهذار) كما في خطاب أبي نواس يهجو فيه مغنيا اسمه زهير :[٣]

قُلْ لزهيرٍ أقلِلْ إذا أن ال شّعر أو أَكثِر فأنتَ مِهذارُ

إنّ استعمال المتكلم لفظة " مهذّار " على وزن " مفعال " جاء بقصد من المتكلم ؛ لأنّ صيغة مفعال تدل على من صار كالآلة أي أصبح هذا المهجو مجرد آلة للهذر أو كثرة

---

[١]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٦٨ – ٦٩

[٢]- م . ن : ١١٨ – ١١٩

[٣]- ديوانه ، الحديثيّ : ٦٢٩

الكلام لا فنانا مطربا يتمتع بصوت رخيم ولحن عذب . ومن المعطيات التي أفرزتها عناصر السياق المقامي هو عمل المهجو بوصفه مغنيّا وهذه المهنة تضيء للمتلقي العلة من استعمال المرسل لفظة مهذار وهي لفظة تفيد صيرورة الشيء آلة والآلات تتناسب حضورها موضوع الغناء والطرب ومن ثم فإن اختيـار أبـي نواس صيغة " مفعال " بوصفها صيغة صرفية تعكس بُعداً اجتماعيا ، هو مهنة المهجو بوصفه مغنيّا ، زد على ذلك دلالتها للتعبير عن الموقف السلبي تجاه المرسل اليه أو المهجو زهير .

كما يعمد المتكلم الى استعمال صيغة الفعل المبني للمجهول عوضا عن صيغة المبني للمعلوم ويكون انتقاء إحدى الصيغتين بناء على ما تقتضيه عناصر السّياق كما في الخطاب الآتي ، قال أبو نواس في إحدى زهدياته :[1]

يا ليتَ شعري! كيف أنتَ على ظهرِ السّريرِ ، وأنتَ لا تدري ؟!

أو ليتَ شعري! كيف أنتَ إذا غُسِّلت بالكـــــافور والسِّـــــدرِ ؟!

أو ليتَ شعري ! كيف أنتَ إذا وُضِعَ الحسابُ صبيحةَ الحـــشرِ ؟!

نجد المرسل في قوله " غُسلت بالكافور والسّدر" أو " وضع الحساب صبيحة الحشر " قد أسند الوظيفة التّداوليّة " المحور" في الخطاب المبني للمجهول الى نائب الفاعل ؛ لأنّ عظم حال الميت في قوله " غُسِلت بالكافور" أعظم من حال الغاسل ، ومن ثم انتفت الحاجة الى ذكره وساعدت صيغة المبني للمجهول المتلقي أن يفهم قصد المرسل من السياق .

أما قوله " وُضِعَ الحسابُ صبيحة الحشر " فإنّ تفعيل صيغة المبني للمجهول هنا جاء بقصديّة من المتكلم في سياق الزهد . فالعدول عن التصريح بالفاعل وهنا- لفظة الجلالة الله – كان لغرض بلاغي وسياقي هو عظمة الخالق وهول الموقف أي حساب المخاطب صبيحة الحشر أمام خالقه وبارئه. ومن ثم دخول هذا القول حيز الأفعال الانجازية ؛لأنّ هذا

---

[1]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات :٣٩٤

التعبير يحمل دلالة ضمنية هو إنّك بعد الحساب صائر إما للجنة أو النار . فكان استعمال هذه الصيغة ينطوي على قصد معين هو التلويح للمخاطب بطلاح حاله وسوء سريرته .

٢- **المستوى المعجمي :** في هذا المستوى يعمد المرسل الى الإختيار من خلال انتقاء كلمات ذات دلالات متراتبة ضمن سُلّمِيّة تعبر عن درجات المعنى العام الواحد ، أي بالإنتقاء الدقيق ، مما يصطلح عليه بالمترادفات وكذلك بانتقاء بعض الادوات ذات البعد التّداوليّ مثل الإشاريات .[١] ، كما فعل أبو نواس فـــي الحوارية الآتية :[٢]

فأقبلتْ كضياءِ الشّـــــمسِ نازعـــةً في الكأسِ من بين دامي الخَصر منكوتِ

قلنا لها: كم لها في الدّنِّ مذ حُجِبَتْ ؟ قالتْ: قد أُتخِّذت من عهدِ طالـــــــــوتِ

كانتْ مُخبّأةً في الدّنِّ قد عَنَسَـــــتْ في الأرضِ مدفونةً في بطنِ تابـــــوتِ

دخلت بائعة الخمر في هذه الخمرية العملية الحوارية مع أبي نواس ورفاقه وكان موضوع الحوار الرئيس هو قِدم الخمرة . تلفظت العجوز الشمطاء ب " قد عنست في الأرض " فقد استعملت لفظة العنس ولم تستعمل ألفاظا أخرى مثل طال العهد بها في الدّن أو هي قديمة أو مدّخرة من أمد بعيد أو معتقة لطول زمن انتاجها .

إنّ اختيار المرسل هذا الدال من بين دوال أخرى على مستوى العلاقة العمودية بين الالفاظ ما كان إلا بقصد وقد تجلّى هذا القصد في العلاقة التي أوجدها أبو نواس بينه وبين الخمرة ؛ لإنّ الخمرة ليست مجرد شراب له أثر خاص على النفس والبدن بل أصبحت في المنظور النواسي ذات سمات وجودية تهيكلت بهيئاة آدمية أنثوية مخدّرة ، وقد خلع المرسل صفات الموجود العاقل على غير العاقل . والعنس في اللغة " الجارية إذا طال مكثها في منزل أهلها بعد ادراكها حتى خرجت من عداد الأبكار هذا إذا لم تتزوج ، فإنْ تزوجت مرة فلا

---

[١]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٧٠

[٢]- ديوانه ، محمّد أنيس مُهرات : ١٦٢

يقال عنست ".[١] ومن ثم يتضح لنا القصد التواصلي للمتكلم وهو أنّ الخمرة هنا هي الخمرة التي بقيت في دنها ولم تخرج ولم تمزج بماء أي لم تتزوج ، ومرد ذلك أنَّ المتكلم افترض مسبقا أنّ المرسل اليه يساوره الشك في تاريخ انتاج الخمرة . وعليه أنّ لفظة " عنست " لم تكن مجرد مفردة جاء بها المرسل بل انتقيت بقصد للدلالة على قصد معين لا تحققها الالفاظ الأخرى القريبة منها دلاليا ومعجميا . ومن التّداوليّة المعجمية قوله في مناجاته :[٢]

إذا ابتهلتث سألتُ اللهَ رحمتَهُ كنيّتُ عنكَ وما يعدوكَ اضماري

أحببتُ من شعرِ بشارِ لِحُبكُمُ بيتا شُغِفتُ به من شـــعرِ بشـــارِ

يا رحمةَ اللهِ حُلِّي في منازلنِا وجاورينا ، فدتكِ النفسُ من جــارِ

يتوجه المتكلم بالسؤال والابتهال الى الله عزّ وجلّ لِخَطبٍ قد ألم به ويسأله كشف الضّر عنه ونزول الرحمة في منزله وقد قصد من لفظة " الرحمة " اسم الغلام الذي كان يتعشقه لا الرحمة الآلهية . إنّ استعمال المتكلم للفظة " ابتهلت " كما هو مصرّح به في الخطاب كان بقصد تداوليّ ومنّ ثم ابعاد الالفاظ القريبة دلاليا ومعجميا من نواة معنى طلب الحاجة كالتبتل أو الدعاء للرزق أو التذرع أو الاستعانة .

ويستشعر المتلقي من سياق التلفظ لاسيما قوله " إذا ابتهلت سألت الله" و" حلي في منازلنا " و" جاورينا فدتك النفس من جار " الحالة النفسية التي كان يعيشها المتكلم والوضع الوجداني الملتهب وإنّ ابتهاله ما كان لولا اصطكاك السبل الدنيوية أمامه لنيل مبتغاه .

وقد كشفت لفظة الإبتهال في النص الشعري الحركة الجسدية للمرسل مع انعكاس لون الاحساس النفسي لعالمه الداخلي ؛ لأنّ الابتهال هو رفع اليدين تجاوز بهما رأسك في الدعاء

---

[١]- لسان العرب المحيط ، للعلامة إبن منظور ، قدّم له العلامة الشيخ عبدالله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ، نديم مرعشلي ، دار لسان العرب – بيروت ، مادة (عنس) : ٢ \ ٩٠١

[٢]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٣٤٢

مع التضرع .[١]

٣-**المستوى الصوتي :** قد يجسد المتكلم الخطاب تداوليّا في مستواه الصوتي ومما لاشك فيه : " إنّ العمل البنائي المسيطر في بيت الشعر والذي يعدل ويكيف بقية العناصر ، ويمارس بالتالي تأثيرا حاسما على جميع مستويات هذا الشعر : الصوتية والصرفية والدلالية هو النموذج الخاص بالايقاع " .[٢] استدعى سياق الغزل بالمذكر استعمال المرسل بعض العيوب التي تلابس اللفظة على ألسنة الغلمان بقصد تداوليّ كما فعل أبو نواس متغزلا بإحدى غلمانه :[٣]

وا بأبي ألثغَ لا جَجتُـــــه فقال في غُنجٍ وإخناث

لما رأى منّي خلافي له : كم لقى النّاثُ من النّاث

في هذا الخطاب الغزليّ فعل المتكلم المستوى الصوتي ؛ لأنّ المرسل شخّص احدى السمات المميزة لهذا الصنف من الناطقين ، وكان انتاج هذا الخطاب ليس بقصـــــد التنقيص أو التحقير من شأنه ، بل يتعلق بالتعبير عن تضامنه والتقرب اليه أو ؛ لأنّ هذه الطريقة طبعت على إسلوب وصفه نوعا من الظرف والدعابة المطلوبة في موضوع الغـزل .[٤] لقد وظّف الشاعر البعد الصوتي باستعمال المورفيم (الثاء) للتعبير عن الدلالة التواصلية أو الدلالة القصدية بالنسبة لأبي نواس .

ومن المستوى الصوتي المستثمر تداوليّا لجوء أبي نواس الى التلاعب الصوتي عـــــلى

---

[١]- لسان العرب ، مادة (بهل) : ١ \ ٢٧٨ – ٢٧٩

[٢]- نظرية البنائية في النقد الأدبي : د. صلاح فضل : ٧١

[٣] – ديوانه ، الغزاليّ : ٢٥

[٤]- شعر أبي نواس قراءة أسلوبية ، عبد الناصر حسن محمّد ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١ ، ٢٠٠٩ م : ١٠٦

مستوى ترتيب بنية اللفظة ففي هجائه الهيثم بن عدي قدّم الدال في لفظة " عدي " على العين والياء لإخبار المرسل اليه عن قصده من التغيير ، قال :[١]

الحمدُّ للهِ هذا أعجبُ العجـبِ الهيثمُ بن عديٍّ صارَ من العربِ

يا هيثمُ بن عديٍّ لست للعربِ ولستَ من طيءٍّ إلا على شـغبِ

إذا نسبتَ عدياً في بني ثُعَـل فقدّمْ الدالَ قبلَ العينِ في النسـبِ

تنحصر دلالة قوله " فقدم الدال قبل العين في النسب " في انجاز فعل لغوي تعبيري هو السخرية والطعن في نسب الهيثم بن عديّ ؛ وذلك حسب ما يظهره المعجم والبناء للفظة الدعي . بمعنى آخر أنّ المرسل وظف المستوى الصوتي للتعبير عن قصده التّداوليّ في سياق الهجاء .

٣-**المستوى التركيبي :** يُعدُّ المستوى التركيبي من أنسب المستويات اللغوية التي تسمح للمرسل بتوظيفه لإبراز استراتيجية الخطاب تداوليّا .

ومن أهم الأبواب التي عالجت المستوى التركيبي للتعبير عن القصد الذي يتوخاه المرسل بابا التقديم والتأخير والحذف . ومن النماذج الشعرية لأبي نواس والتي فعّل فيها آليتي الحـــذف والتقديم والتأخير قوله في خمرياته الموسومة ب " عروس " :[٢]

١-غدوتُ، وما يُشجي فؤادي خوادشٌ وما وَطَري إلا الغوايةُ والخمرُ

٢-مُعتّقةٌ ، حَمـــراءٌ وَقـدَتُها جَمـــرٌ ونكتها مِسْـكُ، وطلـــعتُها تِبرُ

٣-حَطَطناعلى خُـمّارِها جُنحَ ليـــلةٍ فَلاحَ لنا فجرٌ ولم يطلـعْ الفجرُ

٤-وأبرزَ بِكراً مُـزّةَ الطَعمِ قَرقـَـــفَا صنيعةَ دِهقانٍ تراخى لـه الغَمرُ

---

[١]- ديوانه ، الغزاليّ : ٥٢٤

[٢]- م . ن : ١٠٠

٥-فقال:" عروسٌ كان كسرى رَبيبُها مُعتّقةٌ ، من دونها البـــــابُ والســـتْرُ

٦-فقلتُ : أدِلْ منها العِنـــانَ فإنّنـــي لها كفءُ صدقٍ ليس من شيمي العُسـرُ

٧-فجاءَ بها شعثاءَ ، مشدودة القــرا على رأسِـــــها تاجُ ملَاحِفُـــها عــفرُ

٨-فلمّا توجّى خصرَها فاحَ ريحُـــها فقلتُ : " أذا عِطرُ ؟ " فقال: "هو العطرُ"

يظهر من هذا المتن الخمري أنّ ما يتصدر الخطاب هو الجملة الفعلية في قوله " غدوتُ " أي باكرتُ . ومن المعلوم أنّ " غدا " ومشتقاتها تتصدر الأبيات الشعرية التي تكون موضوعها الطرد أو الصيد ، ولعل هذا الاسلوب أصبح من القوالب الشفاهية المتّداولة بين الشعراء منذ أنْ قرأناها أول مرة في معلقة امرئ القيس .

إنّ حدث أو موضوع القصيدة هو الخمر وهذا ما صرّح به المرسل في الشطر الثاني بقوله " وما وطري إلا الغواية والخمر " وإنّ المتحدث عنها أي الحانة أو بيت الخمّار معلوم بالنسبة للمرسل إليه ولذّا استغنى المتكلم عن ذكره والإفصاح عنه وأكتفى بذكر الفعل المحيل زمنيا على وقت البكور أو الصباح . وأما قوله في البيت الثاني :

مُعَتّقةٌ ، حمراءُ وقدتها جمر ونكتها مسكٌ ، وطلعتُها تِبر

فقد حذف المرسل الاسم أو الضمير الذي يشغل وظيفة المبتدأ المحيل على الخمرة وأكتفى بذكر صفاتها لاسيما القدم " معتّقة " واللون " حمراء " بوصفهما خبرين .

إنّ قصد المرسل كان وراء تشكيل هذه البنية التركيبية أي أنّ اهتـمام المرسل بصفات الخمرة في حقلي نوع اللون وزمن الانتاج كان أكثر من أي شيء آخر ومن ثم تحتل " معتّقة ، حمراء " موقع البؤرة ؛ لأنّهما المكونان الحاملان للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة .[١]

---

[١]- ينظر الوظائف التّداوليّة في اللغة العربية ، د.أحمد المتوكل ، دار الثقافة ، ط ١، ١٩٨٥ :

ولم يقتصر المرسل في استثمار آلية الحذف في هذه الخمرية على ما تقدم ، بل نجده يوظفّها في العملية التحاورية التي جرت بين الخمّار وبينه كما في المحاورة الآتية :

فقال : " عروسٌ كان كسرى ربيبها مُعَتـّقةٌ من دونها البـــابُ والســـتْرُ

فقلتُ : أدِل منها العِنــان ؛فإنّنـــي لها كفـءُ صدقٍ ليس من شيمي العُسر

تحمل البنية الإخبارية للخمّار في قوله : " عروسٌ كان كسرى ربيبها " و " معتّقةٌ من دونها..." آلية الحذف والتقدير هي عروس أو الخمرة عروس ، وكذا قوله معتّقة فالتقدير هي أو الخمرة معتّقة .

وتأتي أهمية الحذف في أنّ المرسل اليه يفترض معرفة المكون الغائب في سياقه التّداوليّ ، ومن ثم يتجلى قصد المرسل في التركيز على صفات الخمرة من الحسن والجمال والقِدم فكان المبرر للحذف هو البؤرة ؛ ولأنّ المحذوف معروف سواء نطق به المرسل أم لم ينطقه بناء على معرفة المرسل به بالسياق .

ومن آليات التي اتكأ عليها أبو نواس للتعبير عن قصده على مستوى التركيبي آلية التقديم والتأخير . واتخذت نماذج آلية التقديم والتأخير في هذه الخمرية الأنماط الآتية :

أوّلا- تقديم شبة الجملة على الفاعل كما في قوله : " فلاح لنا فجر " و" تراخى له العمر ".

ثانيا- تقديم الخبر(شبه الجملة) على المبتدأ كما في قوله : " من دونها الباب والسّر".

ثالثا- تقديم المفعول به (الضمير) على الفاعل كما في قوله : " أحكمها الدّهر" .

رابعا- تقديم شبه الجملة على المفعول به كما في قوله : " أدِل منها العِنان ".

يظهر من النماذج السابقة خلخلة في ترتيب عناصر الجمل ، ففي النمط الأوّل تقدم شبه الجملة " لنا " على الفاعل " فجر" كما نجد شبه الجملة " له " متقدما تركيبيا على الفاعل " العمر" .

أما في النمط الثاني فنجد عدولا وانزياحا في البنية التركيبة وذلك بتأخير المبدأ " الباب والستر " عن الخبر " من دونها " ، وكذا الحال فيما يتعلق بشواهد النمط الثالث ، فالمتلقي يلمس بوضوح تغييرا في تراتبية مكونات القول من خلال تأخير الفاعل " الدّهر" وتقديم

المفعول به الضمير هاء في قوله " أحكمها الدّهر" . وأخيرا نرى في النمط الرابع خرق في صياغة الجملة بنيويا ؛ وذلك بتأخير المفعول به مرتبة " العنانَ " على شبه الجملة " منها " في قوله : " إدل منها العنان ".

أما على المستوى التّداوليّ فإنّ المرسل قد أختار التقديم في كل تلك النماذج بقصد وأهمية . إذ تتعلق أهمية التقديم في قوله " فلاح لنا الفجر" بالمرسل ذاته ؛ لأنّ القصد هو اظهار الذات أو الذوات . وقولنا في البدء اظهار الذات فالقصد منه اظهار ذات أبي نواس ، ولكنه استعمل صيغة الجمع للتعظيم ؛ لأنّ الضمير " نا " في قوله يحتمل احالته على شخص واحد هو أبو نواس بدليل العلامة اللغوية في مستهل الخمرية في قوله : " غدوت " ، وهذه اللفظة تشير الى شخص واحد لا أكثر أي أنّه ذهابي الى حانة الخمر بمفرده . ويحتمل أنّه ذهب بمعيّة اصحابه ، ومن ثم يحيل " نا " الى ذوات المجموعة التي ذهبت الى الحانة لمعاقرة الخمرة .

وهذا الإحتمال الأكثر قبولا في التأويل من الأوّل وهذا ما يحيل عليه سياق التلفظ في قوله : " حططنا " والسّياق الخارجي ؛ لأنّ مجالس الخمر تكون مكتظة بالأصحاب عادة.

كما أنّ تأخر الفاعل " الفجر" تركيبيا يطابق تأخر الفجر في سياقه المقامي ؛ ذلك أنّ الفجرالحقيقي لم يكن طالعا بل إنّهم كانوا في " جنح ليلةٍ " بحسب تعبير أبي نواس ، أما هذا الفجر النواسي البازغ فما هو في الواقع إلا وصف للخمر كون ضيائها يشبه الفجر بدليل قوله : " ولم يطلع الفجر" فهذا نص يقطع الشك باليقين وتصريح إبلج في أنّ الوقت مازال ليلا . ومن هذا يتضح لنا أنّ تأخير الفاعل " الفجر" كان لغرض تدّاوليّ واستجابة لسياقه الواقعي ، أنّ تقديم شبه الجملة " لنا " كان لإهتمامهم بالخمر دون سواها . وأما قوله : " تراخى له العمر" فإنّ ضمير الغائب " الهاء" يحيل على الخمر ، والدلالة القضوية لهذه العبارة هي أن عمر الخمر طال وامتد ، إما دلالته القصديّة في سياقه التركيبي والتدّاوليّ القدم في الإنتاج والجودة العالية ، وهو بذلك يلفت النظر الى مكانة الخمرة ومنزلتها ، كما يجعل ذاته كبيرا ؛ لأنّه لا يطلب من الخمر رديئها فكأنّه الوحيد في ذلك دون غير من الذوات .

أما في الخطاب الثالث أي قوله : " من دونها الباب والسّتر " فإنّ التقديم يتخذ أهميته من أنّ المرسل التخييلي (تاجر الخمر) افترض سؤالين من لدن أبي نواس بوصفه المرسل اليه ، كان الأوّل عن هيأة هذه الخمرة ومنزلتها من خلال التلفظ ب " عروس" ، وهي اشارة الى صورتها وجمال منظرها وحسن شكلها الى جانب نسبها ويستنتج هذا من قوله " كان كسرى ربيبها "، فالملوك تربي الملوك والخمرة هنا من مصاديق الملكات .

والسؤال الثاني كان عن زمان انتاج الخمرة ومكانها فقال : " معتّقة " أي قديمة في الانتاج ثم قال : " من دونها الباب والسّتر " فالباب والسّتر علامتان تحيلان على المكان أي أن مكان عصر الخمر وعتّقها كان في أقبية كسرى . ونتج عن دخول طرفي الخطاب في المحاورة صدور الفعل الانجازي توجيهي بصيغة فعل أمر حقيقي في قوله " أدل منها العِنان " بدليل استجابة تاجر الخمر لهذا الفعل الكلامي من خلال فعل المجيء بوصفه فعلا تأثيـريا كما في قوله : [1]

فجاء بها شعثاءَ مشدودةَ القرا على رأسِها تاجٌ ملاحِفُها عُفرُ

إنّ المرسل في استثماره آلية التقديم والتأخير في قوله " أدل منها العنان " قد أبدل عناصر المواقع اللغوية المكوّنة للخطاب مع الإبقاء على قوة الخطاب الانجازية إذ ظلت دلالة الامر نفسها على ماهي عليه . وإنّ الهدف من تقديم شبه الجملة " منها " على المفعول به " العنان " ليس الإخبار فقط بل الاهتمام بالخمر والعناية به والقصد التواصلي من هذا التعبير الكنائي يستلزم تحرر الخمر من القيود كون الخمر يناظر أبا نواس في التحرر . إنّ البنية العميقة للخطاب تكشف أنّ للدلالة طبقة أعمق تتمثل بالزهو المبطن للشاعر بنفسه وشعوره

بالعظمة والكبرياء ؛ لأنّه لا يشرب من الخمور إلا ما كان شرابا ملكيا عالية الجودة قديمة الإنتاج . وأما تقديم المفعول به على فاعله في قوله " أحكمها الدّهر" فالقصد منه أيضا هو تقديم ما بيانه أهم وأغنى أي ما يتطلبه السياق ، ومن ثم " فكل عبارة لغوية تطابق مقام تخاطب معينا يحدد بنيتها بما في ذلك ترتيب مكوناتها ".[1]

---

[1]- ديوانه ، الغزاليّ : ١٠٠

وعليه يمكن القول أنّ كلّ من " لنا ، له ، من دونها ، أحكمها ، منها " قد أدت وظيفة البؤرة كون المرسل أسندها الى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الاكثر بروزا في الجملة. والمتأمل في هذه النماذج من التقديم والتأخير يلمّ بوضوح هيمنة الضمائر على جسد النص كما في " نا ، لنا ، الهاء في له ، الهاء في دونها ، الهاء في أحكمها ، الهاء في منها " لعل المرسل يشير في ذلك الى ثنائية الذات والموضوع أي ذات أبي نواس والخمر من جانب ومن جانب آخر يلوح بعلو شأنها وعظمة سرّها كون الاضمار أجمل وأبلغ من التصريح .

المبحث الثالث

القصّديّة والإفتراض المسبق

يفعّل مفهوم الإفتراض المسبق بنيات معرفية غائبة ، ومعلومات مترسبة متراكمة متصلة بالمخاطب بالدرجة الأوّلى ، وفي الوقت نفسه تعكس المعارف المسبقة نوعية العلاقات الإجتماعية بين الإطراف المتخاطبة الى حد كبير .

ومن جانب آخر يعول التّداوليّون كثيرا على الإفتراضات المسبقة كونها تمثل المفتاح الرئيس لعملية التواصل المعرفي بين الناس . فالتّداوليّة تؤمن بأنّ توجيه المتكلم لإفكاره وبثها الى السامع قائم على إيمان المتكلم بامتلاك السامع معلومات تؤهله لفهم قصدية المتكلم. إذ لا ينجح الحوار إذا كانت قنوات المعرفة موصدة بوجه السامع ؛ لأنّ عملية التأثير والتأثر وما ينتج عنها من تبادل للمعلومات والخبرات مهمة في احداث التواصل .[١]

إنّ المتكلمين يفترضون أنّ مستمعيهم عارفون ببعض المعلومات . لا تُذكر هذه المعلومات كونها تعامل على أنّها معروفة ، ولهذا فإنها تعتبر جزءا مما يتم ايصاله دون قوله . وقد تكون الإفتراضات المسبقة للمتكلم كلها خاطئة .[٢] ونظرا لإعتبار اللغة مجموعة من رموز واحالات مرجعية فهذا جعل الإفراد ينطلقون من منطلقات أساسية لا يصرح بها المتكلمون تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح عملية التبليغ ، أي أنّها خلفية يتضمنها القول في ذاته . يقول أركيوني في هذا الصدد معرفا الإفتراض المسبق : " هو تلك المعلومات التي لم يفصح عنها فإنها وبطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنه أصلا بغض النظر عن خصوصياته " .[٣] ويراها بعض ضرورية لنجاح كل تواصل كلامي ، وتبقى فيها قائمة

---

(١)- ينظر التّداوليّة عند العلماء العرب ، دارسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسانيّ العربيّ : د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ١ ، تموز ٢٠٠٥ : ٣٠– ٣١

(٢)- ينظر التداولية : ٥١ ــ ٥٣

(٣)- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٨٤

التأويلات مفتوحة بتعدد السياقات والطبقات . لقد اتبع التّداوليّة مقولة القصد تعضيدا للمقـــام في فك اغلاق التلفظ أو انفتاحها نحو مديات افهامية واسعة ليأخذ الإفتراض المسبق بعد ذلك وبعد هذه المزاوجة الخارجية بين المقام والقصد نمطين تداوليين فرعيين هما :[١]

١-**افتراض مسبق منشؤه العرف** : وهو الخطاب التداوليّ ذو المعنى المحدد الذي يصاغ في مقام محدد وضمن ظروف انجازية مناسبة بالنظر الى عناصر السياق كما في الخطاب الآتي لأبي نواس يمدح الفضل بن الربيع حين خلصه من الحبس :[٢]

١-أهـــلي أتيـــــتكُمُ من القبرِ والنّاسُ مجتمعونَ للحشــرِ

٢-لولا أبو العبّاس ما نظرتْ عينـــي الى ولـــدٍ ولا وفــرِ

٣-اللهُ ألبســـني به نـِـــــعماً شغلت حسابتها يدي شكري

حمل الخطاب الإنجازي لأبي نواس دلالاتين قصديّتن الأوّلى غير صريحة وتتجسد في البيت الأول:

أهلي أتيتكم من القبر والنّاس مجتمعون للحشر

فالمعطيات خارج النص الشعري والمراد بها هنا ملف القصيدة أو مناسبتها تساعد المتلقي أوعلى احالة بعض الوحدات اللسانية اللامحددة أو الفجوات للوصول الى قصد المتكلم . فلفظة القبر في البيت الأوّل تقصر الفهم عن ادراك معناها الحقيقي أو قصد المؤلف من هذه الوحدة اللغوية إذا لم يربط النص بالمقام ؛ لأنّ المتكلم لم يرد من القبر معناه الحرفي بل قصد السجن ، وكانت الوسيلة للوصول الى هذا المعنى التّداوليّ أو قصد المتكلم هو السياق الخارجي . أما ما يتعلق بالقصد المباشر أو القصد العرفي من هذا الخطاب فإن قوله " أهلي

---

[١]- ينظر التّداوليّة في البحث اللغوي والنقدي :٢٦٥

[٢]- ديوانه : الحديثي : ٤٢٦

..." و " نظرت عيني الى ولد " فالإفتراض الذي ألمح اليه جاء بالإعتماد على مرجعية دالة وهو أنّ المتكلم متزوج ولديه أسرة بالإضافة الى أنّه ذو علاقة حميمية بأهله وأولاده إذ لولا هذه الحميمية لم تكن أسرته أول المذكورين بعد اطلاق سراحه من السجن ، ومن ثم فإنّ هذا الخطاب التّداوليّ هو ذو معنى محدد على عكس الخطاب التّداوليّ غير المباشر الذي ينفتح على مساحات تأويلية واسعة .

إنّ مقام الأُبوة والإشتياق للزوج الى جانب الشكر والثناء للفضل بن الربيع هي شروط أسهمت في عملية انتاج هذا الخطاب وتلقي النص ولولا ظروف الحبس وحياته القاسية التي عاشها من جانب ، ولولا وجود الزوج والأولاد بوصفهم عناصر سياقية لما سمعنا هذا الحنين والشوق والثناء من المتكلم . ويأتي في هذا النمط من الإفتراض المسبق قوله في إبنته بَرّة :[1]

ألا إنّ بنتي بنتُ من لم ير إبنةً سواها ولا إبنا قد تَبرُّ وتؤنسُ

فيا بَرُّ برِّيي حياتي فإن أمُـتْ فلا تذخرين دمعة حين أرمسُ

إنّ الإستنتاج المرشح من هذا الخطاب يتمثل في أنّ المعطى المعترف به هو أنّ المتكلم متزوج ولديه بنت اسمها (بَرّة) .

والنداء في البيت الثاني يتضمن افتراضا مسبقا هو أنّ الطرف الأوّل أي المخاطب هو والد وأنّ هناك مسألة استدعت أنّ يوجه المرسل نداءه الى المخاطب ونستنج أيضا من الفعل الإنجازي بإسلوب النداء والأمر " فيا بَرُّ بريي حياتي " وبإسلوب النهي " فلا تذخرين دمعةً".

إنّ الطرفين تربطهما علاقة تسمح بتقديم طلب وفق صيغتي الأمر والنهي . ومن ثم يظهر بوضوح أنّ قصد المتكلم في هذا المقام هو قصد حقيقي ودلالة مباشرة بيد أنّنا لم نر فعلا انجازيا ناتجا من الفعلين الإنجازيين : بريي حياتي و فلا تذخرين .

---

[1]- م . ن : ٩٨٢ - ٩٨٣

٢-الإفتراض الذي منشؤه القصد : وهو ذلك الخطاب الذي ينفتح فيه التأويل على مديات استعمالية متعددة أو أنّ المعاني المضمرة من قبل المتكلم عندما يتفوه بمثل هذا الخطاب أو ذاك في سياقه القصدي الغرضي ، والدلالات الإضافية التي يستنتجها المتلقي من مضمون الكلام المتفوه :[١]

ومن نماذج هذا النمط من الإفتراض المسبق الخطاب الآتي لأبي نواس :[٢]

ويوم كنـــديّةٍ قـــــالتْ لجارتها والدّمعُ ينهلُّ من مثنى ومن وَحَدِ

ألهى إمرأ القيس تشبيبُ بغانيةٍ عن ثأرِهِ وصفاتُ النُّؤي والوتــدِ

وظف أبو نواس الحوار بوصفه تقنية اسلوبية في بناء القصص الشعري ، وهذه التقنية في النظم والتأليف لم يقتصر مجال استعمالها في الخمريات والغزليات بل امتدت ظلالها الى ساحة الهجاء والقذع ونلمس بوضوح في هذا الخطاب الشعري أنّ المتكلمة " كندية " وجهت حديثها الى المخاطبة وهي هنا الجارة الكندية على أساس مما يفترض سلفا أنّه معلوم لها والشيء المعلوم هو اغتيال بني أسد لحجر سيد كندة والد إمرئ القيس في موقع دار ملحوب . بعبارة أخرى في ملفوظ المتكلمة " ألهى إمرئ القيس...عن ثأره " خلفية مشتركة أو افتراض أنّ والد إمرئ القيس مقتول .

إنّ السياقين النصي والمقامي يكشفان بوضوح أنّ قصد المرسل من خطابه هذا ليس الفعل الوصفي أو نقل حادثة تاريخية تمثل تقاعس أمرؤ القيس عن القيام بالواجب الملقى على عاتقه وهو المطالبة بدم المقتول عرفا وقانونا بل هو فعل انجازي تداوليّ القصد منه العار والخذلان . ومن زاوية اخرى فإنّ المصادر التاريخية والأدبية ذهبت عكس ما ذهب اليه أبي نواس وهو أنّه كان طريدا شريدا وجمع الجيوش وقتل كثيراً من قبيلة أسد ومن ثم كيف

---

[١]- التّداوليّة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٦٥

[٢]- ديوانه الحديثيّ : ٦١٢- ٦١٣

نوفق بين الخبرين ولذا يمكننا القول أنّ أبا نواس لم يكن يجهل تلك الاخبار الشهيرة ، لكن القصد التواصليّ التّداوليّ من وراء تلفظه ب " ألهى أمرأ القيس ..." هو ثورة على الأطلال بعد توجيه ضربة مباشرة لزعيم الإفتتاحية الطللية إمرئ القيس . وفي حال نفي قول أبي نواس عوضا عن الإثبات أي قولنا : ما ألهى إمرئ القيس ... يبقى الإفتراض المسبق قائما وهذا ما أشار اليه "جورج يول" بقوله ومن المثير أنّنا إذا أنشأنا تضاد الجملة بنفيها فإنّ علاقة الإفتراض المسبق لا تتغير أي أنّ الإفتراض يبقى نفسه مفترضا مسبقا .[١]

ومن شواهد نمط الإفتراض المسبق الذي منشؤه القصد قول أبي نواس : [٢]

لا تبكِ ليلى ولا تطــربْ الى هنــدِ واشربْ على الوردِ من حمراءَ كالوردِ

كأساً إذا انحدرتْ في حلقِ شاربِها أجـدتُه حُمــرتَها في العــينِ والخــدِ

فالخمرُ ياقوتةٌ ، والكأسُ لــؤلــؤةٌ من كفِ جاريـــــةٍ ممشـــــوقةِ القدِّ

أبو نواس في مقطوعته هذه يوجه خطابا إمّا لسامع حقيقي أو متخيّل متعاون في المحاورة ، وإنّ ثنائية الفرح والحزن في الخطاب النواسي والمتشكل بإسلوب النهي الصريح والمكرر تعكس جليّا افتراضا مسبقا هو بكاء على عرائس أو حبيبات مثل ليلى وهند . ويظهر السّياق النصي بعناصره المتنوعة (المرسل \ أبو نواس، والمرسل اليه \ الندمان ، والشخصيات الأخرى \ الجارية ، والموضوع \ الخمرة) الى جانب سياق الحال أو الموقف وهو سياق اللهو والخمر والعبث إلاّ أنّ مفتاح التواصل بين طرفي الخطاب هو خليفة المعلومات المشتركة أو الإفتراض المسبق الذي يؤهل لفهم قصد المرسل ، فالمخاطب سواء أكان نديم المتكلم أو أي مستمع أو قارئ يمتلك قناة معرفية مشتركة مع المرسل وعصره وعليه فأنّ

---

[١]- ينظر ، التّداوليّة : جورج يول ، ترجمة د. قصي العتّابي ، الدار العربية للعلوم والفنون ناشرون ، ط ١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م : ٥٣

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ١٢٧ - ١٢٨

الإفتراض المسبق المتمخض هنا هو ظاهرة البكاء على ترك ليلى وفراقها والفرح لهند عن لقائها ، لكن قصد المرسل ليس النهي عن البكاء بوصفه حالة شعورية تنتاب الإنسان في مواقف كثيرة تنتاب الإنسان بل يحمل خطاب النهي قصدا تواصليا وغرضا تداوليّا هو ترك المقدمة الطللية والثورة على التقاليد الشعرية البالية التي لا توائم عصره وحضارته وهو بذلك يفعّل بصدق مطابقة الكلام لمقتضى الحال وسحب تلك المقولة من المجال البلاغي الى مجالات الحياة المتنوعة . فقد آثر أبو نواس حياة الحضارة لما فيها من ترف ولهو على حياة الأعراب في البادية لما فيها من شظف ومشقة وحرمان وهو لا يفضل قومية على أخرى من حيث الدم والعنصر، لكنه يفضل عيش الحضر على عيش الأعراب في الباديـــــة .[١] ومن أمثلة هذا النمط من الإفتراض المسبق قوله في احدى مجونياته : [٢]

فجاءتْ بهِ كالبدرِ ليلةَ تمِّهِ تخالُ به سحراً وليس بهِ سِحرُ

فَقمُنا اليهِ واحداً بعد واحدٍ فكان به من صوم غُربتَنِا الفطرُ

فبُتنا يَرانا اللهُ شرَّ عصابةٍ نُجرِّرُ أذيـالَ الفسوقِ ولا فَخـــرُ

يدور المحتوى القضوي لهذ الأبيات حول حدث الشذوذ الجنسي ، والراوي سرد بعدا جسمانيا للمروي عنه – الغلام- بقوله : " كالبدر ليلة تمّه " و" تخال به سحرا وليس به سحر" ليمهد ويبرر بعد ذلك اتيان الفعل اللاسوي .

أما البيت الأخير فينطوي على الإعتراف بسلطة دينية عليا مهيمنة على المرسل وعصابته ، متمثلة بالرقابة الإلهية على المخلوقين لضبط سلوكهم . وقوله : " نجـرّر أذيال الفسوق ولا فخر" يفترض مسبقا أنّ المرسل وهو يسوق خطابه الى المرسل اليه أنّهما يمتلكان معرفة

---

[١]- ينظر أبو نواس ، عمر فروّخ ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، شباط ١٩٦٤: ٦٥ – ٦٦

[٢]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات :٢٩٢

مشتركة بوجود الله وإيمانهم بسلطانه وإنّ الفعل المرتكب من قبل أبي نواس وعصابته كان خروجا على منظومة الدين ؛ لأنّ أصل الفسوق هو الخروج من الشيء . بعبارة أخرى أنّ قوله " نجرّر أذيال... " يتضمن افتراضا مسبقا بأنّ اللواط هو خروج على المنظومة الإلهية واعترافٌ بسلطة الدين .

إنّ العلاقة بين الطرف الأوّل – الله عزّ وجلّ- والطرف الثاني – المتكلم وعصابته - هي علاقة تجمعهما ثنائية الحاكم والمحكوم ، وفي هذا السّياق تتولّد دلالة قصدية تواصلية هي دلالة الإستهتار لا الصراحة ؛ لأنّ " الصراحة أنّ يقول الإنسان أو يعمل ما يعتقد أنّه الحق ، وأما الإستهتار فهو أنّ يقول ما يقول أو يعمل ما يعمل وهو يوقن أنّه الباطل أو الفسق أو الفجور".[١]

وينهض البيت الأخير دليلا على إيمان أبي نواس ودفع تهمة الكفر والإلحاد عنه ؛ لأنّ الفارق واضح بين الإنحراف في السلوك والإنحراف عن العقيدة والفكر .

ويُربط الإفتراض المسبق باستعمال عدد كبير من الكلمات والعبارات والبنى ، وتعد هذه الصيغ اللغوية مؤشرات لإفتراضات مسبقة كامنة ويمكنها أنّ تصبح افتراضات مسبقة واقعية فقط عند وجودها في سياقات مع المتكلمين ومنها :

١-ارتباط تركيب التملك بافتراض مسبق للوجود.[٢] كخطاب أبي نواس الآتي :[٣]

أيا مَن حمّـــلَ الذرّ ةَ ما لا يحملُ الفيـــلُ

أما تعـــلمُ أنّ المَـــر ءَ مبعوثٌ ومســـؤولُ

ومَن أنصتَ للواشينَ هِزّتـــــهُ الأقاويـــلُ

---

[١]- أبو نواس : عمر فروّخ : ٧٥

[٢]- ينظر التّداوليّة : ٥٤

[٣]- ديوانه ، الحديثيّ : ٧٩٦

فلو قلتَ لهم : مَــهلاً كما قلتَ لهم : قولوا

لما كان على عــبدِ كَ لا قالٌ ولا قيــلُ

الغزل بالمذكر من الموضوعات التي استجدت في العصر العبّاسيّ ولم تكن معروفة قبل ذلك، وكان لأبي نواس قصب السبق في ذلك الميدان . وتأتي هذه المقطوعة في سياق الغزل بالغلمان ، وتتمركز بؤرتها حول موضوعة العتاب أي عتاب الحبيب ولومه على تحديب الأمور وتضخيمها . إنّ ضمير التملك (الكاف) في لفظة عبدك مؤشر لساني يحيل على افتراض مسبق هو إنّ المتكلم – أبا نواس- بوصفه عاشقا مغرما ، هو في الواقع فاقد الحرية ؛ لأنّه ملكٌ لغيره ، أي ملك لمعشوقه . أما القصد الحواري التواصليّ الملائم للسياق فهو العبودية المجازية في الحب والهوى ، لا العبودية الحقيقية ؛ لأنّ الاوّلى وقعت باختيار المتكلم وبإمكانه نيل الحرية أو التحرر من أغلال النفس وسجن الهوى ، أما العبودية الحقيقية فهي عبودية لله ولا يمكن للإنسان الاستغناء عنها .

ومن ذلك أيضا قول أبي نواس :[1]

وأما بنو دودانَ والحيُّ كاهـلٌ فمِنْ دُودةٍ بين الخَراتين والعَجْبِ

فَخَرتُم سَفاهاً أنْ غَدرتُم بربِّكم فمهلاً بني الوقعاء في كُبّةِ الحربِ

يأتي هذا الخطاب في سياق الهجاء ، إذ هجا أبو نواس حييّن من بني أسد وهما دودان وكاهل ، وكان القصد من الفعل المنجز من الشطر الثاني هو تحقير أصلهم كونهم خُلقوا من جلدة الإست . واندرجت تحت عباءة الهجاء بوصفه الدلالة الكبرى أو الحدث الكلامي ووحدات دلالية فرعية .

ويستعرض المتكلم في هذه النتفة الشعرية أحداثا تاريخية لتفعيل الهجاء وجعله أكثر فاعلية وأثرا وهذا ما هو بيّن من قوله : " فخرتم سفاها إنّ غدرتم بربِّكم " .

---

[1]- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٧٨ ــ ٥٧٩

وهذا الخطاب الموجه من أبي نواس الى بني أسد يتضمن افتراضا مسبقا هو استرجاع المتكلم لحادثة اغتيال حُجر بن عمرو الكندي والد أمرئ القيس على أيدي رجال من بني أسد . وقد ذكرت المصادر التاريخية إنّه كان لحُجر على بني أسد إتاوة في كل سنة مؤقتة ، فلما كان بتهامة أرسل جابيه فمنعوه ذلك ، فبلغ ذلك حُجراً فسار اليهم بجند فأتاهم وأخذ سراتهم فضربهم بالعصا وأباح الاموال وحبس سيدهم عمرو بن مسعود الأسدي فأثر ذلك في نفوس بني أسد وأضمروا له الإنتقام . ثم إنّ حُجراً وفد على أبيه في مرضه وأقام عنده حتى هلك وبعد أن قفل راجعا الى بنـي أسد اجتمعت بنو أسد الى نوفل بن ربيعة وهجموا على حُجر ومن معه فأنهزم جيشه وحرض علباء غلاما من بني كاهل على قتله فدخل الخيمة التي احتبس حجر فيها فطعنه طعنة كانت سبب وفاته .[١]

إنّ الكاف في قوله " غدرتم بربّكم " ضمير دال على التملك ، أي أنّ لكم ملكا ، والربُّ هنا بمعنى الملك . نستنتج أنّ البيتين يتضمنان قصدين ، الأوّل ، مباشر وهو الظاهر من السّياق النصي أي قصد الهجاء . والثاني : قصد عميق وهو أنّ الغدر الذي تحلى به بنو أسد هو بسبب أصلهم الوضيع حسب ادعاء المرسل ؛ لأنّهم مخلوقون من جلدة بين المخرجين .

٢-الافتراض المسبق الواقعي : وفي هذا النوع يمكن معاملة المعلومة الإفتراضية المسبقة التي تلي فعلا مثل يعلم على أنّها حقيقة مثل : لم أدرك أنّه كان مريضا ، أو نحن نادمون لأنّنا أخبرناه .[٢]

ويرى الباحث أنّ هذا النوع من الإفتراض المسبق يقترب من ما أسماه بعض الدارسين بالإفتراض المسبق الدلالي تمييزا له عن الإفتراض المسبق التّداوليّ على أساس قضية الصدق والكذب ، فالاوّل مشروط بها فإذا قلنا مثلا " إنّ المرأة التي تزوجها زيد كانت أرملة وكان هذا القول صادقا لزم صدق القول الآخر وهو زيد تزوج أرملة " .

---

[١]- ينظر المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد عليّ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، مكتبة النهضة – بغداد : ٣ \ ٣٥٠ – ٣٥١

[٢]- ينظر التّداوليّة : ٥٥

أما الإفتراضات التّداوليّة فهي غير مشروطة بقضية الصدق والكذب ، فإذا قلت مثلا "مكتبتي ثرية بالكتب " ثم " قلت : مكتبتي غير ثرية بالكتب " فعلى الرغم من التناقض الحاصل في القولين فإنّ الإفتراض المسبق هو إنّ لي مكتبة لا تزال قائمة ".[١]

من النماذج الشعرية للإفتراض المسبق الواقعي قول أبي نواس :[٢]

أيّةَ نـــارٍ قدحَ القـــــادحُ وأيُّ جدٍ بـــلغَ الـــمازحُ

للهِ درُّ الشيبِ من واعــظٍ ونـــاصحٍ لو قُبِلَ الناصِحُ

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهجُ الحق لهُ واضـــحُ

هذا الخطاب الزهدي جملة وتفصيلا كان في الواقع فعلا تأثيريا صادرا من أبي نواس لتدارك ما وقع فيه من الخطب العظيم ، فالسّياق الخارجي للخطاب يكشف لنا أنّه نظم هذه الأبيات بعد امتعاض أصحابه وإنكارهم على أبي نواس قوله :[٣]

يا ناظراً في الدينِ ما الأمرُ ؟ لا قدرٌ صحّ ولا جبرُ

ما صحَّ عندي من جميعِ الذي تَذكرُ إلا الموتُ والقبرُ

في هذا الخطاب التواصلي بين أبي نواس وأصحابه نجد طرفي الخطاب مشاركين في الحوار وأما الغرض الحوار – والقول لإبي نواس- : " هذا عمل إبليس ، اجرى هذا الكلام ليعارض فرحنا ".[٤] ومن أجل الوصول الى المقصد التواصليّ لقول أبي نواس

---

[١]- الوظائف التّداوليّة في المسرح مسرحية " صاحب الجلالة " لتوفيق الحكيم – نموذجا - ، ياسة ظريفة ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ٢٠١٠ م : ٢٣

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٩٧٨

[٣ - ٤]- أخبار أبي نواس لأبي هِفّان : ٦١- ٦٢

أيّة نار قدح القادح وأي جد بلغ المازح

علينا الإحالة الى السّياق الخارجي لهذا الخطاب فقد جاء في الخبر أنّ اصحاب أبي نواس امتعضوا من قوله السابق واستفظعوه ، فقال لهم : والله ، ما أدين إلاّ بالإسلام ، ولكنّ ربما نزا بي المجون حتّى أتناول العظائم ، وما أعلم أني مسؤول عنه ، ومعذّبٌ عليه .[١] ومن ثم يكون الإفتراض المسبق الواقعي ل " أية نار قد... " هو قوله : " يا ناظر في الدين ما الأمر ".

ومن النماذج الشعرية لهذا النمط من الإفتراض المسبق الخطاب الآتي لأبي نواس وهو يعتذر من أصحابه إذ دعوه للشّراب وسألوه الجلوس معهم للتندر وحسب فجلس فإذا دارت الخمرة في الرؤوس عرضوا عليه أنّ يشاركهم في شرابهم فيقول :[٢]

أيُّها الرائحانِ باللومِ لومـــــا لا أذوقُ المـــــدامَ إلا شـــمـــيما

نالنِي بالمـــــلامِ فيـها إمـامٌ لا أرى لي خِـــلافَه مُستـــــقيما

فاصرِفاها الى سـواي فإنّـــي لستُ إلا على الحديث نـــــــديما

إنّ حظّي منّها إذا هـــي دارتْ أنْ أراهـــا وأن أشـــمَّ النَّسيـــــما

فكأنّي وما أُزيّـــن منـــــــها قعديٌّ يُزيـــــنُ التّـــــحكيمـــــا

كَلّ عن حملِهِ السّلاحِ الى الحر بِ فأوصى المُطيقَ ألّا يُقـــــــيما

استهل الخطاب التواصلي الإنجازي بين المرسل أبي نواس والمرسل اليه – اصحابه - بتقنية النداء بوساطة " أيُّها " ويبين سياق المقام التّداوليّ أنّ النداء أدى وظيفة الإلتماس ؛ لأنّ أطراف الحوار متساوون في المرتبة الإجتماعية ، والمرسل يصرح بترك شرب

---

[١]- م . ن : ٦٢

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٢٩

الخمر وأنّه لا يذوقه إلاّ شميما . إنّ السّياق الخارجي يكشف أنّ الخلفية التواصلية مشتركة بين طرفي الخطا . أما قوله " نالني بالملام فيها إمام لا أرى لي خلافه مستقيما يتضمن قوله " لا أرى لي خلافه مستقيما " افتراضا مسبقا مضمونه أنّ المنتج وكذلك المرسل اليه على علم ومعرفة مسبقة أنّ الأمين بعد أن أمر باطلاق صراح الشاعر من السجن أخذ عليه عهدا أنّ لا يشرب الخمر وإلاّ فإنّ مآله السجن والموت .[١] ؛ ولأنّ الخلفية التواصلية مشتركة بين الشريكين فإنّ المرسل اليه (أصحابه) يقبلون عذره ولومه وإلاّ لم يسألوه الجلوس معهم للتندر فحسب . ومن زاوية أخرى فإنّ القارئ المتأمل في قول أبي نواس لاسيما : " لا أرى لي خلافه مستقيما " يمكنه تسجيل الملاحظات الآتية :

١-إنّ الشاعر لم يفصح عن نتيجة الخلاف.

٢-إنّ لفظة " الإمام " والضمير " الهاء " في " خلافه " مرجعية إحالتهما غير متعينة بالاسم المباشر وهذا يكشف البعد الإجتماعي والمادي لتراتبية السلم الاجتماعي .

٣-إنّ المتكلم خاضع لسلطة عاجز عن مقاومتها ، وإنّ هذه السلطة نافذه حتى في المجالس الخاصة . وبعبارة أخرى أنّ المتكلم معدوم السلطة . ومن أجل كل ذلك فقد أوجز المتكلم قوله وأرخى سـدوله على أسباب شرب الخمـــــر وعواقب خرقه في هذا المقام ، واكتفى بقوله " لا أرى لي خلافه مستقيما " ؛ لأنّ توظيف المعرفة المشتركة يعفي المرسل من تطويل الخطاب .[٢]

أما القصد التواصليّ للمتكلم فهو اظهار التوبة مؤقتا والإبتعاد عن الخمر الى حين تغير الظروف وتبدل الأحوال ؛ لأنّ قرار المنع من شرب الخمر جاء في سياق الوضع السياسي المتشنج بالنسبة للأمين " بما كان يذيعه خصومه السياسيون من تهوين شأن الأمين ، وأنّه لا يصلح للخلافة ، لإنصرافه الى العبث واللهو والمجون ، وتقريبه أكبر شعراء العبث واللهو

---

[١]- نوادر أبي نواس :٢٥٢

[٢]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٥٠

والمجون منه " بدليل أنّ هذا القصد كان تكتيكا قام به المتكلم من أجل درء الخطر عن النفس ، وأنّ الشاعر " ما لبث أن عاد اليها ، وذهب يعتذر للأمين عما فعل ، فقبل الأمين عذره وتركه وشأنه فعاد للخمرة يحتسيها " ولهذا فإنّ الباحث يتفق مع الرأي القائل أنّه " من الضروري لكي يتشكل قصد ما امتلاك معرفة مسبقة ، أي معرفة المتكلم سواء بالعالم والسّياق بوجه عام ، أو معرفته بالسامع بوجه خاص " .[١] ومن الأمثلة على هذا النوع من الإفتراض المسبق قول أبي نواس :[٢]

أنتَ يا ابنَ الربيعِ ألزمتَني النُّس كَ وعودّتنيهِ والخيرُ عــادة

فارعوى باطلي وأقصَر حبــلي واحدثتُ رغبةً وزهـــــادَه

المحتوى القضوي لهذين البيتين أنّ المخاطب إبن الربيع ألزم المتكلم أبي نواس على فعل النّسك وكان نتيجة ذلك الإلزام أن تراجع أبو نواس عن الباطل وكفّ عنه وأصبح من الزاهدين ، إلاّ أن هذا الخطاب كان نتاج سياق تواصلي معين هو سياق الصراع مع النفس ضد الشهوات لاسيما شرب الخمر وارتياد الحانات ، " فقوله " ألزمتني النسك ، ارعوى باطلي ، اقصر حبلي ، أحدثت عفة وزهاده " هذه العبارات كلها افتراضات مسبقة مضمونها ما يأتي :

١-إنّ غير إبن الربيع لم يلزمه النسك .

٢-قبل هذا الإلزام كان يخوض في الباطل

٣-قبل التبدل كان ماجنا وغير زاهد.

وكل هذه المعطيات واقعية في حياة الشاعر. ونستنتج من قوله : " ألزمتني" أنّ أبا نواس

---

[١]- علم النص ، مدخل متداخل الإختصاصات ، تون أ. فان دايك ، ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة ، ط ٢، ٢٠٠٥ : ١٣٩

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٤٥٩

وإبن الربيع تربطهما علاقة خاصة وقوية من أجلها ألزم المرسل أبو نواس اتباعه ومن ثم

طاعته . أما دلالة النّسك في الخطاب فإنّ السّياق الخارجي يحددها بالعهد الذي أخذه على نفسه بعد تدخل الفضل بن الربيع في أمره ،فأمر الأمين باطلاق سراحه بعد أن أقسم أن لا يشرب الخمر ولا يراود الحانات.[١]

إنّ قصد المرسل من لفظة النسك هو ترك حياته الجديدة بعدم شرب الخمر واظهار التوبة ، وليس النسك بمعنى التعبد الحقيقي لله عزّ وسبحانه . وهذا هو القصد من قوله " فارعوى باطلي واقصر حبلي " والدليل على هذا التأويل هو معاودته شرب الخمر بعد قبول الأمين عذره وتركه وشأنه كما أوضحنا ذلك سلفا .

٣-الافتراض المسبق المناقض للواقع :

بمعنى أنّ الذي يفترض مسبقا ليس غير صحيح فحسب ، وإنما عكس ما هو صحيح أو مناقض للحقائق .[٢] كالذي نسمعه من هجاء أبي نواس هجاء للخصيب :[٣]

خبزُ الخصيبِ معـلقُ بالكوكـبِ يُحمي بكل مُثقــفٍ ومشــطّبِ

جعلَ الطعامَ على بنـيهِ محرّمـاً قوتاً وحــَـلَلَهُ لِمَنْ لم يســـــغبِ

فإذا هم نظروا الرغيفَ تطرّبوا طربَ الصّيامِ الى أذانِ المـغربِ

المقطوعة تصوّر هجاء أبي نواس للخصيب والي مصر. وهذا الخطاب يعكس إحدى الخصائص المعنوية في شعر أبي نواس وهي التحليل النفسي لإخلاق بعض المحيطين به

---

[١]- أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه ، إبن منظور المصريّ ، قدّم له وأشرف على تصحيحه وتقسيمه وتبويبه عمر أبوالنصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩ م : ٢٥٢

[٢]- ينظر التّداوليّة : ٥٧

[٣]- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٨٦

ومكنونات صدورهم لاسيما في البيت الثاني ، ومحتواه أنّ الخصيب حرم الخبز – وهو علامة سيميائية على الطعام والكرم – على الجـائع وحلّـه لغير الجائع والقصد التواصلي من هذا الخطاب هو : اضطراب تفكيره وسلوكه " .[١]

أما قوله : " خبز الخصيب معلق بالكوكب " هو تلفظ يفترض مسبقا أن المجهو شخص قابض اليد ، شحيح النفس ، وإنّ المتكلم له معرفة مسبقة به وعن نمط الحياة التي يعيشها . لكن المتن الشعري المدحي لأبي نواس الى جانب اخباره وأسفاره يقولان غير ذلك. بمعنى أنّ المعرفة المسبقة عن الخصيب كونه بخيلا وشحيح النفس ليس فقط أنّه غير صحيح بل أنّه مناقض للواقع استنادا الى :

١-قوله يمدح الخصيب :[٢]

تقولُ التي مِن بيتِها خفَّ مركبـي ... عزيزٌ علينـا أنْ نراكَ تـسيرُ

أمـا دون مصرٍ للغنى متـطلّب ... بلى إنّ أسبـابَ الغـنى لكـثيرُ

فقلتُ لـها واستعجلتُها بـوادرٌ ... جرتْ فجرى في جَريهِنّ عبـيرُ

ذَرِيْني أُكثِّرْ حـاسديكَ برحلةٍ ... إلـى بلدٍ فيه الخصـيبث أميـرُ

إذا لم تزرْ أرضَ الخصيبِ ركابُنا ... فـأيَّ فتًى بعد الخصيبِ نـزورُ

فتى يشتري حُسنَ الثنـاء بمـالِهِ ... ويعـلمُ أنَّ الدائـراتِ تـدورُ

فما جازَهُ جـودٌ ولا حلَّ دونـهُ ... ولكنْ يصيرُ الجـودُ حيث يصيرُ

ولم ترَ عيني سؤددا مثلَ سـؤددٍ ... يحلُّ أبـو نصـرٍ بـه ويسـيرُ

---

[١]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات : ١٤٤

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٤١٩ - ٤٢٠

فلو كان الخصيب بخيلا لما سافر أبو نواس الى مصر للتكسب ، هذا أولاً .

وقد جاء في بعض أخباره أنّ الخصيب بعد أن سمع هذا القول قال له : " إذاً يكثر حسادها وتبلغ أملها ، وأمر له بألف دينار " .[١]

٢- إنّ الخصيب هو دهقان شريف الآباء .[٢]

٣- قوله في الخصيب مادحا له من قصيدة أخرى :[٣]

أنتَ الخصيب وهذه مصر فتدفقّا فـــكلاكما بحــرُ

لا تقعدا بي عن مدى أملي شيئا فما لكما بـه عُــذرُ

ويحقُّ لي إذ صرتُ بينكما أن لا يحِل بساحتي الفـقرُ

النيّلُ ينعشُ ماؤهُ مصـــــراً وندالك يَنعِشُ أهـلـه الغمرُ

وقد ذيّل إبن منظور هذه القصيدة بالخبر الآتي : -

" ولما قال له : أنت الخصيب وهذه مصر ، الى آخر القصيدة ، قال له الخصيب إذاً لا يخيب أملك ولا ينقطع مرادك ، ثم أمر له بألف دينار آخرى ..." .[٤]

٤ - قوله في الخصيب من قصيدة طويلة نكتفي بهذا البيت :

فَانقعْ بسَيبِكَ غُلةً نَزَحتْ بي عن بلادِي وارتهِنْ شُكري

إنّ الفعل التأثيري الصادر من الخصيب بوصفه مخاطبا بعد سماعه القصيدة : " فلما أنشده

---

[١]- أخبار أبي نواس : تح عمر أبو النصر : ٢١٦

[٢]- ينظر ديوانه ، الحديثيّ : ٤١٢

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٤٧٩

[٤]- أخبار أبي نواس : ٢٢١

إياها بكمالها أمره أن يقيم عنده ، فلم تطب نفسه بالمقام " .[١] نقول بعد هذا الخبر : أمِنَ المعقول أن بخيلا لئيم النفس يعرض على أحد المقام عنده ؟؟!!

٥ – ذكر أحد الدارسين أنّ أبا نواس رجع من مصر بثلاثة آلآف دينار، لكنه مع ذلك فأنّه رجع يهجو الخصيب من بعد أن مدحه .[٢]

نخلص الى القول الى أنّ كل تلك النصوص الشعرية المدحية والأخبار والروايات التاريخية تؤكد أنّ المعطى الأساس الذي لم يصرح به المتكلم – أبو نواس- حول شخصية الخصيب . ونقصد به البخل جاءت لتؤكد أنّ المعلومة المسبقة لم تكن خطأ فحسب ، بل مناقضة للحقيقة والواقع .

ويلعب القصد في سياق معين في انتاج خطاب تتناقض فيه المعرفة المسبقة مع الواقع كما في الخطاب التالي وفيه هجا أبو نواس هاشم بن حُديج الكنديّ :[٣]

وكلُّ كنـــــــديةٍ قالت لجارتها والدّمعُ ينهلُ من مثنى ومن وَحَدِ

ألهى إمرأ القيس تشبيبٌ بغانيةٍ عن ثأره وصفـــات النؤى والوتدِ

يطفو على سطح هذا الخطاب خرق عادة من عادات العرب وهي عدم الأخذ بالثأر مما ينتج عنه لحوق العار بصاحبه . وقوله : " ألهى إمرأ القيس تشبيبٌ بغانيةٍ عن ثأره " يفترض مسبقا وقوع حادثة قتل أو اغتيال وهذا القتل لم يثأر له وتقاعس إمرؤ القيس عن ذلك. وسواء أخذ أمرؤ القيس بالثأر أم لم يأخذ فإن القتل قد وقع بل أنّ الروايات التاريخية والأدبية نقلت لنا أنّ الملك الضليل عزف عن اللهو من التشبيب بالنساء وذكر الأطلال

---

[١]- م . ن : ٢٢٥

[٢]- ينظر أبو نواس : عمر فروخ : ٦٠

[٣]- ديوانه ، الغزّاليّ : ٥٥٢

وشرب الخمر بعد حادثة مقتل والده .[١] ومن هنا يكون قول أبي نواس " ألهى أمرأ القيس" مناقضا للواقع .

٤-**الإفتراض المسبق المعجمي** : وهذا النوع يفسر استعمال صيغة بمعناها المؤكد عادة بالإفتراض المسبق أنّ معنى آخر غير مؤكد قد تم فهمه ، فكلما ذكرت أنّ شخصا تمكن من إنجاز شيء ما يصبح المعنى المؤكد أنّ ذلك الشخص نجح بطريقة ما . وفي هذا النوع يؤخذ استعمال المتكلم لتعبير معين على أنّه يفترض مسبقا مفهوما آخر (غير مذكور) بينما في حالة الإفتراض المسبق الواقعي يؤخذ استعمال تعبير معين على أنّه يفترض مسبقا صحة المعلومة المذكورة بعده .[٢]

ومثال الإفتراض المسبق المعجمي قول أبي نواس :[٣]

وقائلةٍ متى عنها تَسَلّى ؟ فقلتُ لها : إذا شابَ الغدافُ

تشكل بناء مضمون هذا الخطاب بإسلوب الحوار ، وطرفا الحوار هما : متكلمة مجهولة العنوان والهيأة قد تكون حقيقية أو افتراضية و يستنتج في كلتا الحالتين أنّها قريبة اجتماعيا من المخاطب أبي نواس والجملة الاستفهامية : " متى عنها تسلّى" تتضمن افتراضا مسبقا بأنّ الطرف الاوّل عاشق هائم وإنّ العلاقة الاجتماعية التي تربطهما تسمح للطرف الاوّل إلقاء مثل هذا السؤال .

ويكشف السّياق النصي أن الفعل المنجز بصيغة الاستفهام " متى" له دلالتان ، حرفية أي الاستفهام عن زمن النسيان أو التسلّية بدليل أنّ الاجابة جاءت بما تفيد تحديد وقت معين هو قوله : " إذا شاب الغداف " أي الغراب. أما الدلالة القصدية التواصليّة من جواب المخاطب

---

[١]- المفصّل في تاريخ العرب : ٣ \ ٣٦٣

[٢]- ينظر التّداوليّة : ٥٥

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٢٦٩

فهو استحالة التسلّية أو النسيان استنادا الى : -

(أ)- إن منتج الخطاب استهل المقطوعة بالبيت التالي :

فديتكِ ليس لي منكِ انصراف ولا لي في الهوى منكِ انتصاف

فالشطر الأوّل يتضمن محتوى قضويا ينفي عنه القائل الانصراف في هواه وحبه .

(ب)- إنّ قوله " إذا شاب الغداف " تعبير كنائي عن استحالة النسيان ؛ لأنّ سواد ريش الغراب لا يبيض إبداً ، أو كما قال أحد شرّاح ديوانه معلق على هذا البيت : " والغراب لا يشيب" .[١]

وهذه الدلالة السياقية مرتبطة حدوثها بالمستقبل بقرينة أداة الشرط غير الجازمة الدالة على المستقبل ، وهي (إذ) في قوله " إذا شاب الغداف ". ومن ذلك أيضا قوله : [٢]

لقد سَرّني أنّ الهلالَ غُديّةً بدا وهو ممـــــشوقُ الخيالِ دقيقُ

أضرتْ به الأيّامُ حتى كأنّهُ عِنان لـــواه باليــدينِ رفيـــــقُ

وقفتُ أُعزِّيه وقد دقَّ عظمَه وقد حانَ من شمسِ النهارِ شروقُ

ليست هذه الأبيات لوحة لأحد شعراء المدرسة الرومانسية وهو يصور أحزانه ويبثها لما أصاب هذا الجرم الصغير السّماوي من نقصان وأفول إنّما هو سلسلة من العلامات السيميائية التي انطلقت من منظوره الخاص في رؤية الاشياء والموجودات التي حوله . والسياق النفسي الخاص والمتمثل بترك الخمر في شهر رمضان هو الذي انتج هذا الخطاب ومن هنا فإن " لأي خطاب كان ، رصيد من الافتراضات المسبقة مستمدة من

---

[١]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات : ٤٧٠

[٢]- ديوانه ، الغزالي : ٢٠٥

المعرفة العامة وسياق الحال " .[١] وقوله في البيت الأوّل :

لقد سرني أن الهلال غديّةً بدا وهو ممشوق الخيال دقيق

نستشف منه أن سائلا سأل أبا نواس ذا صباح شهر رمضان وهذا يفترض أنّ المسؤول كان قبل أواخر هذا الشهر حزينا مغموما، وقوله : " لقد سرني..." يتضمن افتراضا مسبقا أنه لم يكن مسرورا قبل هذا الوقت أي قبل أن يكون هلالا في آخر الشهر، والتعبير المجازي " ممشوق الخيال دقيق " لا تدل على مدح الموصوف بل على نحوله وعلامة على انتهائه ، وكل هذه الدلالات تشكل علامة سيميائية على فرح أبي نواس لأنّها إيذانا بأفول الإمساك عن الشرب وبزوغ وقت اللهو وهذا هو القصد التّداوليّ من قوله : " بدا وهو ممشوق الخيال دقيق ".

٥ــ الإفتراضات المسبقة البنيوية : وفي هذه الحالة تحلل بعض الجمل عرفيا وبانتظام على أنّها تفرض مسبقا ذلك الجزء من البنية الذي افترضت صحته . ويمكننا القول أنّ بامكان المتكلمين استعمال تراكيب مثل هذه لمعاملة المعلومات على أنّها مفترضة مسبقة (أي مفترضة على أنها صحيحة) وبذلك يقبلها المستمعون على أنّها صحيحة .[٢] ومثال هذه الحالة من الإفتراض المسبق قول أبي نواس في احدى خمرياته :[٣]

قِفْ بربعِ الظاعنينا وابكِ إن كنتَ حَزينا

وأسالْ الدارَ متى فا رقتِ الدارُ القطــينا

قد سَألناها وتأبـــى أنْ تُجيب السّــائلينا

---

[١]- مدخل الى اللسّانيات التداولية ، الجيلالي دلاش ، ترجمة محمّد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩٢ م : ١٣٤

[٢]- ينظر : التّداوليّة : ٥٦

[٣]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات : ٦٣٩

هذه البنية الطللية الساخرة تشكل الشريحة الثانية لخمريته الشهيرة والتي استهلها

يا إبنةَ الشيخِ اصبحينا ما الذي تنتظرِينا

وهذا القسم من الخطاب تصدره فعلان انجازيان هما (قف ، ابك). أما في البيت الثاني فنجد أن قوله :

واسألِ الدارَ متى فا رقتِ الدارُ القَطينا

فإنّ بنية الاستفهام فيه " متى فارقت الدار القطينا " يتضمن افتراضا مسبقا هو في الأصل إنّ القاطنين فارقوا الدار أو أن الدار خالية وفارغة من أهلها . لكن لماذا قلب المتكلم المسألة ، أي لمَ لم يقل متى فارق القطينُ الدار؟

بالرجوع الى السّياق النصي نرى الأبيات الستة الاوّلى من القصيدة هي في ذكر الخمر ووصفها ومميزات طلابها من الكرم والسخاء ، ثم يبسط الكلام في الاطلال . ويسهم رغبة المتكلم واعتقاده في العيش في ظل الحياة الحضرية الجديدة بكل زخرفها وزبرجها ونبذ حياة البداوة وأسلوب عيشهم . وبعد امتلاك هذه المعرفة عن السياقين النصي والحالي يمكننا الوصول الى القصد التواصلي التّداوليّ للمتكلم والذي يتمثل بالسخرية ممن وقف على الديار وبكاها. ومن ذلك أيضا قوله :[1]

مَن سَبّني مِن ثَقيفٍ فأنّـــني لــن أسُبّــهْ

أبحتُ عرضي ثقيفا ولطمَ خدّي وضربهْ

وكيف ينــكر هــذا وفيــهم لــي أحبّــهْ

الصيغة اللغوية الاستفهامية لتلفظ المرسل : " من سبّني من ثقيف " يفترض مسبقا المعلومة الآتية : وقوع الســبّ من شخص مــا على شـخص المتـكلم . فمعلومة السبّ قدمها المـتكلم

---

[1]- ديوانه ، الغزاليّ : ٢٤٠

بوصفها معرفة مشتركة بين طرفي الخطاب . ويستنتج من قوله : " فإنني لن أسُبّه " إنّ المتكلم عطّل حقه في الرد على سابّيه ، والقصد من الفعل الإنجازي لن أسبه هو رسالة اطمئنان وعفو المخاطب ، لذا إنّ السياق المقامي لإنتاج هذا الخطاب التّداوليّ وبالإحالة الى ملف القصيدة نجد مولى جنان قد سب أبا نواس عند بعض أخوانه غير أنّه تنبه فأشفق من هجائه له .[١]

---

(٢)- ينظر م . ن : ٢

المبحث الرابع

القصديّــة والسّــياق

يساعد السّياق طرفي الخطاب على تأطير الدلالة وترسيم حدودها ، كما يعد في الوقت نفسه آلية من آليات انضباط القراءة ، ومن ثم يبعد المستمع أو المتلقي عن الشطط في التأويل ، ويحيدهما عن المروق من أخلاقياته .

تصدر العلاقة اللغوية من نكرة اعتباطية في أصل وضعها اللغوي ، لكنها لا تلبث أنّ تكتسب سمة الانتظام ومرد الانتظام الذي تكسبه الربط الذهني المتسق الواصل بين العلاقة وما تدل عليه ، ولكن السياق هو الذي يحتكم اليه في تعيين المعنى المراد.[١]

ويضطلع السياق بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي مثل تحديد قصد المرسل ومرجع العلاقات .[٢] وغدا مصطلح السياق من المصطلحات الشائعة والمؤثرة في الدرس اللغوي منذ أن ابتدعه (مالينوفسكي) ليتسع في الدراسات التّداوليّة. ومن الجدير بالتنويه أنّ السياق وهو المحيط الذي توجد فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أم جملة والذي يتحدد من خلال المعنى المقصود يقسّمه الدارسون على قسمين هما:

١-السّياق اللغوي: وهو ما يسبق الكلمة وما يليها من كلمات أخرى أي أنّه البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي بما يشمل عليه من عناصر لغوية مختلفة ، تفيد في الكشف عن معنى الكلمة أو الجملة .

٢-السّياق غير اللغوي : ويسميه الدارسون (سياق الحال أو الماجريات) ويقصد به الظروف الخارجة عن اللغة المتعلقة بالمقام الذي تورد فيه الكلمة ويشمل جميع الظروف المحيطة

---

[١]- ينظر علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلبيّ ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م : ٣٤

[٢]- ينظر استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٤٠

بالحدث اللغوي (سياق الموقف ، العصر، نوع القول، وجنسه، المتكلم ، أو المخاطب ، المستمع أو القارئ، العلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الثقافة ، الجنس، العمر ، الألفة، والطبقة الاجتماعية، ظروف الجو، إيماءآت أو اشارات عضوية .[١] ونلاحظ ثمة تشابها بين التّداوليّات من جهة والسياق غير اللغوي من جهة أخرى وهو تشابه لا يعني التطابق ، ذلك أنّ التّداوليّات أعطت زخما للسياق بمعاملته سياق مستعمل اللغة وليس سياقا بحد ذاته. السياق ليس مجرد عرض للمنظورالجملي ، كما هو الحال عند مالنيوفسكي وفيرث وهاليداي أنه الموقف الاجتماعي الذي يتم الكلام فيه .[٢] " ولهذا فإن معرفة اللغة بأنظمتها المعروفة وحدها لن تغني المرسل اليه في معرفة قصد المرسل بمعزل عن السياق ؛ لأنّ مدار الأمر ينصب على ماذا يعني المرسل من خطابه ، لا ماذا تعنيه اللغة ، حتى لو كان الخطاب واضحا في لغته ؛ لأنّ معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه " .[٣]

وهنا يجب أنّ نفرق بين النوايا والمقاصد ، إذ أن المقصد ينسحب فقط على انجاز عمل بعينه على حين تنسحب النية على الوظيفة التي يمكن أنّ تكون لهذا العمل أو الحدث . فيمكنني أنّ انجز الحدث (غمز العين) عن وعي ، وإن لم توجد لديه نية لتقديم علاقة شخص لآخر . أما حدث " فتح الباب " فإنّي أنجزه بنية أن أدخل أو أخرج ومن ثم فإنّ أغلب الاحداث التي نقوم بها تتضمن نية . ولذلك تمتد تلك النية الى الحال أو الحدث الذي نرغب في ايجاده أو نأمل في ايجاده لفعلنا أو من خلال فعلنا.[٤]

وتتعدد السياقات وفق كل جماعة ، فلكل قوم لغة ولكل مجتمع لغة ولكل مهنة لكل ، كما تتوزع فيها السياقات بمدارات الرقة والغلظة وغـيرها من الصـــفات العرضية والأصليـــة

---

[١]- ينظر التّداوليّة في البحث اللغويّ والنقديّ :١٢٣

[٢]- ينظر م . ن : ١٢٣ – ١٢٤

[٣]- استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ١٩٦

[٤]- ينظر علم النص فان دايك : ١٢٣

للأصوات .[١] ومن النماذج التي كان تأثير سياق لغة المجتمع واضحا فيه قول أبا نواس يهجو أبو خالد النمري :[٢]

يا راكبا أقبــل من ثهمـدِ كيف تركتَ الإبلَ والشــاءا؟

وكيف خلفّتَ لوى قـعنبٍ حيث تـرى التـــنّوم والاءا

جاءَ من البدو أبو خـــالد ولم يــكن بالمصـــــر تنَّـاءا

إذا دعا الصـاحبَ يهيا بـه واتبـــع اليـهياء يـهيـــاءا

لو كنتَ من فاكهةٍ تُشــتهى لـطيبِـــها كنـــتَ الغُبيــراءا

لا تعبرِ الحلقَ الــى داخـلٍ حتّـــى تُحســـيّ فوقــها الماءا

الحدث الكلامي الرئيس يتمحور حول الهجاء ، وتتشظى في فضاء هذه القصيدة حقول دلالية فرعية أبرزها نمط الحياة البدوية لاسيما رعي الابل والشاء بوصفهما أبرز النشاطات أو الفعاليات التي يمارسها الانسان في تلك البيئة ، وكذلك الإشارة الى ألفاظ المعجم والقاموس اللغوي لتلك الجماعة كما في البيت الرابع الى جانب مستواها الثقافي من خلال أساليب تعبيرهم لاسيما صيغة النداء (البيت الخامس من القصيدة)، كذلك الإشارة الى الغطاء النباتي بذكر شجرة الغبيراء. ونلحظ بوضوح أنّ الالفاظ والتراكيب الدلالية عكست أثر السياق في ما قيل ، بعبارة أخرى أنّ المرسل – أبا نواس- وظّف سياق الحياة البدوية بوصفها محيطا اجتماعيا للتعبير عن قصده للنيل من المهجو أبي خالد النمري .إنّ القراءة الفاحصة لقوله :

يا راكباً أقبل من ثهمد كيف تركت الإبل والشّاءا

---

[١]- ينظر المعنى خارج النص أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية دمشق ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م : ٣٥

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٥٣ – ٥٥٤

تُبيّن بصورة جليّة وجود مسافة بين القول والمقصد من جانب المرسل ، وإنّ الفعل الإنجازي بصيغة الإستفهام في قوله : " كيف تركت الإبل والشّاءا " لم يكن في الواقع السؤال أو الإستفهام عن حال التي ترك فيها أبو خالد هذه الإبل والشاء من صحة أو سقم أو غير ذلك ، أي أن اداة الاستفهام " كيف " خرجت من الدلالة للحرفية الى دلالة غير مباشرة هي الاستهزاء والسخرية من المهجو وهذا هو أحد الاغراض الانجازية الفرعية للخطاب أو هو قصد الشاعر . والذي يعضد هذا القصد ، موضع هذا السؤال البلاغي في سياقه اللغوي.
وأما قوله :

إذا دعا الصاحب يهيا به وَيُتبعُ اليهياء يهياءا

فإن هذا التلفظ يتضمن معرفة مسبقة من قبل المتكلم – أبي نواس- بالبيئة ونمط أسلوبها في النداء ؛ لأنّ معنى " يهيا به " هو " يصيح به ".[١] وهو عنصر لغوي يستعمله الأعراب بوصفه أداة نداء .[٢] ومن ثم يؤول هذا البيت تأويلا تتجه فيها الدلالة صوب الاستهزاء والسخرية. وهنا يكشف لنا السياق المقالي الاسغناء عن الدلالة الحرفية للبيت ؛ لأنّ المتكلم لا يريد من هذا البيت الاستدلال ب " يهيا " على أنّه من أدوات النداء المستعملة في العربية كما هو الحال عند اللغويين والنحويين ، بل اتجه قصده الى الاستهزاء بأبي خالد على المستوى الظاهري ، وأما على مستوى البنية العميقة فالسخرية من البدو وأنماط حياتهم بشكل عام وإسلوبه في التحاور والنداء بشكل خاص . و" لذلك فالسياق التواصلي يجمع بين ما توفره المعطيات اللسانية من معلومات تمثل مقدمات أساسية وبين ما يملكه كل مشارك من رصيد معرفي مشترك ، فلا يمكن لأي محادثة أن تجري بصورة مميزة ومفيدة دون أن تخضع لهذا الرصيد المشترك فينشأ التأويل في هذا السياق التواصلي وبه يتقيد المؤول في

---

[١]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات : ٧٢

[٢]- ينظر ديوانه ، ايفالد فاغنر : ٢ \ ١١٤

ضبط المعنى".[١] أما قوله في البيتين الأخيرين :

لو كنتَ من فَاكِهةٍ تُشتَهى لِطيبِها كُنتَ الغُبيـــــراءَا

لا تَعبُر الحلقَ الى داخلٍ حتى تُحسي فوقها الماءَا

فقد أسهم السياق المتصل بوضعية الخطاب في انجاز فعل كلامي القصد منه ليس الدلالة الحرفية للقول ، بل المراد من ذلك أنّه غير مستساغ ، ويندرج هذا الغرض الانجازي الفرعي تحت الغرض الانجازي الأكبر- الهجاء- ، ومن ثم فإن فعل الرفض هو الفعل الذي أنجزه أبو نواس في سياق الهجاء.

وفي ضوء تأثير السياق في ما يقال ، وأن لكل مجتمع لغة متداولة في حياتهم تبرز الطرديات بوصفها نصوصا تصف الصيد وأدواته وآلاته كالكلاب والصقور والديكة بوصفه ميداناً خصباً في المعالجة التّداوليّة ل" تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين " .[٢]

ومن أبرز طرديّات أبي نواس قوله يصف ديّكا :[٣]

أنعتُ ديّكاً من ديـوكِ الــهندِ كريـــمَ عمٍّ وكريـــمَ جـــدِّ !

لنـسبةٍ ليســـت الـــى مـعـدِّ ولا قُـضـــاعيٍّ ولا فـــي الأزْدِ

مُفَتـَّحَ الريشِ شـــديدَ الزِّنـدِ ضَخمَ المخاليبِ ،عظيمَ العضدِ

حتى إذا الديك إرتأت من بُعدِ ونجمه في النحسِ لا في السعدِ

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " سلطة الوصائل البراغماتية في فهم الخطاب وتأويله " ، خليفة الميساوي : ٣٦٩

[٢]- التّداوليّة : ١٩

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٦٤٥

رأيتُهُ كالفــارسِ المُـــعَدِّ يَخطُرُ خطراً مثلَ خطرِ الأسدِ

يَقشُّـــــه بالكَدِّ بعـــد الكَدَّ ويـــعب مُوَصـــلٍ بجـــهـــدِ

حتّى تَرى الديّك له كالِقدِّ مُـــفكِّـــراً يعظمُهُ بالسّـــجدِ

يا لكَ مِن ديكٍ رُبى في المَهدِ !

يفصّل أبو نواس في هذه الطرديّة وصف الديك وصفا يظهر فيه البعد الاجتماعي كونه كريم النسب (البيت الأوّل)والبعد الجسدي –(في الابيات ٣-٦) والبعد النفسي في (البيت الأخير).ويختمها بالتعجب بقوله :"يا لك من ديكٍ رُبى في المَهدِ ". إنّ الدلالة الحرفية في البيتين الأوّل والثاني :

أنعتُ ديّكاً من ديوك الهند كريمَ عمٍّ وكـــريـــمَ جَـــدِّ

لنسبةٍ ليست الـــى معَـــدٍ ولا قُضاعيٍّ ولا في الأزدِ

هي أنّ لهذا الدّيك الهندي نسبا شريفا ودوحة كريمة لم تهب مثله للقبائل العربية من معدٍ أو قضاعة أو الأزد. أما الدلالة القصدية للمتكلم فهي السخرية من هذه القبائل والامتعاض من ثقافتها لاسيما الفخر بالأنساب . إنّ الفخر بالعشيرة والنسب متداول ليس بين العرب فقط بل بين أغلب الجماعات البشرية لاسيما في الحياة البدوية ، لكن أبا نواس سحب هذا المعنى من مجاله الإنساني الى مجال آخر هو عالم الحيوان والطيور والقصد هو السخرية والإستهزاء بقيمة من قيم التقاليد والعادات التي تفعّل بطريقة سلبية وغير الحضرية في قطاعات واسعة من المجتمع . والذي أسهم في نمو هذا اللون من التفكير عند أبي نواس من نبذ الحياة العربية البدوية هو البيئة التي عاش فيها أبو نواس والتي امتازت بتمازج الثقافات وتفاعل القوميات والأعراق وضعف العنصر العربي قليلا في العصر العبّاسيّ . وفي سياق الأغراض التجديدية كان أبو نواس في جانب من هجائه يذم حياة الأعراب في البادية أي حياة الخشونة والتقشف والبعد عن الحضارة ويذم كذلك وقوف الشعراء على الأطلال وبكاءهم على الديار ، ويدعو الى رفض ذلك والأخذ بما يوافق الحضارة المادية الجديدة . ولكنه لم يفعل ذلك بغضا منه للعرب أو تعصبا للفرس بل كان ذمه رفضا لتلك الحياة

البدوية ؛ ولأنّ الحياة عنده هي الحياة المادية الحضرية وأجمل شيء فيها وأبهاه مجالس الشّراب والجواري والغلمان .[١] في ظل هذه الحياة الحضرية بدا استعمال أبي نواس للألفاظ والمعاني في سياقه الجديد منحى جديدا يختلف عن المعاني السابقة ، ومن ذلك لفظة " الشّقي " الدالة على الإنحراف عن الصراط والتشبث بزخارف الدنيا في الأدبيات الدينية أوكلّ من يشقى بسبب سلوكه أو فعله. أما عند أبي نواس فإن هذه اللفظة أخذت دلالة جديدة ومعنى يختلف عن معناها السابق من ذلك قوله :[٢]

عاجَ الشِـــقيُّ على دارٍ يُسائِلُـــها وعُجتُ أسألُ عــن خمّارةِ البــلدِ

لا يُرقئُ اللهُ عيني مَن بكى حَجَراً ولا شَفى وجدَ مَن يصبو الى وتدِ

إنّ لفظة " الشّقي" في خطاب أبي نواس ليس المقصود منها الدلالة الحرفية ، وإنّما تدل على الواقف على الطلول مسائلا إياها عمن كان بها وقد أطلق عليه هذا اللفظ سخرية واستهزاءً.[٣] استدل الغزاليّ بوصفه متلقيا على القصد الإحالي للمتكلم استنادا الى معرفة مسبقة لحال المرسل ومقام المقال كونهما عنصرين من عناصر السياق الخارجي . والمقصود من حال المتكلم هو الثورة التي قادها أبو نواس على الأطلال ودعوته العلنية لتحديث البناء الشكلي للقصيدة . ومن ذلك أيضا قوله في كشف حال رجل يريد أن يستر حاله :[٤]

تفتيرُ عينيكَ دليلٌ على أنّكَ تشــكو سهَر البــارحهْ

عليكَ وجهٌ سَيّءٌ حالهُ مِـن ليـــلةٍ بتَّ بها صَالحهْ

---

[١]- ينظر إمراء الشعر في العصر العبّاسي ،أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، آب ، ٢٠٠٨ م : ٣١

[٢]- ديوانه ، : ١٣٥

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٤٦

[٤]- ديوانه ، الحديثيّ : ١٢٥

رائِحةُ الخمرِ ولذاتُــها والخمرُ لا تخفى لها رائحةْ

التحليل النفسي من الخصائص المتأخرة في العصر العبّاسيّ ، وحاول أبو نواس في تجاربه الشّعرية من تصوير عواطف البشر واظهار مكنونات صدورهم وأجاد على الأخص في وصف الأثر الذي تتركه الخمر في شاربها .[١] والخطاب النواسيّ أتكأ في تكوين عناصره اللغوية على سيميائية الجسد في بعده السببي ، وقوله : " تفتيرُ عينيكَ "علامة سيميائية سببها سهر الليل من أجل شرب الخمر. وأما قوله :

عليكَ وجهٌ سَيِءٌ حالهُ من ليلةٍ بتَّ بها صالحهْ

إنّ السياق يكشف للمخاطب والمتلقي أنّ القصد من " صالحه " هو طالحة أي الفسق والفجور ، واستعمل أبو نواس هذه اللفظة عوضا عن اللفظة المتّداولة أي لفظة طالحة أي طيبة لغرض التهكم .[٢] وليس كما قال غير واحد أن القصد من " صالحة " هو التعبير عن مذهبه الذي يدعو الى العكوف على المعاصي وانتهاب اللذّة .[٣] إذن لفظة " صالحة " أصبحت لها معنى تداوليّا خاصا عند أبي نواس في سياق خمرياته ولهوه . ويرجح الباحث معنى طالحة للفظة صالحة بوصفه القصد المتضمن في الخطاب استنادا الى المحيط اللغوي للفظة " صالحه " لاسيما قوله : " عليكَ وَجهٌ سَيِءٌ حاله " فلو كانت ليلةٌ صالحة لما كان حال وجهه سيئاً . وبما أنّ التّداوليّة تركز على المقصدية التي لا تتجلى إلا من خلال الاتصال اللغوي في مقام معين . ونظرا لإرتباط فعل التلفظ بالفاعل(المتكلم) فإنّ القصد يختلف من متكلم لآخر تبعا لحالة السياق من انجاز الحدث الكلامي رغم احتواء المتكلمين لنفس اللغة .[٤]

(١-٢)-ينظر أبو نواس : عمر فروّخ : ٨

(٣)- أنظر ديوانه ، الغزاليّ : ١٥ ، الحديثيّ : ١٢٥ ، محمد أنيس مهرات : ١٩٩

(٤)- ينظر قضايا تداولية في دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني : ثقبايث حامدة ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي ، ٢٠١٢م : ٦٤

من ذلك الخطاب الآتي لأبي نواس :[1]

يا أحمدُ المرتجى في كلِّ نائبةٍ قُم سيّدي نَعصِ جبّار السّمواتِ

لقد لعب السّياقان الداخلي و الخارجي دوراً كبيراً في تحديد القصد وكشف دلالة الخطاب. وبالرجوع الى المصادر التي نقلت أخبار أبي نواس وشرّاح ديوانه نكون أمام ثلاثة سيـاقات . أحدهما لغوي داخلي والآخران خارجيان وبالشكل الآتي :

١-السّياق اللغوي : بوصفه البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي بما تشمل عليه من عناصر لغوية مختلفة تفيد في الكشف عن معنى الكلمة أو الجملة وعليه فإن السّياق اللغوي للشطر الثاني أي قوله : " قم سيدي نعصِ جبار السموات " ولاسيما عبارة " نعصِ جبار السموات " تحدد دلالة الخطاب بالنظر الى سياق الانتاج الذي هو الخمر واللهو ، ومن ثم تحدد القصد من لفظة " نعصي" القيام بالفاحشة وتحديدا اللواط ، ومما يؤيد ذلك السياق اللغوي للأبيات التي سبقت وتلت البيت المذكور أعلاه . زد على هذا شيوع الفاحشة وطلب اللذّة مع الغلمان وذكر المعاصي والمجاهرة بها في شعر أبي نواس . وعودا على السياق اللغوي الذي ورد فيه البيت السابق نقرأ قول أبي نواس :[2]

وداهريٍّ سما في فرعِ مكرمةٍ من معشرٍ خُلِقوا في الجود غايات

أوفت كنانة تعليه ذرى درج من العلى فعلا محض الضريبـــات

ناديته بعد ما مال النجوم وقد صاح الدّجاج ببشرى الصبح مرات

فقلتُ والليلُ يجلوه الصّباح كمـــا جلا التبسم عن غُرِّ الثنيـــــات

يا أحمدُ المرتجى في كلّ نائبـــةٍ قم سيدي نعصِ جبّار الســموات

---

[1]- ديوانه ، الحديثي : ١٠٩

[2]- م . ن : ١١٩ - ١٢٠

وهــاكــها قهوةً صهباءَ صافيــةّ منسوبة لقرى هـيت وعانـــات

ألـــدِّهُ بحُمـــــــيّاها لأبـــسطهُ باللّيِّن طورا وبالتشــديد مـرات

حتى تغنّى وما تمّ الثــلاث لـــه حلو الشمائل محمـود السِّـــجيِّات

" يا ليت حظي من مال ومن ولد أنّي أُجالـسُ لبـنى بالعـــــشيات"

في هذه العملية التخاطبية امتزجت لذّة الإتيان بالذكور مع لذّة شرب الخمر والغناء والفعل الانجازي المصوغ بإسلوب فعل الأمر في قوله : " نعصِ" يتحدد معناه التّداوليّ في سياقه اللغوي بفعل الفاحشة. ويستشف من مكونات الخطاب والعلامات اللغوية مثل شرب الخمرة الصهباء كموضوع يشكل محور الخطاب وعلى أنغام الطرب والغناء– حتى تغنّى- واجواء آخر الليل أو بالأحرى انبثاق الفجر بوصفه عنصرا سياقيا يحيل على الزمان والبيتوتة عند غلام حسن الصورة والجسم – حلو الشمائل ، محمود السّجيّات - بوصفه صفات جسدية ومعنوية للمخاطب كلها مؤشرات تقوي دلالة ارتكاب معصية المضاجعة مع الغلام – أحمد- أكثر مما يستوجب الخوض في مبادئ العقيدة ومسألة انكار الموجود من عدمه . لقد وِظّفَ قول أبي نواس الآنف الذكر بقصد آخر في سياق يمكن تسميته بسياق الإنتقام الشخصي لتحقيق هدف معين هو انزال الموت بالشاعر. فقد اتخذ من قوله :

يا أحمدُ المرتجى في كلِّ نائبة قمْ سيدي نعصِ جبّار السموات

دليلا على اتهام أبي نواس بالزندقة ، فقد نقل لنا راويته أبو هفّان هذا الخبر : " أنّه قيل لأبي نواس أنّ أم الربيع من مولّدات اليمامة ، وأباه من مولّدي المدينة ، فقال : فمن ثم جمع آل الربيع (حُلاق) اليمامة في رجالهم ، وزناء إماء المدينة في نسائهم . فنمي الخبر الى الربيع ، فلم يزل به حتى حبسه وطالبه بالزندقة وادعاها عليه وأراد أن يوجبها عليه بين يديّ الرشيد فجمع له الفقهاء ودسّ إليهم الأموال وبعث الى من كان يحسده من الشعراء فأحضرهم ، ثم قال له : ألست القائل :

يا أحمد المرتجى في كل نائبة قم سيدي نعصِ جبّار السموات

قال : بلى . قال : يا أمير المؤمنين ، كافرا! ثم إلتفت الى من حضر فقال لهم : ما تقولون يا معشر الفقهاء والشعراء؟ قالوا : صدق يا أمير المؤمنين." .[١]

تترشح من الرواية السابقة الملاحظات الآتية :

١-إنّ قول أبي نواس هنا يُنتج في سياق جديد وهذا محط عناية التّداوليّة ؛لأنّها مهتمة بصيغ لغوية ملفوظة في سياق .[٢]

٢-إنّ زمان التلفظ الربيع ومكانه يختلفان عن زمان انتاج النص ومكانه ، فالزمان عنده هو بعد حادثة اعتداء أبي نواس على آل الربيع " جمع آل الربيع حُلاق اليمامة في رجالهم وزناء إماء المدينة في نسائهم" ، والمكان هو بين يديّ الرشيد.

٣-استبعد الربيع بوصفه مؤولا عناصر السياق لضبط المعنى الى سياق يخدم فيه قصده ، وغضّ الطرف عن قصدية المتكلم .

وإذ كانت " الأقوال تؤول بحسب السياق بواسطة عمليات استدلالية ذات صبغة استنبـــــاطية ".[٣] فإنّنا نجد قول أبي نواس : " قم سيدي نعصِ جبّار السموات " يَخرج من سياقه الحقيقي وهو سياق الخمر والمجون والتهتك الى سياق سياسي لخدمة هدف محدد هو اسقاط الخليفة العبّاسيّ محمد الأمين ؛ لأنّه " لما وقع الخُلف بين الأمين والمأمون ، كان ذو - الرياستين يخطب بمساوئ الأمين ، وقد أعدّ رجلا يحفظ شعر أبي نواس ، فيقوم بين يديه ويقول ، ومن جلسائه رجلٌ ماجن ، كافرٌ، مستهزئ ، متهكم ، يقول كذا وكذا وينشد

---

(١)- أخبار أبي نواس لإبي هِفّان : ١٤١

(٢)- ينظر نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية ، أ. د. منال " محمّد هشام " سعيد نجار ، تقديم أ.د. نهاد الموسى ، عالم الكتب الحديث ، الأردن – إربد ، ط ١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م : ١٧

(٣)- التّداوليّة اليوم علم جديد في التواصل : آن روبول ، جاك موشلار ، ترجمة د . سيف الدين دغفوس وآخرون ، مراجعة د. لطيف زيتوني ، المنظمة العربية للترجمة ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، تموز ٢٠٠٣: ٢١٦

قوله :

يا أحمد المرتجى في كل نائبة قم سيدي نعصِ جبّار السموات

وغير ذلك من قبائح شعره ومجونه " .[١]

وتكشف لنا هذه الرواية أن خطاب أبي نواس أعيد انتاجه تحت ظرف خاص . لإستخلاص قصد جديد يعكس رغبة المنتج الجديد . لقد كان زمن انتاج هذه الدلالة هو زمن الصراع بين الأخوين وقد استثمر طرفا النزاع الوسائل المختلفة من أجل احتواء الآخر ، وكان الشعر أحد تلك الوسائل . أما مكان انتاج هذا القصد الجديد فكان خراسان ، المعقل الحصين للمأمون العبّاسيّ .

ومن زاوية أخرى يكشف هذا المقطع من الرواية " فكتب بذلك الى محمد الأمين عيونه . فجزع له ، وأمر بقتل أبي نواس " ثقافة الأمين بوصفه متلقيا قياسا الى ثقافة المتكلم – أبي نواس- وكيف واجه تهمة الزندقة والكفر بقوله للأمين : " يا أمير المؤمنين إن كانوا قالوا هذا بعقولهم ، فما أنقصها ! وإن كانوا قالوه بآرائهم ، فما أجهلهم ! أيكون زنديقا مقرّاً بأن للسموات جبّارا ؟ " .[٢]

إنّ أبا نواس كشف الغطاء هنا عن ضحالة ثقافة المتلقين من جانب ومن جانب آخر يكشف عن قصده بطريقة حجاجية أقنعت المخاطب فجاء الفعل التأثيري على نمطين ، الأوّل : لغوي تمثل بقول الأمين : " لا والله ، ولقد صدقت . قم " والثاني سلوكي ؛ لأنّه قام بإطلاق سراحه .[٣]

إنّ ذا الرياستين في الحقيقة لم يفشل في الوصول الى قصد أبي نواس ؛ لكنه حاول تضليل الرأي العام من خلال التأويل التجزيئي لمقطع من قول أبي نواس ومن هنا " فإنّ تأويــل

---

(١)- أخبار أبي نواس لإبن منظور : عمر أبو نصر : ١٢٦

(٢-٣)- م . ن : ١٢٦

خطاب يعني نسبة مقصد إخباري الى القائل ولكن المقصد الإخباري لم يعد متصلا بقول واحد بل بمجموع الأقوال التي تكون الخطاب وللتمييز بين هذا الضرب وذاك يسمى المقصد المتصل بالقول مقصدا موضعيا والمقصد المتصل بالخطاب مقصدا إجمـــاليا .[١]

وهذا يعني أن كلا من هارون الرشيد والمأمون لم يستثمرا عناصر السياق للوصول الى قصد المرسل عند انتاج الخطاب ، ومما يعضد ذلك أنّ " قصد المتكلم لا يمكن التعرف عليه من خلال ما يمتلكه القول من علامات ومؤشرات وقرائن لسانية فقط ، وإنّما يستدل عليه كذلك من مقام القول بعناصره المختلفة وبأطرافه : هويتهم وعلاقاتهم ومعارفهم المشتركة وقدراتهم على التعبير والتأويل" .[٢]

ولعل أهم ما يمثل السياقات الاجتماعية التي يخرج فيها اللفظ عن معناه المتّداول هي كون اللفظ مستعملا في سياق الأمثال المتّداولة والتي تختلف من ثقافة الى أخرى ومن جماعة الى جماعة أخرى .[٣]

ومن النماذج التي تعكس الأمثال في سياقات متنوعة الخطاب الآتي لأبي نواس يمدح فيه الفضل بن الربيع استهله بدعوته للتجديد :[٤]

يا ربعُ شُغلُكَ إنّي عنكَ في شُغُل ... لا ناقتي منك لو تدري ولا جملي

عليَّ عينٌ وأُذنٌ مـــن مـــذكّرةٍ ... موصولةٍ بهوى اللّوطيَّ والغـزلِ

كـــلاهما نحوها سـام بهمّـــته ... على اختلافِهما في موضعِ العملِ

---

[١]- التّداوليّة اليوم علم جديد للتواصل : ٢١٦

[٢]- المقام في البلاغة العربية : دراسة تداوليّة ، د. شكري الطوانسيّ ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٤٢، يوليو – سبتمبر ، ٢٠١٣ : ٨٥

[٣]- ينظر المعنى خارج النص : ٣٦

[٤]- ديوانه ، الحديثيّ : ٤٩٩

كم قائلٍ لكَ : مِن داعٍ وقائلةٍ نفسي فداءُ أبي العبّاس من رَجُلِ

يفدِّيانك ما اسطاعا بجهدهِما ويسألانِ لكَ التأخيرَ في الأجــلِ

افتتح أبو نواس قوله هذا بخرق معمارية قصيدة المديح واستهلها بصيغة النداء يقوله " يا ربع " لكنه نداء وفراق لا نداء ودّ ووصال ؛ لأنّ الطلل أو الربع ليس محط عناية و لا شأن له به وفي هذه المدحية نرى مطلع المديح وقصر القطعة والجون وكل هذا يكسر أفق المتلقي ويخالف ما ألفه الأقدمون من معايير قصيدة المديح .

لقد وظف أبو نواس المثل المضروب " لا ناقة لي ولا جمل " أي لا شأن بك يا ربع أو الطلل والقصد من المثل بدا واضحا فقد سحب أبو نواس المثل من بيئته الخاصة الى محيط آخر نفذ من خلاله الى قصده. إنّ لفظتي الناقة والجمل هما علامتان تحيلان في سياقها الوجودي الواقعي الى قيمة وثروة مادية كبيرة لاسيما في الحياة البدوية أما تداوله في عصر الحضارة والترف فكان بقصد القيمة الإعتبارية لا تداعيات دلالاتها في الحياة الإجتماعية .

ومن الأمثال المستعملة في سياق تداوليّ معين قول أبي نواس في مدح العبّاس بن عبيد الله ابن جعفر :[١]

أيُّها المنتابُ عن عُفُرِهِ لستَ مِن ليلي ولا سَمرِهْ

لا أذودُ الطيرَ عن شَجرٍ قد بلوتُ المُرَّ مِن ثمــرِهْ

الخطاب المدحي مستهل بنداء المنتاب أي الزائر والمقتضى القضوي لهذا الخطاب يتلخص بالآتي : " أنت جافٍ فأنا أتركك ولا أمنع منك من يريد مواصلتك ؛ لأنّي ذقت مودتك وجرّبتها فوجدتك غدّارا بمن أحبك جافيا لمن يريدونك " .[٢]

بيد انّ المعنى التّداوليّ للخطاب يكشف عن قصد مغاير للدلالة القضوية بعد ربط النص

---

[١]- ديوانه ، الحديثي : ٣٩٩

[٢]- أخبار أبي نواس لإبن منظور : ١٣٩

بالسياق ، هو أنّ المتكلم قال هذا البيت في صاحبة له كان يحبها فأختلفت الى رجل من البصرة ، ثم جاءته ليلة فوبّخها وطردها .[١]

إذن السياق المقامي احال العلامات اللغوية الى مرجعيات محددة في ذهنية المرسل فهو قصد من لفظة " الطير " الرجل البصري الذي كان يزور صاحبته خلسة ، أما " الشجر" فيحيل على الصاحبة ومجيء لفظة " شجر" نكرة دلالة على أن المرأة أصبحت مشاعة لكل الناس " قد بلوت المُرّ من ثمره " فالدلالة القصدية للمتكلم من لفظة " المرّ من ثمره " هي الغدر بمن أحب والجفاء للحبيب .

إنّ السّياق النفسي المتأزم للمتكلم بسبب الخيام والغدر من طرف الصاحبة قد عكس هذا الخطاب ومن ثم أنتج فعلا انجازيا منفيا أي نفي المنع من سلوكها المسين بقوله " لا أذود الطير عن الشجر" ، ومن ثم " فالخطاب ليس له معنى إلا من خلال السياق الذي يجري فيه ويتغير معنى التلفظ بحسب وضعيات الخطاب التي تقدم بعض المؤشرات على السلوك الكلامي فيتماسك ويقوى ترابطه ؛ لأنّه يرتبط بمعارف مشتركة تكونت للمشاركين في عملية تلفظ مسبقة وهو ما يجعل الترابط متينا وقويا بين أجزاء الخطاب وعلاقته بالوضعية التي يجري فيها الخطاب مما يمنح السياق مجالا لتحديد المعنى .[٢]

---

[١]- ينظر ديوانه ، محمد أنيس مهرات : ٣٥٦

[٢]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " سلطة الوسائل البراغماتية في فهم الخطاب وتأويله " ، خليفة الميساوي : ٣٦٤

المبحث الخامس

الإشاريات والمقاصد

إذا كانت اللغة أنساقا اشارية في المناهج اللسانية الحديثة ، فإن مصطلح الإشاريات في التّداوليّة يشير الى مكون محدد في الخطاب تؤدي وظيفة تداوليّة على مستوى تماسك النص وانسجامه . ولا تتضح مدلولات هذه المكونات أو العناصر إلا من خلال استعمال المتلفظ لها في سياق خاص .

ويتجسد الخطاب باللغة في مستوياتها كافة والكلمات جزء من نظام اللغة فتحيل كلمة على مدلول معيّن ، إلا أن بعضا منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت ، فلا يتضح مدلوله إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معينّ .[١] والتأشير مصطلح تقني تستعمل لوصف أحدى أهم الاشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح التعبير الإشاري ، وتسمى التعابير التأشيرية أيضا الإشاريات وتعتمد في تفسيرها على متكلم ومستمع يتشاركان في السياق ذاته . وتستعمل التعابير التأشيرية بشكل أساس ومتزايد في التفاعل المنطوق وجها لوجه حيث يكون فهم لفظ يسير جدا على الحاضرين ، ولكن الغائب قد يحتاج الى ترجمة لفهمه .[٢] اعتنى علماء التّداوليّات بالإشاريات واعدوا أن النص يتألف من عدد ما من العناصر تقيم فيها بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على ايجاد نوعا من الانسجام والتماسك في تلك العناصر وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمانية والروابط الإحالية في تحقيقها .[٣]

---

(١)- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٧٩

(٢)- ينظر التّداوليّة : ٢٧

(٣)- ينظر التّداوليّة ، امتداد شرعي للسيميائية ، أ.د.عبد الحكيم سحالية ، المركز الجامعي – الطارف ، الملتقى الدوليّ الخامس " السيمياء والنص الأدبي " : ٤٢

إنّ الإشاريات موجودة في جميع لغات العالم وهي على أنواع :

(أ)- الإشاريات الشخصية : وهي بشكل عام الإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب ، فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق ، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد ، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليّا .[١] ومن النماذج الشعرية لهذا النوع من الإشاريات الخطاب القصصي الموسوم ب " عند حنون" :[٢]

وخَـــمّارةٍ للـــهو فيـــه بقيّـــةٌ ... إليها ثـــلاثاً نحو حانتِـــها سِرْنا

ولليلِ جلبـــابٌ عليـــنا، وحولنَـا ... فما إن ترى إنسانا لديه ولاجِـــنّا

يُســـايرنا ، إلا سمـــاءً نجُومُـــها ... مُعلـــقّةٌ فيها ، الى حيث وَجّـــهنا

الى أنّ طَرقنـــا بابَـــها بعد هَجـعةٍ ... فقالتْ : مَن الطّراقُ؟ قلنا لها:"إنّا

شبابٌ تعارفنا ببِـــــابكِ ، لم نـــك ... نروح بما رحُـــنا إليك فأدلجـنا

فإن لم تُجيبيـــنا تبـــدّد شمـــلُنـــــا ... وإن تجمعيـــنا بالـــودادِ تواصلنا "

فقالتْ لنـــا: أهـــلاً وسهلاً ومرحبـــاً ... بفتيانِ صدقٍ ما أرى بينـــهم أَفنا

فقلتُ لـــها: كـــيلا حـــسابا مقَومـــاً ... دواريق خمرٍ ما نقصن ،ومازدنا"

فجاءتْ بها كالشمسِ يحكي شُعاعُها ... شُعاعَ الثُريَّا في زجاجٍ لها حُسنا

فقلتْ لها: ما الاسمُ والسّـعرُ، بينّي ... لنا سعرَها كيما نزُورك ماعِـشنا

فقالتْ لنا: حنونُ، اسمي، وسعرُهـا ... ثلاث بتسعٍ ، هكذا غيركم بِعـــنا

---

[١]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٨٢

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٤٩

ولما تولى الليل أو كاد ، أقبلت إلينا بمـيزان لتنقذنـــا الوزنـــــا

فقلت لها: جئنا وفي المال قلــة فهل لك في أن تقبلي بعضنا رهنا

فقالت لنا: أنتَ الرهينةُ في يدي متى لم يفوا بالمال خَلدّتُك السِـّجنا

على الرغم أنّ المرسل الحقيقي لهذا الخطاب الخمري هو أبو نواس إلا إنّنا نجد توظيف اسلوب الحوار تعددية الذوات المرسلة وتبديل الأدوار ، فتارة يكون أبو نواس هو المرسل وحنون – صاحبة الحانة - هي المرسلة اليه ، وطورا تكون حنون المرسلة وأبو نواس المرسل اليه . ونلمس بوضوح حضوراً مكثفاً للإشاريات الشخصية ومن ثم يمكن تقسيم تلك الإشاريات الإحالية في هذه العملية الحوارية على :-

الأوّل : الإحالات العاكسة : وهي عملية مباشرة يستطيع المتحاورون من خلالها الإحالة على أنفسهم خلال المحاورة بوساطة الضمائر الشخصية أنا ، أنت ، هو... وعلى هذا الأساس تعد الإحالة العاكسة أكثر درجة في الإحالية من عملية التسمية أو الوصف .[١] كما في :

(أ)- الإحالات العاكسة بوساطة الضمير (نا) المحيل على أبي نواس ورفاقه ، من ذلك : " نحو حانتها سرنا " ، " ولليل جلباب علينا " ، " حولنا " ، " يسايرنا " ، " الى حيث وجهنا " ، " الى أن طرقنا بابها " ، " قلنا " ، " إنا شباب تعارفنا " ، " بما رحنا " ،" فأدلجنا " ، " تبدّد شملنا " ، " وإن تجمعينا بالوداد توصلنا " ، " لنا ".

(ب) – الإحالة العكسية على المخاطب المذكر سواء أكان بالضمير " أنت " أم كان بكاف الخطاب كما في قول حنون في حوارها مع أبي نواس :

فقالت لنا: أنت الرهينة في يدي متى لم يفوا بالمال خلدّتك السجنا

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " المقاربة التّداوليّة للإحالة " يوسف السيساوي : ٤٨٦

فالمرسلة قصدت من ضمير المخاطب " أنت " ومن " الكاف : أبا نواس . وكذا على المخاطبة كما في : " شباب تعارفنا على بابك " .

(ت)- الإحالة العكسية على الغائب : سواء أكانت الغائبة مما يعقل من المذكر أم المؤنث ، أم كان الغائب جمادا . من ذلك قوله : " بفتيان صدق ما أرى بينهم أفنا " و" فجاءت بها كالشمس يحكي شعاعها " فالضمير الغائب " هم " تحيل على فتيان صدق والمقصود من " ها " في " جاءت بها " حنون تاجرة الخمرة . أما "ها " في قوله : " يحكي شعاعها " فالضمير يحيل على الخمرة وقوة شعاعها.

الثاني : الإحالة المشتركة : " وهي عملية يسعى المتحاورون من خلالها الى الإحالة على الموضوعات الخارجية المتوقعة في الحوار الإحالي وتعد العلاقة الإحالية السند الأساسي لتقويم علاقة الإحالة مع العالم الخارجي ".[١]

إنّ الموضوع الخارجي أو الرئيس المحال عليه بين طرفي الحوار – أبي نواس وأصحابه \ حنون- هي بيع الخمر من قبل حنون وشرائه من قبل أبي نواس ومن شربه الى جانب توثيق عرى الصداقة والتواصل وكان هذا اقتراح أبي نواس أو الإقدام على اجراءآت احترازية من قبيل المسك بالرهائن في حالة عدم الاستيفاء ثم ثمن الخمر من قبل حنون . إنّ قصد أبي نواس من توظيف التأشير الشخصي حكاية على لسان البائعة في قولها : " أنت الرهينة في يدي ..." هو قصد مباشر من قبل المتكلم بمبدأ البيع بلا مقابل ." والضمائر المستترة في النحو العربي ضرب من الإشاريات التي تدرك الإحالة عليها من السياق فلا يتلفظ بها المرسل لدلالة الحال عليها ".[٢] كما في خطاب أبي نواس الآتي :

ولما تولى الليل أو كاد ، أقبلت إلينا بميزان لتنقدنا الوزنا

---

(١)- م . ن : ٤٨٦

(٢)- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٨٣

إنّ الفاعل في قوله : " أقبلت إلينا " هو ضمير مستتر تقديره هي ومن ثم أخفى أبو نواس عن حنون في البنية التركيبية للجملة لما كان الفاعل معلوما بالنسبة للمخاطب ، وعليه فإنّ السياق اللغوي للخطاب كفيل بكشف قصد المتكلم .

إن مقاربة الخطاب الخمري السابق في ضوء سياق الإشاريات حسب موقف بيري تترشح منها ما يأتي :

١-ظهور السياق المصغر المتعلق بمكونات الوقائع حول التلفظ كالزمان والمكان وهي وسائل تخص أي تلفظ ممكن .[١] كما هو الحال في القول الآتي :

الى أنّ طرقنا بابها بعد هجعةٍ فقالت : " من الطّرّاقُ ؟ قلنا لها : " إنا "

احتوى سياق التأشير الشخصي المحيل على جماعة المتكلمين في " طرقنا " والتأشير الشخصي المحيل على الغائب في " بابها " على عنصري الزمان والمكان معا ؛ لأنّ لفظة الطّرّاق دالة على الزيارة الليلية ولفظة " هجعة " على مقطع زمني بوصفه أول الليل علامتان على المكون الزمني للسياق . أما قوله " بابها " فالباب علامة دالة على البعد المكاني .

٢-الإشاريات التي تتعلق إشارتها بالسياق الواسع ، وهي السياق المتعلق بالمعطيات السالفة الذكر بالإضافة الى أي عنصر سياقي يتعلق بالتلفظ للقيام بإشارة خاصة .[٢]

كما في قوله :

فقلتُ لها : " جئـنا وفي المال قلة فهل لك في أن تقبلي بعضنا رهنا

فقالت لنا : " أنت الرهينة في يدي متى لم يفـوا بالمال خلّدتك السجنا

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " الإشاريات مقاربة تداوليّة " ، يوسف السيساوي : ٤٤٣

[٢]- ينظر م . ن : ٤٤٤

إنّ التأشير الشخصي " أنت الرهينة ..." كان قصد المتكلمة منه هو الإشارة الى أبي نواس أي تعيين أبي نواس ذاتا لموضوع الرهن وهذه اشارة خاصة متعلقة بالمرسل اليه دون سواه ، وعليه فإنّ السياق في هذا الخطاب أشتمل بالإضافة الى " في يدي" و" السجن " كونهما علامتان تحيلان على المكان و " متى " الدالة على الزمان عنصرا سياقيا آخر يتعلق بالتلفظ للقيام بإشارة معينة.

١-الإشاريات التي تشير بشكل آلي وتتعلق في جانب منها بمقاصد المتكلم ومن تلك الإشاريات :

فقالت لنا : حنون اسمي وسعرها ثلاث بتسع ، هكذا غيركم بعنا

فلتلفظ " غيركم بعنا " يشير بشكل آلي الى أنّ عملية البيع كانت وتستمر بهذا النمط " إنّي بعت لغيركم " من روّاد الحانة بالسعر نفسه . أما قصد المتكلمة من هذا القول ، فهو أن التسعيرة محددة وبشكل قطعي لكم ولغيركم من الزبائن.

وتدل " الهاء" في قوله " يسايرنا إلا سماءً نجومها " و " معلّقة فيها " في البيت الثالث و " الهاء" في " وسعرها ثلاث بتسع " في البيت الحادي عشر على حضور الإشارة العائدية في الخطاب ، فالضمائر في " نجومها ، فيها ، سعرها " تسمى إشارة العائدية أو يسمى التعبير العائدي والتعبير الإبتدائي بالسالف أو المعود عليه .[١]

ومن تقنيات التأشير الشخصي المستثمرة هو تلفظ المرسل بالخطاب الآتي :[٢]

وندمانٍ يَرى غبَــنا عليه بأنّ يُمسي ، وليسَ له انتشاءُ

إذا نبّهتَه من نومِ ســـكرٍ كفـــاه مِرّةً منـــك النِداءُ

ولكنْ : سقنّي ويقولُ أيضــاً عليكَ الصِّرف إنْ أعياك ماءُ

---

[١]- ينظر : التّداوليّة : ١٤٧

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٢٣

إذا ما أدركتْهُ الظّهرُ صلّى ولا عصرَ عليه ، ولا عِشاءُ

يُصلّي هذه في وقتِ هــذي فكلُّ صلاتِـــــه أبدا قضـــاءُ

وذاك " محمّد " تفديهِ نفسي وحُقَّ لـه ، وقـــلّ له الفـــداءُ

في هذا الخطاب الخمري أستعمل المرسل أبو نواس ضمائر كثيرة دالة على المخاطب وانقسمت هذه الضمائر على نوعين : مستترة وغائبة ونماذج الضمائر المستترة قوله : " يرى ، يمسي ، يقول ، يصلّي " ونماذج الغائبة قوله : " عليه ، وليس له ، نبهتّه ، كفاه ، أدركته ، صلاته " وكل هذه الضمائر يصعب تحديد مرجعها أو تعيين اسمها بوصفها ذاتا لعلم حتى نصل الى العبارة الإسمية في البيت الآتي :

وذاك " محمّد " تفديه نفسي وحق له وقلّ له الفداء

إنّ تصريح بالاسم هي في الواقع كشف المرسل عن قصده من تلك الضمائر ويعرف هذا النموذج تقنيا باللاحقية وهو أقل شيوعا من العائدية .[١]

وفي سياق التأشير الشخصي تبرز الألقاب ومؤشرات المكانة الاجتماعية للفرق بين مخاطب ذي مكانة عليا وآخر ذي مكانة دنيا . وتسمى التعابير التي تشير الى مكانة عليا بالمبُجِّلات .[٢] كقول أبي نواس في مدح محمد الأمين :[٣]

لقد ألبسَ اللهُ السلامةَ أمـــــةً يكونُ أميرُ المؤمنينَ أمينها

حَميتَ زحاها بالقنابلِ والقنا وأبقيتَ دنياها عليها ودينَها

إنّ قوله : " أمير المؤمنين" هي صيغة تأشيرية على سمو مكانة الممدوح وعلامة على علو

---

[١]- ينظر التّداوليّة : ٤٧

[٢] – م . ن : ٢٩

[٣]- ديوانه :، الغزاليّ : ٤١٤

المنصب الديني ولقب من الألقاب المستحدثة عند العرب بعد دخولهم الإسلام .

أما لفظة الدّجال فتعني باللغة " دجل الرجل وسرج ، وهو دجّال : كذبت ، وهو من ذلك ؛ لأنّ الكذب تغطية ... والدّاجل : المُمَوّه الكذّاب ، وبه سميّ الدّجال . قال إبن خالويه : ليس أحد فسّر الدّجال أحسن من تفسير أبي عمرو قال : الدّجال المموه ، يقال : دجلت السيف موّهته وطليته بماء الذهب... ودجل الشيء بالذهب . التهذيب . يقال لماء الذهب دجال وبه شُبِّه الدّجال ؛ لأنّه يظهر خلاف ما يضمر . وسمي دجالا لتمويهه على الناس وتلبيسه وتزيينه الباطل ".[١] ثم أصبحت لفظة الدجال لقب لكل باطل ومنحرف وقد وظفها أبو نواس في هجاء سليمان بن أبي سهل علي بن نوبخت لما وليَّ الزاب :[٢]

سيروا الى أبعدِ مُنتــابِ قد الظهَر الدّجالُ بالزّابِ

هذا إبنُ نيَبَختٍ لهُ إمرةٌ صاحبُ كتّابٍ وحجّــابِ

اختار المتكلم احدى الإشاريات وهي لفظة " الدّجال" للحط من المهجو ولتصوير كذب المخاطب وخداعه وللإشارة الى كساحه الفكري والسلوكي .

(ب)- الإشاريات المكانية : وتملثها بصورة عامة ظروف المكان ويعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم أو على مكان آخر معروف للخطاب أو المخاطب والسامع ، ولعل أكثر الإشاريات المكانية الواضحة هي : هذا ، ذاك، وظروف المكان : هنا ، هناك ، تحت .[٣]

وتصنف مراجع بعض الأدوات مثل " هنا " التي تدل على القريب و" هناك " انطلاقا من

---

[١]- لسان العرب ، لإبن منظور ، مادة (دجل): ١١ \ ٩٤٨

[٢]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات : ١٤٣

[٣]- ينظر جوانب من التحليل التّداوليّ : عبد الحكيم سحالية : ٤٣٠- ٤٣١

مكان المرسل عند تلفظه بالخطاب قربا وبعدا .[١]

من الواضح أنّ التأشير هو واحد من الصيغ الإشارة المرتبطة بسياق المتكلم مع الأخذ بنظر الإعتبار الفرق الأساس بين التعابير التأشيرية التي تعبر عن حالتي قرب المتكلم وبعيدا عن المتكلم .[٢] ومن الصيغ التأشيرية المكانية قول أبي نواس في خمريته :

وذاك محمّد تفديه نفسي وحُقّ له وقلّ له الفداء

إنّ استعمال المرسل التأشير الشخصي " ذاك" في قوله " وذاك محمد تفديه نفسي" تعبر عن حالة البعد المادي أو الجسمي بمعنى أن محمّداً الأمين وأبا نواس بعيدان عن بعضهما مكانيا ؛ لأن المصطلحات القصية تفسر عادة وفقاً لموقع المتكلم أو المركز التأشيري .[٣] وبالرجوع الى السياق المقالي للخطاب من أجل تحديد قصد المتكلم نرى المرسل والمخاطب قريبان من بعضهما جسديا ؛ لأنّهما في مكان واحد لكنهما كانا بعيدين بالنظر الى النوم واليقظة ، فأبو نواس كان يقظا في مجلس الشراب ، أما الأمين فقد كان نائما فايقظه أبو نواس ، فالبعد كان بعداً بين عالمي اليقظة وعالم المنام ولهذا " يعتمد تفسير التعابير التأشيرية على السياق وعلى قصد المتكلم " .[٤]

ويميل المتكلم الى اسقاط نفسه على مكان لم يتواجد فيه فعليا ويعرف هذا أحيانا بالإسقاط التأشيري .[٥] ، كما في قول أبي نواس :[٦]

---

[١]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٨٥

[٢]- ينظر التّداوليّة : ٢٨

[٣]- ينظر م . ن : ٢٨

[٤]- م . ن : ٣٧

[٥]- م . ن : ٣٢

[٦]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات : ٦٦٧

روحِي مقيمٌ عند خُلصاني وإنّما الشاخصُ جُثماني

الدلالة القضوية للخطاب هي أنّ جسمه في مكان بالرغم من أنّ روحه مقيمة في مكان آخر ممن يحب من خلصائه ، ولفظة " عند " هي إشارية مكانية وُظفت لبيان أنّ حركة المرسل نحو موقع المخاطب . وقد يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة نفسيا ألى أنّها بعيد مكانيا كما هو الحال في قول أبي نواس في مستهل قصيدة يمدح فيها الخصيب عامل خراج مصر من قبل الرشيد :[١]

ذَكّـــرَ الكرخَ نازحُ الأوطـــانِ فصبا صبوةً ، ولاتَ أوانِ

ليس لي مُسعِدٌ بمصر على الشُّوق الى أوجهٍ هنـــاك حِســـانِ

التأشير المكاني " هناك" يشير الى مكان قصي وقد نتج عن تباعد المكاني : " ليس لي بمصر" تباعدا في العواطف والمشاعر أو الشوق الى حسان هناك. وهناك علامة إشارية تدل على المكان البعيد القصد منها الكرخ .

(ت)- الإشاريات الزمانية : وتمثلها ظروف الزمان بصورة عامة فإذا لم يعرف الزمن إلتبس الأمر على المتلقين وقد تدل العناصر الإشارية على الزمان الكوني والنحوي .[٢] ويبدو الأساس النفسي للتأشير المكاني فالمتكلم يميل الى معاملة الأشياء البعيدة ماديا على أنّها بعيدة نفسيا كما هو الحال في قول أبي نواس :[٣]

ألم ترني أبحتُ اللهو نفسي وديني واعتكفتُ على المعاصي

كأنّي لا أعودُ الـــى معـــادٍ ولا أخشى هنالكَ مَن قصـــاصِ

---

[١]- ينظر م . ن : ٦٩٦

[٢]- جوانب من التحليل التّداوليّ ، أ.د. عبد الحكيم سحالية : ٤٣١

[٣]- ديوانه محمّد أنيس مهرات : ٤٤٨

إنّ استباحة اللهو والعكوف على المعاصي قاد المرسل الى تشبيه حاله وتصويره بالذي لا يؤمن بيوم المعاد ولا بيوم الحساب ؛ ولأنّ يوم الحساب غير محدد خُيل للكثيرين أنّه بعيد وقد ترتب على هذا الاعتقاد أنّه بعيد جدا وانعكس مفهوم البعد هذا وتطاول الأزمان فكرة عدم الخشية من العقاب والقصاص ؛ لأنّ الأشياء البعيدة عن نفس الإنسان تترك آثارا نفسية من أبرزها ضعف السلطة بين الإنسان والشيء البعيد ومن ثم شحة معرفة طبيعته على المستويين الإيجابي والسلبي . إنّ التأشير الزماني " هنالك " تعبر عن الفاصل الزمني الكبير بين المتكلم أبي نواس والحدث وهو يوم المعاد ؛ لأنّ " هنالك " تحيل على المعاد.

ومن أجل تحديد مرجع الإشارية الزمانية وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا ، يلزم المرسل اليه أن يدرك لحظة التلفظ فيتخذها مرجعا يحيل عليه ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناءً على معرفتها .[١] كما في خطاب أبي نواس :[٢]

هذا زمان القرود فاخضع وكن لهم سامعا مطيعا

لا يستطيع المتلقي التبؤ بهذا الزمان الموصوف بأنّه زمان القرود ما لم يعرف لحظة التلفظ فقد يكون زمن الهادي أو الرشيد أو المأمون والتعبير التأشير لا يقدم مرجعا زمانيا يمكن أن يسهم في تحديد زمن المقصود فقد يمتد هذا الزمن لمن عاصر المتكلم من الخلفاء العباسيين وقد تقتصر دلالة الزمن على مقطع زمني معين . وللوصول الى قصديّة المتكلم نحيل الخطاب على سياقه الخارجي وسياقه اللساني ، فالسياق الخارجي أو المقامي لخطاب " هذا زمان القرود..." هو هجاء البرامكة لحرمان قد وقع لأبي نواس من جعفر ين يحيى البرمكي .[٣]

أما السياق اللساني فالأبيات الثلاثة الأولى التي تقدمت على البيت المذكور وهي قوله :

---

[١]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٨٣

[٢]- ديوانه ، الحديثي : ٦٤٩

[٣]- ينظر ديوانه محمّد أنيس مهرات : ٤٦٣

إنّي لولا شقاء جـــــدِّي ما مات موسى كذا سريعا

ولا طوتُه المنون حتـّى أرى بنـــي برمـك جميـــعا

قد رسم اللهُ من خُصاهُم بشاطىء دجلة الجذوعـــا

تظهر فيه ما يلي:

١-إنّ زمن القرود كان في عصر الرشيد . ٢- إنّ الزمن المضارع في قوله " أرى بني برمك " يمثل الصيغة الأدنى زمانيا من زمن التلفظ . ٣- أداة الإشارة " هذا " تعامل من قبل المتكلمين للزمن القريب من زمن التكلم . أما القصد من التأشير الزمني " هذا زمان القرود " فهو السخرية والاستهزاء ببني برمك في تلك اللحظة أو ذلك الوقت فقط الذي منع من العطاء ولا يمكن تعميمه دائما وفي كل الأوقات والمقامات استنادا الى الرواية التالية " وتحدث أبو العيناء عن دعبل . قال " لقيتُ يوما أبا نواس عند خشبة جعفر التي صلب عليها ، فقلت هؤلاء البرامكة كما اشتهيت في قولك : إني لولا شقاء جدي ... فقال : والله ما اشتهيت ذلك ، وإن كنت قلته " .[١]

وتتم معاملة حدوث شيء ما في الماضي غالبا على أنّه بعيد عن وضع المتكلم الحالي من ذلك قول أبي نواس :[٢]

يا خليـــلـيَّ قد خلعت عـذاري وبدا ما أكنّ من أسراري

فأشربا الخمرَ واسقياني سُلافا عُتقتْ بين نرجـس وبـــهارِ

لبثتْ في دنَانِها ألـــفَ شـــهرٍ لم تُقمّصْ، ولم تُعذّبْ بنـــارِ

نســـجَ العنكبـــوتُ بيتاً عليها فَعـَلا دنـــها دِقـاقُ الغُبـــارِ

---

[١]- ديوانه الحديثيّ : ٦٤٩

[٢]- ديوانه ، محمد أنيس مهرات : ٣١٦

إنّ استعمال المرسل اسلوب النداء لمخاطبة خليليه كان مستهلا لكشف البعد السلوكي للمرسل وهو ترك الحياء . ولفظة " خلعتُ " في قوله : " قد خلعتُ عذاري" عنصر لغوي دال على حدث الترك المقترن بالزمن الماضي أي أنّ ترك الحياء بالنسبة للشاعر ليس آنيا أو جديدا بل حدثٌ قديم . ولتقوية المعنى الحرفي لخبره أكد الجملة بالأداة " قد " .

إنّ هذا النداء الموجه الى مخاطب " خليليّ " والإعتراف بترك الحياء واظهار المكتوم كان في الواقع مقدمة لإصدار فعلين كلاميين توجيهيين . الأوّل قوله : " فاشرب الخمر" والثاني : " اسقياني سُلافا " ثم الإنتقال الى احدى صفات الخمر المتداولة في المتن الخمري وهي صفة القدم كما في قوله :

لبثت في دنانها ألف شهر لم تقمّص ، ولم تعذّب بنار

إنّ الفعل الماضي " لبثت " في التعبير التأشيري " لبثت في دنانها ألف شهر" جاء للإحالة على حدث بعيد عن وضع المتكلم . أما " ألف شهر" فهي علامة إشارية ليس المقصود منها العدد بل تقادم الزمان .[١]

وفي سياق الإشاريات الزمانية يميل المتكلم الى معاملة المستقبل القريب لوقت الكلام باستخدام التأشير الأدنى (هذا ، هذه) .[٢] ويتضح ذلك في قوله :[٣]

يا عينُ مالكِ لمـــــا انطقتِ قلبي سكتِّ

وما استغثتـــــكِ إلاّ رُعِدتِ لي وبرقتِ

فكنتِ مثلَ اليهوديّ (م) فعـاه ما خرمـــــت

احتيج يوماً إلـــيه فقال ذا يوم السبت

---

[١]- ينظر م . ن : ٣١٦

[٢]- ينظر التّداوليّة : ٣٥

[٣]- ديوانه ، الحديثيّ : ٨٣٩ ــ ٨٤٠

المرسل يلوم عينه التي ورطّته في حب من أحب وكلما استعان بها لم تستجب له بل هددّته وتوعدّته وهذا الفعل من العين شبهه المرسل بفعل اليهوديّ ؛ لإنّ كليهما على نمط ثابت من السلوك المراوغ ، اليهودي يتهرب من عمل الخير ومساعدة الآخرين بحجة حرمة العمل يوم السبت ، كذلك العين عدلت عن مساعدة الشاعر . إنّ المرسل على لسان اليهوديّ استثمر الإشارية الزمانية " ذا " في قوله : " فقال ذا يوم السّبت " بقصد الامتناع عن تقديم المساعدة ويد العون للآخرين .

واستعمل " ذا " للمتقبل القريب كون كل ساعات يوم السبت قبل التلفظ ب " ذا " هي مستقبل قريب من المتكلم المقصود أي من اليهوديّ . ويعبر عن الحدث غير متوقع الوقوع أو المستحيل بالنسبة لوضع المتكلم الحالي بالصيغة القصيّة كقول أبي نواس :[١]

ويلومُني في حبّـــــها نفـــــرٌ خالون من شجوي ومن ضُرِّي

لم يعرفوا حُرق الهوى فلحوا لو جـــرَّبوهُ بيّـــــنوا عُـــــذري

ثيمة هذا الخطاب هو الغزل أو بالأحرى معاناة العاشق وآثار الحب عليه من الحزن والضّر ولوم الآخرين عليه . وجاء التعبير الإشاري " لو جرّبوه بينوا عذري " بالزمن الماضي " جرّبوه " لإستحالة حصول ذلك منهم ، والعلامة النصية على تلك الإستحالة أو عن الحدث غير متوقع الحصول الأداة " لو" أما الضمير " الهاء " في " جرّبوه " هي اشارية عائدية تحيل على " نفرُ " . وفي الشطر الثاني " لو جرّبوه بيّنوا غذري " استثمار للحجاج بين طرفي الخطاب وهو حجاج قائم على السؤال المفترض والمستشعر من قوله : " ويلومني في حبها نفر" وكان توظيف الإقناع في هذا السياق هو لإقناع السائل بحاله ووضعه.

ويمكن أن نوجز هذا الفصل بما يأتي :

-تتمتع تداوليّة النص الشعري النُواسيّ بدينامية الألفاظ والتراكيب دلاليا في سياقها المقالي والمقامي .

---

[١]- ديوانه ، الحديثيّ : ٨٦٠

- ليس بالضرورة أن يحيل المبنى الكلاميّ على مغزى المتكلم

- استعمل أبو نواس استراتيجيات متنوعة من توجيهية وتضامنية وتلميحية لإنجاز عملية التواصل وانسجمت تلك الإستراتيجيات مع السياقات المختلفة التي وردت فيها .
- تشكل المرجعية الثقافية للمؤلف عامل سلب أو ايجاب على استراتيجية نصه في التأثير واستراتيجية المستمع أو المتلقي في الإستجابة .
- علاقة القصديّة بالإفتراض المسبق هي علاقة تفاعلية ذات طبيعة تراكمية .

- نستشف من خلال الإفتراض المسبق وجود منظومة للصفات والمعاني في ذهن المؤلف لقارئه الحقيقي أو المفترض .

- يستثمر المتكلم السّياق لإغداق دلالات جديدة على الملفوظات .
- اتسمت قصائد القصص الشعري بحضور مكثف للإشاريات الشخصية .
- اتكأ تفسير التعبيرات التأشيرية في كثير من الأحيان على السياق وقصديّة المتكلم سواء أكانت تلك التأشيرات زمانية أم مكانية .

الفصل الثاني

الأفعال الكلاميّة

المبحث الاوّل :الافعال الكلاميّة وفق تصنيف أوستين وسيرل

المبحث الثاني : قوة الأفعال الكلاميّة وضعفها

المبحث الثالث : الحدث الكلامي

المبحث الرابع : الفعل التأثيري

المبحث الأوّل

الأفعال الكلاميّة وفق تصنيف أوستين وسيرل

تتنوع وجهات النظر وتتجدد زاويا البحث في العلوم الإنسانية ومعارفها في مختلف الإتجاهات والأصعدة ومنها مجال النسق اللغوي والمعطى التخاطبي ، وأنتجت الجهود العلمية على يد ثلة من الفلاسفة في معالجاتهم للغات الإنسانية وظيفة جديدة للغة لا ترى فيها مجرد وسيط إشاري أو رمزي بين الإنسان والعالم بل تؤدي وظائف أخرى منّها احداث تغييرات في عالمنا المادي والمعنوي بفعل ما تنتجه تلك الألفاظ والجمل من أفعال مؤثِرة ومؤثَرة ، ومن ثم تعد نظرية الفعل الكلامي أهم جوانب التحليل التّداوليّ بل إنّها النواة المركزية للأعمال التّداوليّة .[١]

ولقد ميز جون اوستين بين نوعين من الأقوال سالكا الطريق نفسه الذي سلكه لودفينغ فتغنشتاين فمنها ما يستعمل لوصف العالم وهذا النوع من الأفعال يمكن أن نحكم عليه بالصدق أو الكذب ، وهناك أقوال لا تقرر واقعا ولا تصفه كالأمر والإستفهام والشكر والإعتذار وهذه الأفعال يمكن الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق .[٢] وبذلك تكون النصوص بأنواعها – في نظر فلاسفة اكسفورد وغيرهم من التّداوليّين – أفعالا كلامية تنجز في طبقات مقامية مختلفة تهدف الى وصف واقع أو تغييره .[٣]

لقد قدّم اوستين تصنيفا للأفعال الكلامية على أساس من قوتها الانجازية تشتمل على خمسة أصناف هي :

١-أفعال الاحكام والقرارات القضائية : وهذه تختص بكونها ناتجة عن اصدار حكم في

---

[١]- ينظر: التّداوليّة عند العلماء العرب : ٤٠ ، ولسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمدانيّ إنموذجا ، ليندة قيّاس ، تقديم عبدالوهاب شعلان ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م : ١٩١

[٢]- ينظر التّداوليّة اليّوم : ٢٩ -٣٠

[٣]- ينظر لسانيات النص : ١٩٢

المحكمة كما يدل على ذلك اسم هذه الأحكام سواء أكان هذا الحكم من هيأة قضائية أم من حكم تختاره الأطراف أم من حكم (في الملعب مثلا) غير أنّه ليس من الضروري أن تكون هذه القرارات نهائية ، فقد يكون الحكم مثلا تقديريا على صورة رأي أو تقييما . وفي جميع الصور يتعلق الأمر باصدار حكم حول شيء ما واقعيا كان أم قيمة ، ولكن الشيء المحكوم فيه قد يكون لأسباب مختلفة غير مؤكد تمام التأكيد .

٢-الممارسة التشريعية : وتتعلق بممارسة السلطة والقانون والنفوذ وأمثلة ذلك التعيين في المناصب والإنتخابات واصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات واعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها

٣-ضروب الإباحة : ونموذجه اعطاء الوعد أو التكفل والضمان والتعهد . وفي كل يلتزم الإنسان أنّ يفعل شيئا ما . وقد يندرج في هذا الباب التصريح واعلان النية والقصد . ويدخل التصريح والقصد في الوعد . وهناك أمورا تجتمع تحت خطبة الزواج أو التواعدية والمناصرة لرأيء ومن الواضح أنّ هناك علاقات بين القرارات التشريعية والممارسات التشريعية .

٤-الأوضاع السلوكية : وتختص بمجموعة منتشرة لا يمكن حصر اطرافها بسهولة ولكن كلها تندرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعية وأمثلتها الإعتذارات والتهاني والتعازي والقسم وأنواع السباب والقذف والتحدي ..

٥-المعروضات الموصوفة ، وهي أصعبها تعريفا ولكنها تبين كيف أنّ العبارات المتلفظ بها تجري مجرى الإحتجاج والنقاش كما تكشف كيف أنّنا نستخدم الألفاظ ، وبوجه عام يصلح هذا الصنف لطريقة العرض وأمثلة ذلك : اجيب ، واحتج ، وأعارض ولكن ... وأوضح وأفترض .[١]

---

[١]- ينظر نظرية أفعال الكلام العامة : اوستين : ١٧٤ – ١٧٥

لقد أعاد سيرل النظر في هذا التصنيف الخماسي من خلال معايير الملائمة التي طوّرها عن أوستين فوضع أربعة شروط هي :

١-شرط المحتوى القضوي أي أن يكون للقضية مرجع ومعنى أصيل .٢- الشرط التمهيدي : أن يكون المتكلم قادرا على انجاز الفعل . ٣- شرط الإخلاص : أن يكون مخلصا في أداء الفعل .٤- الشرط الأساس أي التأثير في المتلقي .[١] ومن ثم قدّم تصنيفا بديلا لما قدمه أوستين من تصنيف للأفعال الكلاميّة يقوم على ثلاثة أسس منهجية هي : ١- الغرض الإنجازي ٢- اتجاه المطابقة ٣- شرط الإخلاص .

وقد جعلها خمسة أصناف أيضا :

١ -الإخباريات : والغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها مـن الكلمات الى العالم وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها .

٢-التوجيهات وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب الى فعل شيء معين واتجاه المطابقة فيها من العالم الى الكلمات وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة ويدخل في هذا الصنف الأمر والنصح والإستعطاف والتشجيع .[٢] ومما تتميز به الطلبيات : أ- أن يكون المخاطب هو المسؤول عن احداث تلك المخاطبة . ب- أن يكون الفعل المطلوب من المخاطب في زمان المستقبل . ت- أن يكون المخاطب قادرا على الامتثال . ث- تتميز بكونها صادرة عن نية ارادة ورغبة من المتكلم .[٣] كما تنجز هذه الأفعال

---

[١] - ينظر النقد النصي وتحليل الخطاب ، د.نبيل أيوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط ١ ، ٢٠١١ م : ٢٤١

[٢]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥١ ــ ٥٢

[٣]- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة ، دراسة نحوية تداوليّة ، د. خالد ميلاد ، ط ١ ، جامعة منوبة ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ٢٠١١ : ٥٠٦

التوجيهية من خلال المنطوقات الإنجازية غير المباشرة ، مثل خروج الأمر لدلالة النصح ، ويلاحظ كثرة استخدام الأفعال الإنجازية التوجيهية غير المباشرة في العربية ، كما يلاحظ في الأفعال التوجيهية كثرة تعدد الدلالات الإنجازية للمنطوق الواحد بحسب السياق الذي يستعمل فيه المنطوق .[١]

(٣)- الإلتزاميات : وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل واتجاه المطابقة فيها من العالم الى كلمات وشرط الإخلاص هو القصد ويدخل فيها الوعد والوصـية .[٢] وترى فرانسواز أرمينكو أن أوستين لا يرى بأنّ الإلتزامات لا تكون نمطا عالميا لأفعال اللغة بل يجب اعتبارها ردود فعل اتجاه أوامر .[٣] ومن الواضح أن اتجاه المطابقة من العالم الى الكلمات مشترك بين الإلتزاميات والتوجيهيات . لكن ما منع سيرل من دمجهما في مجال واحد أمران :

أما الأمر الأوّل فهو اختلافهما من حيث الهدف " فالالتزاميات " تهدف الى التزام المتكلم بفعل شيئاً ما دون أن يحاول بالضرورة التأثير على غيره لكي ينجز أمرا ما ، وفي المقابل يتمثل التوجيهيات في محاولة التأثير على المتـلقي ليفعل شيء ما ، وليس بالضرورة الزامه بذلك . والأمر الثاني يتمثل في أنّ الفاعل في الإلتزاميات هو المتكلم ، وفي التوجيهيات هو المتلقي أو من يقع على عاتقه أداء الفعل .[٤]

ويبدو أنّ سيرل سعى من البدء الى ادماج الوعديات ضمن الطلبيات إلا أنّ ما تختص به من إلزام للنفس حال دون امكان القيام بذلك وتتميز الوعديات بما يأتي : (أ)- المسؤول عن احداث المطابقة هو المتكلم . (ب)- يشترط في مضمون القضية أن يكون الفعل

---

(١)- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥٢

(٢)- المقاربة التّداوليّة : ٦٨ - ٦٩

(٣)- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٠٤

(٤)- في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، دراسة تداولية ومعجم سياقي : د.علي محمود الصّراف،مكتبة الآداب ، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٢م :٢١٢

للمتكلم في زمان المستقبل . (ت)- أن يكون المتكلم قادرا على أداء ما يلزم نفسه به. (ث)- أن تكون النية قائمة على القصد .[١]

(٤)-التعبيريات : وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوفر فيه شرط الإخلاص وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة ، فالمتكلم لا يحاول أنّ يجعل الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابقا للكلمات ويدخل فيه الشكر والتهنئة والإعتذار والمواساة .[٢]

ومما يميز التعبيريات عن الاخباريات هو التفريق بين الجمل التي تتحدث عن المشاعر والإنفعالات الخاصة بالمتكلمين أو المتلقين مع الجمل التي تتحدث عن المتكلم على نحو وصفي . كما أكد المؤيدون لسيرل بأنّ عدم وجود اتجاه المطابقة في التعبيريات من أهم العلامات المميزة للتعبيريات .[٣]

والفارق بين التوجيهيات والتعبيريات هو وجود المتلقي في معظم التوجيهيات وعدم اشتراط وجود المتلقي في التعبيريّات في جميع الأحوال بل في بعضها ، كما أنّ التعبيريّات لا تطلب من المتلقي أن يوجه طلبا يفترض به انجازه في المستقبل ، أما التوجيهيّات النفسية فهي تقتضي مشاركة المتلقي الإنفعالية أو تطلب منه أن يقوم بأمر ما في المستقبل .[٤]

(٥)- الإعلانيات : والسمة المميزة لها أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي ، فإذا أديت فعل اعلان الحرب اداءً ناجحا فالحرب معلنة ، وثمة سمة مميزة هي أنّها تحدث تغييرا في الوضع القائم فضلا عن أنّها تقتضي عرفاً غير لغوي ،

واتجاه المطابقة فيه من الكلمات الى العالم ومن العالم الى الكلمات ولا تحتاج الى شرط

---

[١]- ينظر الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة : ٥٠٦- ٥٠٧

[٢]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥٢

[٣]- في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٢١٣

[٤]- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٣٢٨

الإخلاص .[١] ويميز أفعال الإعلانيات عن الإلتزاميّات أو التوجيهيات – باعتبارهما المجالين الإساسين الأكثر تشابها مع مجال الإعلانيات – مجموعة من النقاط يمكن ايضاحها على النحو الآتي :

(أ)- يشكل الفعل الإنجازي في مجال الإعلانيات بنفسه عملية المطابقة بالمحتوى القضوي أي " دلالة المنطوق" أو " معنى الجملة " في حين لا يشكل الفعل الإنجازي في الإلتزاميات والتوجيهيات بنفسه عملية المطابقة المتعلقة بالمحتوى القضوي بل أنّ ما يؤديه هذا الفعل الإنجازي هو تهيأة الأرضية لفعل لاحق يكون هو فعل المطابقة المطلوبة .

(ب)- المحتويات القضوية في الإعلانيات قد تمثل بالمتكلم كما في " زوجتك نفسي" وقد تمثل بالمتلقي كما في " أنت حر" وقد تمثل بغيرها شخصا كان أو شيئا ، أما في الإلتزميات فإنّها تمثل بالمتكلم وفي التوجيهيات تمثل بالمتلقي . ومعنى " التمثيل" في الكلام السابق هو تحقيق المطابقة والمسؤولية عن هذا التحقيق ، فالمسؤول عن تحقيق المطابقة في الإلتزاميات هو المتكلم والمسؤول عن تحقيقها في التوجيهيات هو المتلقي أما المسؤول عنها في الإعلانيات فقد يكون المتكلم أو المتلقي وقد يكون غيرهما (ت)- تحتاج الإعلانيات الى وجود مؤسسة غير لغوية تشكل غطاء لإداء الفعل بصورة ناجحة وهذا شرط ضروري لأدائها وانجازها ، أما الإلتزاميات والتوجيهيات فلا يشترط فيها وجود هذه المؤسسة غالبـــا .[٢]

إنّ الخصيصة المحددة لهذه الفئة من الأفعال الإنجازية هي أنّ الأداء الناجح لأي عضو من أعضائها يحـدث تناظـرا بين المحتوى الـقضوي والوجود الخارجي ويضــمن الأداء

---

[١]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥٢

[٢]- ينظر التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : د. صلاح أسماعيل عبد الحق ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، ط١، ١٩٩٣ :٢٣٧

الناجح للفعل أن يناظر المحتوى القضوي للعالم أي أنّ أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي ، فإذا أديت فعل اعلان الحرب أداءً ناجحا فالحرب معلنــة .[١]

اختلفت الترجمات العربية المقدمة لإسماء هذه الأصناف من الأفعال الإنجازية فقد ترجمها خالد ميلاد الى التقريريـــــات ، طلبيــات ، الوعديــات ، الإفصاحيــات ، التصريحات .[٢] وعند غوفمان : الإخباريات ، الطلبيات ، الوعديات ، الإفصاحات ، التصريحات .[٣] وعند قدور عمران كالآتي : الإثبات ، الإمريات ، التزاميات، التعبيرات ، الإعلانيات.[٤] وعند الأستاذ محمود أحمد نحلة : الإخباريات، التوجيهيات، الإلتزاميات، التعبيريات ، الإعلانيات .[٥] وترجمها د. نبيل أيوب الى : التقريرات ، التوحيهات ، الإلتزاميات ، التعبيرات ، الإعلانيات .[٦] وترجمها د.علي الصرّاف الى : الإخباريات ، التوجيهيات ، الالتزاميات ، التعبيريات (أو البوحيات)، الإعلانيات .[٧]

أما د. بشرى البستاني فقد ترجمتها الى التوضيحات ، التوجيهات ،

---

[١]- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥٥

[٢]- ينظر الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة : ٥٠٦- ٥١١

[٣]- التّداوليّة من أوستين الى غوفمان : ٦٦

[٤] – ينظر البعد التذاوليّ والحجاجي في الخطاب القرآني : أ.د قدور عمران ، ط ١، ٢٠١٢، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع :٦٠ - ٦٦

[٥] – ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥٢ - ٥٢

[٦]- ينظر النقد النصي : ٢٤١ - ٢٤٢

[٧]- ينظر في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة :٦١-٦٢

الإلتزاميات ، المعبرات ، الإعلانيات .[١]

ويشير الباحثون الى تداخل هذه التصنيفات إذ يتدخل السياق أحيانا ليجعل من فعل الحكم فعل ممارسة أو بالعكس . وهكذا في جميع المجموعات كما أنّ هذا التقسيم لم يحظ باجماع الباحثين في الحقل التّداوليّ فالأفعال الكلاميّة كثيرة يستحيل حصرها في مجموعات تصنيفية محددة .[٢] إنّ سائر الأصناف ما عدا التقريرات لا تخرج عن كونها اعمالا انشائية تندرج في مسترسل واحد من القوى المقصودة بالقول التي تتميز بكونها ما لا وجود له في الخارج . وتكون مستوفاة ناجحة أو فاشلة بحسب صدق النية والإرادة والقصد ومطابقة الكلام لمقتضى الحال وتختلف من حيث القوة ونمط الإنجاز باختلاف المقامات والإرادات والمقاصد المخصوصة المناسبة لخصوصيات المتخاطبين .[٣]

لقد أرتأينا اختيار مجموعة من النماذج الشعرية للتحليل ، وسيكون تحليلها وفق تقسيم سيرل أي النماذج التي تحتوي على الإخباريات والتوجيهيات والإلتزاميات والتعبيريات والإعلانيات .وسنتعامل مع أول صنف للأفعال الكلاميّة كما قسمها سيرل :

أولا- الأفعال الدالة على الإخباريات ومن أمثلتها : ما ورد في النماذج الآتية في شعر أبي نواس :

أ-قال يهجو أشجع السُّلميّ الشاعر :[٤]

قُلْ لِمَن يَدَّعي سُلَيْماً سِفاهاً : لستَ منها ولا قُلامَةَ ظُـــــفرِ

إنَّما أنتَ من سُليمٍ كـــــواوٍ أُلحِقتْ في الهجاءِ ظلماً بعمرو

---

(١)- التّداوليّة في البحث اللغوي والنقدي :٤٨

(٢)- م . ن : ٤٩

(٣)- ينظر الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة : ٥١٤

(٤)- ديوانه ، الغزاليّ :٥٤٢

ب- قال يهجو حسينا المغني :[١]

قد نضجنا ونحن في الخيشِ* طُراً أنضجتنا كواكب الجوازءِ

لو تغنّى ، وفــوه مُلآن جـــــمرا لم يُضِرهُ لبرد ذلك الغناءِ

ت- قال يهجو محمد بن زياد المعروف باليؤيؤ :[٢]

لابأس باليـــــؤيؤ، لكنّما تجتمع الناس على الباز

يصيد ذا الكركي لا ينثني وجهد هذا فرخُ نقّـــاز

ث- قال يصف شعر داوود بن رزين الواسطي :[٣]

إذا أنشـــد داوود فقل أحسن بشار

له من شعره الغثّ إذا ما شاء أشعار

وما منها له شـيءٌ آلا هذا هو العــار

تعبر هذه الأفعال الكلاميّة في هذه النماذج المختارة عن آراء نقدية لأبي نواس في الشعر والغناء . وتكشف في الوقت نفسه عن مقصدية المؤلف والمتمثلة في اظهار قدرته الموسوعية في الحقول الأدبية والفنية ومدى معرفته بالأنساب وإلمامه بالشعراء من خلال تفاعله الإيجابي مع التراث العربي . ويخفى وراء النظام اللغوي للبيتين الاوّليين أحكام لأفعال انجازية عبرت عنها الألفاظ الآتية : " قل ، يدعي ، لست ، أُلحقت " واختار أبو نواس هذه الصيغ لتخدم أغراضه ومقاصده وقد ورد بعضها مثبتا نحو : " قل ، يدعي ، ألحقت " وبعضها منفيا " مثل : " لست " . وتحيل دلالة حرف الواو في الاسم " عمرو" الى نوع من الموازنة والمفاضلة ، فبوساطة هذه الوسيلة اللغوية كشف أبو نواس حقيقة ادعاء أشجع السّلميّ لهذه القبيلة وعرّى زيف انتسابه الى بني سُليم .

---

[١]- م . ن :٥٣٣

* الخيش المروحة .

[٢ - ٣]- م . ن : ٥٤٥

والأفعال الإنجازية في هذين البيتين تتمحور حول الهجاء بوصفه القصد التواصلي للمرسل . وقد وظّف أبو نواس آلية التشبيه بوساطة الكاف لبيان قصده وإبراز غرضه مستعينا باسم العلم " عمرو" والواو الملحقة به كون الواو ليست من أصل الكلمة ، ومن هنا يتناسب الحضور القوي لاسم " عمرو" مع مقصدية المؤلف ، إذ تعد وسيلة لغوية مهمة استعان بها أبو نواس للحكم على نسب الشاعر . أي أنّ الحكم بادعاء أشجع انتسابه الى سُليم هو حكم ظالم ؛ لأنّه ليس منهم ، واطلق الجاحظ على عمرو " الاسم المظلوم ؛ لإلزامهم به الواو التي ليست منه ولا فيه دليل عليها ، ولا اشارة اليها " .[١]

وتتضمن المقطوعة (ب) أحكاما نقدية تصور لونا من ألوان النقد الأدبي في القرن الثاني الهجري . وتترشح من هذه المقطوعة الأحكام النقدية الآتية :

١-الإنتحال ، كون الشاعر داوود بن رزين الواسطي ادعى لنفسه شعرا هو من قول غيره وتحديدا لقول معاصره بشار بن برد . وهذا الحكم النقدي على شعر إبن رزين يظهر من قول أبي نواس في موردين ، الأوّل : قوله " فقل أحسن بشار ". والثاني قوله : " ألا هذا هو العار " .

والإنتحال بوصفه جريمة يعاقب عليها الشاعر المنتحل في القانون النقدي لتحديد الملكية الأدبية للمؤلف الأصلي . أما الحكم على هذه الجريمة ب " العار " فكان متّداولا ليس فقط في العصر العبّاسيّ بل في عرف الشعراء ذلك في غير هذا العصر من ذلك قول الأعشى في انتحال الشعر رادا عن نفسه هذه التهمة :[٢]

فكيف أنا وانتحالي القوا في بعد المشيبِ كفى ذاكَ عارا

وقيدني الشعرُ في بيتـهِ كما قيدَ الآســـــرات الحمارا

---

[١]- أخبار أبي نواس : ١٨١

[٢]- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق د.محمد محمد حسين ،المطبعة النموذجية ،القاهرة ،١٩٥٥ : ٥٣

٢- كثرة الشعر الغث لداوود الواسطي بدليل قول أبي نواس في البيت الثاني .

٣- يختم أبو نواس ذلك الزيف والرديء من الشعر بفعل كلامي يتصف بالشدة المستفادة من الاداة " آلا " والناظر لهذه المقطوعة يلحظ الفعل الكلامي المستهل به المقطوعة جاء بصيغة الزمن الماضي ليفيد وصف قضايا نقدية وتقريرها كانت متداولة في ذلك العصر الدلالة القضوية لهذه الأبيات هي أنّنا نضجنا بسبب شدة الحر ونحن بحاجة الى المروحة أو استدعاء حسينا المغني ؛ لأنّ غناءه أشد برودة من جليد الشتاء ولشدة برودة غنائه يطفئ الجمر .

في المقطوعة (ت) وردت أحكام لأفعال انجازية وردت منها مثبتة هي " نضجنا ، أنضجتنا، فأصيبوا " وبعضها منفيا " لم يضره" وتحيل دلالة هذه الأفعال الى ثنائية النفع والضرر . وباستثمار التضاد بوصفه تقنية لغوية صوّر لنا أبو نواس جيد الغناء من رديئه . إنّ الحكم الصادر عن أبي نواس في قضية المغني حسين هو حكم واضح يصف من خلاله رداءة غنائه .

ثانيا : أفعال القرارات : ومن أمثلتها ما ورد في النماذج الشعرية الآتية :

أ-قال في ترك الأطلال :[١]

دَعْ الأطلالَ تسفيها الجنُوبُ وتُبلي عهدَ جِدَّتها الخُطوبُ
وَخلّ لراكبِ الوجناءِ أرضاً تحُبُّ بها النجيبةُ والنجيبُ
ولا تـأخذْ عن الأعرابِ لهواً ولا عيشاً فعيشُـــهم جَديبُ
دَعْ الألبـــانَ يَشرُبها رجالٌ رقيقُ العيشِ بينُهُم غَريبُ
إذا رابَ الحليبُ فبُلْ عليــه ولا تُحرَجْ فما في ذاكَ حوبٌ

ب- قال أبو نواس في أدب المنادمة : [٢]

---

[١]- ديوانه ،الغزاليّ : ١١

[٢]- م . ن : ٢٢١

نفسُ المدامةِ أطيبُ الأنفـــــاسِ أهلاً بمَنْ يَحميهِ عـن أنجـــاسِ

فإذا خلوتَ بشُـــربِها في مجلسٍ فاكفف لسانك عن عيوب الناس

في الكأس مشغلة وفي لذاتـــها فاجعَلْ حديثُكَ كُلُّهُ في الكــأسِ

صفو التّعاشرِ في مجانبةِ الأذى وعلى اللّبيبِ تخــيّرُ الجـُلاسِ

ت- قال ينصح أهل مصر لما شغبوا على الخصيب :[١]

مَنحتُكُم يا أهلَ مِصرَ نَصيحتي آلا فخُذوا من ناصـــــحٍ بنصيبِ

ولا تثبِوا وثبَ السُّفاة فتركَبُـوا على حدِّ حامي الظهرِ غيرَ رَكوبَ

فإنَّ يكُ فيكم إفكُ فرعونَ باقياً فإنَّ عصا موسى بكـــفِ خصيبِ

رماكُم أميرُ المؤمنينِ بحـــيّةٍ أكولٍ لحيـــاتِ البـــلادِ شَروبِ

ث- قال في احدى خمرياته : [٢]

ولمّا دَعونا باسـمِهِ طـــارَ ذُعـُـــرُهُ وايقنَ أنّ الرجلَ منهُ خصيبُ

فأطلقَ عن نابيهِ وأنكـــبَّ ساجِـــداً لنا ، وهو فيما قد يظُنُ مُصيبُ

وقال : " ادخلوا...حُييّتُمُ مِن عِصابةٍ فمنزلِكم سَهلٌ لديّ رَحيـــــبُ

ج- قال يستعطف هارون الرشيد على الفضل بن يحيى البرمكي :[٣]

قولا لهارون إمام الهدى عند احتفال المجلس الحاشدِ

نصيحةُ الفضلِ واشفـاقِهِ أخلى له وجهَكَ من حـاسدِ

بصادقِ الطاعةِ، ديّـانها وواحدِ الغائبِ والـــشّاهدِ

أنتَ على ما بِكَ مِن قدُرةٍ فلستَ مثلَ الفَضلَ بالواجـدِ

---

[١]- م. ن : ٤٨٤

[٢]- م . ن : ١١١

[٣]- م . ن : ٤٥٤

أوجدَهُ اللهُ فما مثـــــــلُهُ لطـالــبِ ذاك ولا ناشـــــــدِ

وليسَ للهِ بمُســـــــــــتنكَرٍ أنْ يَجمعَ العالمَ في واحـــــــدِ

تكشف أفعال القرارات في هذه الخطابات الشعرية عن جانب آخر من شخصية أبي نواس الى جانب براعته الأدبية والنقدية المعبر عنها في الحكميات . ونلمس من نماذج الإنفاذيات السالفة براعة أبي نواس ومقدرته من خلال المعالجة الآتية :

- دع الأطلال تسفيها الجنوب------ أمر
- خل لراكب الوجناء أرضا ------- أمر (المخاطب غير محدد)
- فبل عليه ---------- أمر

(ب)- فاكفف لسانك عن عيوب الناس--- أمر(التماس)

فاجعل حديثك كله في الناس------ أمر (التماس) (المخاطب هنا النديم)

وعلى اللبيب تخيّر الجُلاس----- أمر

(ث)- آلا فخذوا من ناصح بنصيب----- تحضيض+ أمر (المخاطب هم أهل مصر)

ادخلوا ...حُييتم من عصابةٍ--------- إذن (المخاطب أبو نواس)

(ج)- قولا لهارون إمام الهدى --------- طلب

لست مثل الفضل---------- نفي (المخاطب هو هارون)

وليس لله بمستنكرٍ---------- نفي

تتصدر الجمل الفعلية أعلاه بفعل أمر موجه الى مخاطب ، وهذا المخاطب يختلف باختلاف عناصر السياق من المرسل والزمان والمكان والأحداث والظروف .إنّ الأفعال الآتية : " دع ، خل ، بل ، اكفف ، اجعل ، تخيّر ، ادخلوا ، قولا " افعال انجازية عُنيّت أفعال القرار فيها باظهار بعدين من السلوكيات : هما البعد الأخلاقي كما في " اكفف ، اجعل ، تخير، ادخلوا قولا " والبعد اللاخلاقي في " خل ، دع الالبان ، بل عليه " وكلا البعدين يتصلان

بشخصية المرسل . وهذه الأفعال أخذت طابعين ،الأوّل : افعال طلب مباشر كما هو واضح في " دع ، الاطلال " وهذا القسم قليل يطلب من خلاله أبو نواس ترك المقدمات الطللية في اطار هندسة البناء الشكلي للقصيدة . والثاني : وهو الأكثر، وتندرج تحته الأفعال غير المباشرة .

وفي المقطوعة (ب) إنّ التوجيهات الصادرة عن أبي نواس هي اتخاذ قرارات تعيين أو طرد ، فالمرسل يلزم نفسه والآخرين بلائحة قوانين وآداب بوصفها شروطا للإنتساب وأهم هذه الشروط : -

١- حماية الخمرة عن الأنجاس ٢- كف اللسان عن عيوب الناس ٣- جعل الحديث كله في الكأس ٤- تخير الجلاس .

و كل هذه وتلك ، قوانينٌ وآدابٌ وتشريعاتٌ جعلها أبو نواس شروطا مسبقة للإنتساب إلى عالمه الخمري ، ولاسيما فرع الفنون والآداب الخمرية !! على المنتسب أن تتوفر فيه وأن يلتزم بها قبل كل شيء .... كيف لا.. وقد طبقها على نفسه وأعطى المثل – القدوة ؟! .[١]

أما في المقطوعات " ت ، ث، ج " فإن الإنفاذيات تنحرف من اطار المباشر الى الطلب غير المباشر ؛ لأنّ القصد من تلك الأفعال الإنجازية هي النصح والإذن والإستعطاف .

ففي المقطوعة (ت) يخرج فعل الأمر " خذوا من ناصح بنصيب " الى دلالة النصح ؛ لأنّ المتكلم لا يمتلك سلطة من خلالها فعل الأمر الصادر من الأعلى الى الأدنى .

وفي المقطوعة (ث) يكشف لنا السياق النصي أنّ دلالة فعل الأمر في قول الخمّار " ادخلوا " ليس لطب الفعل على وجه الإستعلاء كون المرسل – الخمّار – أدنى مرتبة من المخاطبين – أبي نواس وصحبه – .

---

[١]- أبو نواس ، خليل شرف الدين ، منشورات دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ١٩٩٢ م : ٢٤٨

ويتشظى من فعل الأمر هذا دلالة الإذن أي الإذن بالدخول . وخروج دلالة فعل الأمر في الخطاب الاخير هو أكثر وضوحا كون المرسل – أبو نواس – أدنى مرتبة من هارون الرشيد بوصفه مخاطبا ، ومن ثم تكون دلالة فعل التوجيه هو الإستعطاف . أما في الإسلوب الإنشائي المتشكل في سلسلة من النواهي فهي تعمل على تسويغ مواقفه وبيان آرائه في قضايا معينة تعكس اسلوب الحياة التي يؤمن بها ويُروج لها من ذلك ، الأفعال الإنفاذية الآتية :

- ولاتأخذ عن الأعراب لهوا -------- نهي المخاطب غير متعيّن
- لا تحرج فما في ذاك حوب--------- نهي
- ولا تثبوا وثب السّفاه---------- نهي (المخاطب حاضر متعين –أهل مصر)

الفعلان التوجيهيان (لا تأخذ ، لا تحرج) ليسا موجهين لمخاطب محدد بل هما موجهان لقارئ افتراضي في أي مكان وزمان وتعبران عن فلسفة أبي نواس في اسلوب الحياة ونمط المعيشة . لقد زجّ به التحول الثقافي والإجتماعي لإنتهاج مثل هذا الاسلوب من حيث أنّه يعيش في زمن الحضارة وازدهار العمران وانتاج مفاهيم مختلفة لكل فرد فيه قناعته الخاصة ، فنشأ عن ذلك سلوك متباين ومتفاوت بين فئات الناس وطبقاتهم ، إذ اتخذ الناس عادات وتقاليد جديدة على المجتمع الإعرابي البدوي تميزت بها عن الطابع الحضري الذي يسوده اللين واللطف والبراعة والظرف وكل مظاهر الترف ، ومن ثم كان لهذا العصر تأثير كبير في شخصية أبي نواس .[١]

أما الفعل التوجيهي (ولا تثبوا) فهو موجه الى أهل مصر وغرضه الإنجازي وقف شغبهم على أميرهم الخصيب . ونتيجة هذا الفعل التوجيهي النصحي رد فعل ايجابي تجسد في ذيل الرواية " وألقى عليهم هذه الأبيات فتفرقوا " .[٢]

---

[١]– ينظر المقدمة في ديوان أبي نواس : مهرات : ٢٢ – ٢٣

[٢]– ديوانه ، الغزاليّ : ٤٨٤

ثالثا : الإعلانيات : ومن نماذجها ما ورد في الابيات الآتية :

أ-قوله :[١]

أعاذلُ ! اعتبتَ الإمامَ وأعتـبا وأعربتُ عمّا في الضميرِ وأعتِبا

وقلتُ لساقينا: أجِزْها ، فلم يكنْ ليأبى أميرُ المؤمنـينَ وأشـرَبا

(ب)- قال أيضا : [٢]

لهُ لقبٌ يلـيقُ بناطقـــــــيهِ بديعٌ ، ليس يُعجَمُ في الكتـابِ

يُقال لهُ : " المُعلَل" وهـو عندي كما قالوا ، وذاكَ من الصَوابِ

يُعلِلُنـــا بصـــــافيةٍ ووجهٍ كبدرِ لاحَ من خَلَلِ السّـحابِ

(ت)- وقال أيضا :[٣]

أيا باكي الأطلال غيّرها البِـلى بكيتَ بعينٍ لا يجفُّ لـــها غربُ

أتنعتُ داراً قد عفتْ ، وتغيّرتْ فإنّي لما سالمتَ مِن نعتها حـربُ

(ث)- ومن شعر الغزل بالمذكر قوله :[٤]

شَمّرْ شبابَكَ في قتلي وتعذيبـي فقد تَسربَلتَ ثوبَ الحسنِ والطِّيبِ

عيناي تشهدُ أنّي عاشـقٌ لكمُ يا دميةً صوّروها في المحـاريبِ

في المثال (أ) يوجه أبو نواس خطابا توجيهيا بصيغة الأمر لساقيه بإبعاد الخمرة عنه في قوله " وقلت لساقينا : أجزها " . أما سبب امتناعه عن الشرب فيوضحه الفعل " يأبى أمير

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٨٥

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ١٨٨

[٣]- م . ن : ١٠

[٤]- م . ن : ٧٦

المؤمنين " . فالمرسل يكشف عن قصده بشكل واضح وصريح وكان ذاك بفعل الحظر والمنع من الخليفة أو بحسب تعبيره أمير المؤمنين .

وفي الإنموذج (ب) أطلق المخاطبون ومنهم أبو نواس اسم المعلل على الخمر وجاء هذا الاسم المترجم لطريقة عرض الأشياء بشكل تأويل ومن ثم فإنّ الفعل الإنجازي " يعللنا " يوضح قصد المرسل أو مجموعة المرسلين بشكل صريح وواضح عن أثر الخمر فيهم . وأما قوله " لقب يليق بناطقيه..." ففيه كشف لقصدية المتكلم فيما يتعلق باللقب ، وعلاقة المعلل بناطقيه .إنّ المرسل موافق لهم في ذلك ومصوب لرأيهم .

أما الإنموذج الثالث فالمحتوى القضوي له نداء من يبكي على الأطلال البالية بكاء مضطردا والإستفهام عن دار تغيّرت معالمها وتأكيد المرسل على أنّه في حال حرب على من نعت تلك الديار الخاوية . إنّ قوله " إنّي لما سالمت من نعتها حرب "

وحدة فعلية انجازية الغرض منها إعلان الحرب على تلك الفئة من الشعراء الذين يبكون الأطلال ويصفون الديار الدارسة . إنّ التغيير الذي أحدثه فعل يدعو إلى الحرب هو دعوته للتجديد في النسق الشعري في عصره وهو بهذا لا يؤمن بالنظرة السكونية للأدب بل إعلان صريح لصفتي التغير والتجديد الملازمتين للأدب والأديب عبر العصور . وفي المثال الأخير فإنّ فعل الشهادة المتحقق في قوله " عيناي تشهد بأنّي عاشق لكم " فهو اعلان من الشاعر عن حبه للغلام وعشقه له وقد أحدثت هذه الشهادة تغييرا في الوضع القائم من خلال الإنتقال من مرحلة الكتمان في الحب الى الإعلان الصريح من خلال السهر وآثاره على العين كما توحي بذلك عبارة " عيناي تشهد " . هذه النماذج من شعر أبي نواس وغيرها في ديوانه تقتضي الإيضاح ، وهو اسلوب استعمله لإقناع جمهور المستمعين والمتلقين والتأثير فيهم . والملاحظ في هذه النماذج استخدام العبارات السهلة والالفاظ الواضحة وقد حفلت هذه العبارات بفنون بلاغية مختلفة منها الجناس نحو قوله : " أعتبتُ، أعتبا ، أعربتُ ، أعربا " و " المعلل ، يعللنا " و " باكي ، بكيت " و " تنعت ، نعتها " وتعكس هذه النماذج من الجناس صفة التشابه والوضوح وكأنّ الشاعر قصد أن الوضوح ليس في الأفعال بل يسري على شكل الحروف والألفاظ أيضا . ومن صور التأكيد المهيمنة على هذه النماذج

الأدوات إنّ ولام التوكيد وحرف التحقيق " قد " كما في : " إنّي لِما سالمت.." و" إنّي عاشق لكم " و" فقد تسربلت.." .

كما يلحظ في هذه النماذج تعدد أفعال الإيضاح وتعدد أزمنتها لتشمل (الماضي والمضارع والأمر) والجدول التالي يوضح ذلك :

المقطوعة	صيغة الماضي	صيغة المضارع	صيغة الأمر
أ-	أعتبَ، أعربَ	يأبى، يكن ،أشرب	أجزها
ب-	قال	يليق، يعجم ، يعلل	-
ت-	بكيتَ ، عفت ، تغيّرت تنعت ، سالمت		-
ج-	تسربلتَ	تشهدُ	شمّر

كان الفعل المضارع بمجموع (٧) أفعال والماضي بتسعة أفعال ، فيما سجل فعل الأمر حضورا متواضعا بفعلين فقط . والملاحظ أنّ صيغ الفعل المضارع تحيل الى قضايا متنوعة منها اجتماعية ، ودينية ، وأدبية كشف المرسل من خلالها وجهة نظر أو يبين حالة معينة . كما تدل صيغة الماضي الأحداث وهو يتناسب وطبيعة النصوص القصصية .

إنّ القارئ والسامع لهذه النماذج يجد هيمنة للجمل الفعلية على الأنواع الأخرى وتعكس هذه الهيمنة حركية الأفعال الصادرة عن المرسل – أبي نواس – وإبراز سلوكياته .

المقطوعة	جمل تقريرية	جمل منفية	جمل استفهامية
أ-	أعربت عن الضمير	فلم يكن	أعاذل أعتبت الإمام
ب–	يقال له المعلل ، تعللنا بصافية	ليس يعجم	-------

ت – بكيت على عين ، إنّي لما سالمت لا يجف لها غرب أيا باكي الأطلال..؟

شمّر شبابك ، فقد تسربلت ، أتنعت دارا...؟

رابعا : التعبيريات : ومن أمثلتها في شعر أبي نواس :

(أ)- قال يعتذر لهاشم بن حديج وكان قد هجاه وهجا اليمن معه :[١]

أهاشمُ خُذْ مِني رِضاكَ وإنْ أَتى رِضَاك على نفَسي ، فَغُيرُ مَلــومِ

فأُقسِمُ ما جاوزتُ بالشَتمِ والِدي وعِرضي، وما مَزقتُ غيرَ أديــمي

(ب)- قال يُعزّي الفضل بن الرشيد ، ويهنئه في الوقت نفسه بخلافة الأمين :[٢]

تَعزَّ أبا العبّاسِ عَنْ خيرِ هَالِكٍ بأَكرَمِ حَيٍّ كانَ أو كاَئِنِ

حوادثُ أيامٍ تَدورُ صرُوفُــها لَهنّ مثساوٍ مرّةً ومُحاسَنُ

(ت)- قال يحرض الأمين على إسماعيل بن صبيح كاتب سرّه، ومن موالي بني أمية: [٣]

ألآ يا أمينَ اللهِ كيــــف تُحبنُّا قلوبُ بني مروان ؟ والأمُر ما تَدري

وما بالُ مولاهُم لِسرّكَ مَوضِعاً وما بالُهُ أمسى يُشارِكُ في الأمــــرِ

بَنيتَ بما خُنتَ الأميرَ ســقايةً فلا شَرِبــوا إلا أمــرّ من الصَــــبرِ

(ث)- قال في إحدى خمرياته : [٤]

وناعمٍ قامَ يسقيني ، فقلتُ لهُ : " نفسي الفداءُ.. لِمَن هذا؟ " " فقال : لكا "

فقلتُ بالشُّكرِ مِن عينيكَ آخذه فَصدّ مِن خَجَــلٍ منــي ، وما ضَحِكا

---

(١)– ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٦٣٠

(٢)- م . ن : ٧٠٥

(٣)- م . ن : ٣٨١

(٤)- م . ن : ٥١٤

(ج)- قال في رثاء الأمين :[1]

طوى الموتُ ما بيني وبين محمّدٍ ... وليس لما تَطوى المنيّةُ ناشـــرُ

فلا وصلَ إلا عبرةٌ تستـــــديمها ... أحاديثُ نفسٍ مالها الـدهرَ زاجرُ

وكنتُ عليه أحذرُ المـوتَ وحدَهُ ... فلم يبقَ لي شيءٌ عليـه أُحـــاذِرُ

لَئِنْ عُمِّرتْ دورٌ بمَـــنْ لا أودّهُ ... فقد عُمِّرتْ مِمَّنْ أحبُّ المَقابِـــرُ

وردت هذه السلوكيات لتعبر عن حالات انفعالية للمتكلم تعبيرا فيه اخلاص وصدق في مواقف متنوعة ولتشكل بنى استجابات أو ردود أفعال لأبي نواس .

في النموذج (أ) سبق وأن هجا أبو نواس حُديج الكندي هجاء مرّا قاسيا ، ثم عاد في هذه الأبيات ليعتذر منه اعتذارا فيه الكثير من الذل والإستهانة ، ويتضح هذا كثيرا في البيتين الاوّلين . والملاحظ أنّه لم تحدد طريقة التواصل في خطاب الإعتذار بالتلفظ التقليدي وأعني من ذلك قولهم أعتذر منك أو أقدم اعتذاري ، بل جاء الفعل الإنجازي الإفصاحي بصيغة الأمر مرة في قوله : خذ مني رضاك " وباسلوب القسم تارةً أخرى في قوله : " فأُقسم ما جاوزت بالشتم ..." .

ونجد فـــي النموذج (ب) تنوعا في الحالات النفسية للمخاطب بين التعزية والتهنئة في قبال أحادية المرسل اليه والزمن والمكان . كما يلاحظ التناظر البنائي لفعلين انجازيين معبرين هما (تعزّ) في صدر الشطر الأوّل و(بأكرم حيٍّ) من الشطر الثاني علما أنّ الشكل اللغوي المتوسم بأنّه فعل كلامي هو فعل الأمر (تعزّ) وشبه الجملة (بأكرم حيّ) . أما النموذج (ت) فإنّ سلوك أبي نواس يتفاعل سلبا مع فعل اسماعيل بن صبيح ؛ لأنّ الأخير كان ولاؤه لبني أمية وهم الأعداء التقليديون لبني العبّاس، زد على ذلك خيانتة لمحمد الأمين ومن ثم تكون

سلسلة الأفعال الإنجازية : كيف تحبنا قلوب بني مروان ؟ ، ما بال مولاهم ...وما باله ؟ بنيتَ بما خُنتَ الأمير فعلا كلاميّا مركزيا هو التحريض على العزل أو القتل وهو ما صرّح

---

[1]- م . ن : ٣٩٠

به أبو نواس في موضع آخر بقوله : [1]

أُحَيمِرَ عادٍ إنّ للسّـــــيفِ وقعةً برأسِكَ فانظُرْ بعدها ما تُوافِقُ

تجّهزْ جِهازَ البرمكيين ، وانتظرْ بقيّةَ ليلٍ ،صُبـُحُه بِكَ لاحِــقُ

وفي الإنموذج (ث) أفصح المتكلم عن فعل الشكر لمخاطبه الساقي الناعم بوصفه فعلا كلاميّا ، وأنتج هذا الفعل الإفصاحي عن استجابة تعبيرية سلبية متمثلة بقوله : فصدّ من خجل وما ضحكا " . وأخيرا نتج عن موت الأمين صديق الشاعر ونديمه فعلا تأثيريا عكس من خلاله أبو نواس النيّة الخالصة والمشاعر الصادقة تجاه مخاطبه الفقيد بقوله : " طوى الموت ما بيني وبين محمّد..." . إنّ أفعال السلوك السابقة عبرت عن حالات انفعالية بصيغها المختلفة يوضحه الشكل الآتي :

صيغة الماضي صيغة المضارع صيغة الأمر

صدّ ، طوى، عمرت فأقسم ، يسقيني ، آخذه خذ ، تعزّ

الملاحظ هنا أنّ فعل المضارع قد ناظر الفعل الماضي في الأمثلة السابقة بمجموع ثلاثة أفعال وأما الفعل الأمر فقد جاء بواقع فعليين فقط ، وهذه الأفعال المضارعة تحيل على شخصية المتكلم لتعبر عن موقفه تجاه الوقائع التي تمثل مضمون القول وللإشارة الى الحضور الحقيقي للمتكلم في زمان الواقعة ومكانها .

خامسا: أفعال التعهد : ومن أمثلتها : (أ)- وعدت جنان جارية الثقفي أبا نواس زيارةً يوم يسافر أخوه فسافر ، ولم تفِ بوعدها فأخذ يشكو مما به من شوق إليها :[2]

خبّريني فَدَتكَ نف سي وأهلي ، متى الفَرَج ؟

---

[1]- م . ن : ٥٠٢

[2]- م .ن : ١٩٠

كان ميعـادُنا خرو جَ زيـــادٍ ، وقد خَـرجَ

(ب)- قال أبو نواس :[١]

خليلـــيّ بالله لا تحفـــــرا لي القبر إلا بقُطربـُـــــلِ

خلال المعاصر بين الكروم ولا تُدنياني مِنْ السُّـــــنبُلِ

لعلـــــيّ أسمـعُ في حُفرتي إذا عُصرتْ ضجّةَ الأرجـلِ

(ت)- قال يهجو الفضل بن عبد الصمد الرقاشيّ :[٢]

واللهِ لو كنتُ جريرا لما كنتُ بأهجى لك من أصلكا

تشتمل الخطابات الشعرية هذه على طائفة من الصيغ والأدوات التي استعملها أبو نواس للدلالة على القوة الإنجازية التي يريد تضمينها كلامه ، كالإستفهام " متى الفرج ؟ " والإثبات " كان ميعادنا خروج زياد وقد خرج " و" والقسم والقصر " بالله لا تحفرا \ لي القبر إلا بقطربل " والنهي " لا تدنياني من السنبل " والترجي " لعلي أسمع في حفرتي " والقسم " والله لوكنت جريرا ..." لقد وُظِفت هذه الوسائل اللغوية للتعبير عن قصد المتكلم إذ اتخذ أبو نواس الإستفهام والتقرير للتعبير عن استهجانه لإخلاف جنان الوعد .

كما وظف المرسل في الإنموذج (ب) القسم والقصر والنهي للتأكيد على تطبيق الوصية وتنفيذها. أما الترجي فإنّ دلالة الفعل الانجازي فيه لين وضعف وهما ينسجمان مع حال المتكلم وهو في حفرة القبر . ويأتي اسلوب القسم في النموذج (ت) لبيان قصد المتكلم وايضاحه والدلالة القضوية لهذه القول هو قوة جرير في الهجاء أما الدلالة الاستلزامية فهي ضعف جرير في الهجاء وخوره أمام وضاعة المهجو .

---

[١]- م . ن : ٥٢٧

[٢]- م . ن : ٥٢٠

المبحث الثاني

قوة الأفعال الإنجازية وضعفها

تمتاز اللغة شأنها شأن الحقول المعرفية الأخرى بسمات وخصائص خاضعة لنسق منطقي من التصنيفات لتحقيق الدقة والعمق في استحصال النتائج ، والتمييز بين الأنماط المتنوعة في ظاهرة ما . والى جانب الثنائيات الضدية التي برزت بوصفها محاور لبحث الخصائص الفعل الكلاميّ والإنجازي من ذلك ثنائية الأدائي والوصفي ، والفعل المباشر وغير المباشر ، تبرز هنا ثنائية ثالثة بوساطتها تسلط الضوء على بعد جديد من أبعاد دراسة الفعل الإنجازي هي ثنائية القوة والضعف .

ومنذ أوائل الثمانينيات كانت قوة المنطوق هدفا لهجوم عنيف قاده أصحاب نظرية تحليل الخطاب ، وكانت حجتهم أنّ معظم المنطوقات لا يمكن أن تدرك حقيقتها أدراكا مأمون اللبس ، وذلك أنّ لكل منطوق ملابسات استعمال مختلفة ، قولك مثلا : " الرصاصة مازالت في جيبي " يمكن أنّ يكون إخبارا بحقيقة ولكنه يمكن – في سياق آخر – أنّ يكون تحذيرا أو تهديدا .[١]

وقد عولجت هذه المسألة في تداوليّة أفعال الكلام بعد اتمام تعريف القوة الإنجازية للفعل الإنجازي على أنّها الشدة أو الضعف اللذان يعبر بهما الغرض الإنجازي في موقف اجتماعي معين أيا كان هذا المؤثر أو العلاقة الدالة على تلك القوة .[٢] كان أوستين جعل لمقصد المتكلم أهمية كبيرة ورغب بعض محللي الخطاب في أن يبرهنوا على أنّ قوة المنطوق الإنجازية هي ما يعمد اليه المستمع ، لا ما يقصد اليه المتكلم وذلك أن أحداً من المستمعين أو محللي الخطاب لا يمكن أبدا أن يتأكد من مقصد المتكلم ؛ لأنّه لا يقبل الفحص

---

[١]- ينظر في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٦٧

[٢]- ينظر النص والخطاب والإتصال : د. محمّد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ : ٦٧

، أما تفسير المستمع فإنّه يتجلى في استجابته وهذا ما يحدد تقدّم التفاعل اللغوي أو نجاحـــه .[١]

ومن الضروري أنّ يكون السياق على النحو الذي يراه فيه المتكلم ، فمثلا ينبغي أنّ يكون المتكلم في موقع السلطة حتى يصبح منطوقه طلبا حقيقيا ، وينبغي له أنّ يمتلك موقع الملاحظة حتى يصبح منطوقه طلبا حقيقيا ..وهكذا ويستنبط من دراسة أفعال الكلام أنّه ينبغي لها أنّ تكون عملا لغويا اجتماعيا ، وذلك أنّ هناك دائما صلة وثيقة بين الفعل الكلامي ودور المتكلم الإجتماعي ، أي أنّ تفسير كل من الغرض والقوة الإنجازيين تفسيرا صحيحا يعتمد على صيغة المنطوق اللغوية وعلى فهم الشبكة الإجتماعية في آن معا .[٢] ووقع خلط بين مفهومي القوة والغرض عند بعض روّاد تداوليّة أفعال الكلام ومنظريها مثل أوستين الذي استخدم مصطلح القوة .[٣] وهو يعني ما ينبغي أنّ يعنيه مصطلح الغرض أو الغاية من الفعل الكلامي ، في حين انتبه جماعة من العلماء منهم سيرل عند تناولهم لدراسة النظرية الإنجازية بعد مرحلة أوستين . إذ عدّ سيرل الغرض الإنجازي للإلتماس هو ذاته الغرض للتوسل ؛ لأنّ كلا منهما محاولة لجعل المتلقين يفعلون أشياء محددة . ولكنّ القوة الإنجازية مختلفة بينهما اختلافا بيّنا .

وبناء على ذلك يرى سيرل أنّ القوة الإنجازية حصيلة عناصر عدة ، الغرض الإنجازي عنصر واحد فقط منها وإن كان – كما يعتقد- أهم هذه العناصر . كما يرى أنّ القوة جزء من المعنى ، وإنّ المعنى يعين قوة بعينها ، ولا يمكننا الفصل بين درجات قوة الفعل الإنجازي دون فهم المعنى الدلالي والوظيفي للمنطوق .إذ يعد المعنى من محددات القوة

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التّداوليّ للخطاب " محمّد العبد : ٣٣٤

[٢]- ينظر م . ن : ٣١٥

[٣]- ينظر نظرية أفعال الكلام العامة : ١٢١

الإنجازية بمساندة السياق وعناصره .[١]

وخلاصة القول أنّ القوة والغرض عنصران مكملان للمعنى ، القوة درجة والغرض وظيفة ولكل غرض رئيس أغراض فرعية فالتوجيه مثلا أحد الأغراض الرئيسة الخمسة في تصنيف جون سيرل وله أغراض فرعية كالأمر والإلتماس والعرض والتحضيض وغيرهما . ولكل غرض درجات مختلفة من القوة وفقا لسياقات الإتصال .[٢]

إنّ انتقاء العينات الشعرية ومقاربتها – في هذا المبحث- ستخضع أولا لمستويات التمييز بين درجات قوة الأفعال الإنجازية وضعفها والمعمول به من قبل د.علي الصرّاف وهو تقسيم مستوحى من تقسيم سيرل الخماسي للأفعال انطلاقا من المجالات الرئيسة الى الحقول الفرعية . وثانيا : لإستراتيجيات قوة الأفعال الإنجازية . ومن مستويات التمييز تلك :

١-المستوى الأوّل : " تفاوت درجة القوة للفعل الإنجازي الواحد (بنفس اللفظ) عند اختلاف السياق واختلاف المجال الفرعي أو الرئيس للفعل " .[٣] ومثاله فعل " أشكو" كما في النموذجين الآتيين :

أ-قال أبو نواس :[٤]

تفتير عينيك دليلُ علـــــى أنّك تشكو سهر البـــارحـــــة

ب- قوله :[٥]

---

[١]- ينظر في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٢٦٧ – ٢٦٨

[٢]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣١٩

[٣]- في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٢٦٩

[٤]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ١٩٩

[٥]- م . ن : ٢٥١

أشكو إليك جفاء أهلك أنهم ضربُوا عَليَّ الأرض بالأسداد

جاءت لفظة " تشكو" في المثال الأوّل لتقرير الحالة التي عليها المخاطب من شدة التعب وهذا التأكيد في الوصف إنّما أستند الى " فتور العينين" بوصفه دليلا على ذلك التعب والإرهاق . ويندرج هذا الوصف ضمن مجال التقريرات في حين جاءت " أشكو " في المثال الثاني لتعبر عن عتاب ، والعتاب يندرج ضمن مجال السلوكيات أو التعبيريات وهذا هو المقصود من اختلاف المجال الفرعي أو الرئيس للفعل نفسه مع اختلاف السياق الذي ورد فيه .

وجاءت هذه الشكوى كرد فعل لحدث عدم الزيارة و التواصل بين الشاعر والغلام بسبب حيلولة أهل الأخير في ذلك . ومن ثم فإنّ " أشكو " الذي ورد في المثال الأوّل أكثر قوة من الثاني لتعبيره عن قرار ووصف حالة ومعلوم أنّ الوصف دلالته الثبوت لتجرده عن الزمن ، هذا من جانب ومن جانب آخر إنّ دخول أنّ المؤكدة على الضمير المتصل – الكاف- تجعلها أكثر قوة في حين عبّرت لفظة أشكو في المثال الثاني عما شعر به المتكلم من حالة نفسية انفعالية خاصة اتجاه واقعة البعد والهجران الذي يمثل مضمون القول . ومن شواهد هذا المستوى أيضا الفعل " خذ " كما في المثالين الآتيين :

أ-قال أبو نواس :[1]

لو جاءَ منكِ رسولٌ يقولُ نفسكَ هـات

لقلت : هاكِ خُذيــها مُستسلِما لوفاتـــي

ب-قال في خمرية من خمرياته :

يا أخوتي ذا الصباحُ فأصطبحوا فقد تَغَنَّت أطيارُهُ الفصـــحُ

هُبّوا خذوها فقد شـــكانا الى ال إبريقِ من طولِ نومِنا القدحُ

---

[1]- م . ن : ١٧٣

نلحظ لفظة " خذيها " من القول الأوّل جاءت للتعبير عن الفداء والتضحية الذي يندرج ضمن مجال التعبيريات ، ويستشعر من قيمة الفداء والتضحية دلالة التحدي لتضيف هذه الأخيرة قوة لقوة الفعل في قبال " خذوها " التي وردت في المثال الثاني لتعبر عن الإلتماس المندرج ضمن مجال التوجيهيات . إنّ الفعل الإنجازي التوجيهي " خذوها " خرج من دلالته الأصلية الى دلالة الإلتماس كون الأمر صادراً من متكلم الى مخاطبين متساويين في المنزلة وهم أصحابه وندماؤه . ومن ثم يعد مجال الإلتماس أوسط المجالات الفرعية لمجال الطلبيات أو التنفيذيات إذ يأتي بعد الأمر في القوة ، فضلا عن ذلك الى أنّ مجال التوجيهيات يتفوق في القوة كمجال رئيس على مجال التعبيريات .[١]

٢-المستوى الثاني : " تفاوت درجة القوة للفعل الإنجازي الواحد (بنفس اللفظ)عند اتفاق المجال الفرعي للفعل واختلاف السياق " .[٢] مثل لفظة (الشكر) في المثالين

أ-قول أبي نواس في الغزل :[٣]

سأشكُر للذكرى صنيعتَها عندي وتمثيلَها لي مَن أحبُّ على البُعدِ

قال في المرض الذي مات فيه :[٤]

فيا ربّ قد أحسنتَ عودا وبـدأة إليَّ فلم ينهضْ بإحسانِك الشّــكْرُ

سأشكر في المثالين يندرج ضمن مجال الشكر المتفرع عن مجال التعبيريات و" سأشكر " في المثال الاوّل أكثر قوة من لفظة الشكر في المثال الثاني لمكانة السين ولإضفاء دلالة الاستمرارية والتجدد التي تمنحها دلالة فعل المضارع ، فهو لايـــــزال يشـــكر

---

[١]- ينظر في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٢٦٩

[٢]- م . ن : ٢٧٠

[٣]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٢٤٧

[٤]- م . ن : ٣٩٠

للذكريات معروفها . أما لفظة الشكر في المثال الثاني فهو أضعف قوة من الأوّلى . إنّ السياق المقامي الذي قيل فيه الخطاب هو سياق المرض الذي مات فيه الشاعر ، ومن ثم فهو يكشف عن درجة القوة أو الضعف والمحتوى القضوي لهذا النص يؤكد احسان الربّ في البدء والختام على الشعر لكونه لم يقدر على الشكر المطلوب لذلك الإحسان . وفي السياق نفسه يوضح الفعل " عجبت " هذا المستوى في الإنموذجين الآتيين :

أ-قال يتعجب من اصحابه :[١]

إنّي عجبتُ وفي الإيـامِ مُعتـــبرٌ والدّهر يأتي بألوانِ الأعاجيبِ

مِن صاحبٍ كان دنيائي وآخرتي عدا عليَّ جهارا عِدوّة الذِّيــبِ

٢-قال في سياق هجاء جعفر بن يحيى البرمكي :[٢]

عَجِبتُ لهارون الإمام ، وما الذي يودُّ ويرجو فيك يا خلقة السِّلقِ

الفعل الإنجازي (عجبت) في النموذجين السالفين يدخلان في صنف الإفصاحات أو السلوكيات ضمن مجال التعجب ويلاحظ أنّ عجبت في المثال الأوّل أكثر قوة من عجبت في المثال الثاني على مستوى السياق المقامي أو الخارجي وكذا الحال على مستوى السياق النصي أو المقالي وذلك لدخول إنّ المؤكدة على الجملة الفعلية الواقعة خبر للمبتدأ في سياقها .

٣-المستوى الثالث :وفي هذا المستوى نجد " تفاوت درجة القوة بين الأفعال الإنجازية المختلفة (بألفاظها) المندرجة ضمن نفس المجال الفرعي " .[٣]

---

[١]- م . ن : ١٤٩

[٢]- م . ن : ٥٠٢

[٣]- في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٢٧٠

إنّ مجال الحب المتفرع من مجال التعبيريات تضم من الأفعال الإنجازية ألفاظا متعددة وقام علماء العرب القدماء بترتيب تلك الألفاظ بوصفها أفعالا من حيث درجة شدتها مع أنّ غرضها الإنجازي واحد على مراتب .[١] وقالوا " مراتب الحبّ الهوى ثم العشق ، ثم الشغف ، ثم الجوى ، ثم التتيم ، ثم التّبل ، ثم الهيام ، وهو أن يغلبه الهوى فيهيم على وجــهه " .[٢] ومن أمثلة هذه الألفاظ بوصفها أفعالا انجازية في شعر أبي نواس :

أ-قوله يتغزل بالغلمان :[٣]

يا لائم العاشق أنت الفدى لكلِّ مَن يهوى ومَن يَعشقُ

ب- قال في احدى خمرياته :[٤]

كلمّا دارتْ الكؤوسُ تَغَنّــى : " من لقلبٍ متيّم مُســـتهامِ "

تعكس الألفاظ الآتية : " يهوى، يعشق ، متيّم ، مستهام " الحالة الإنفعالية لإبي نواس تجاه الغلمان في عصر أُستحدث فيه الغزل بالغلمان بوصفه نمطا جديدا من أنماط الغزل في الشعر العربي ، وقد نما هذا النمط من الغزل وذاع في سياق التحول الشامل الذي طرأ على مجالات الحياة المختلفة ، ومنها مجال الأدب عامة والشعر خاصة . ووفقا لتصنيف العلماء العرب السالف ذكره بشأن مراتب الحب ودرجاته ؛ ولأنّ الهيام أشد قوة في التعبير من الهوى ، وهما ينضويان تحت مجال واحد هو الحب ، نرى أبا نواس قد قطع مراحل الحب من المبدء الى المنتهى وتربع على عرش حب الغلمان كونه المستعبد في الحب والهائم الذي

---

[١]- ينظر في براجماتية الافعال الإنجازية في الأفعال الإنجازية : ٢٦٨

[٢]- نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد :إبراهيم اليازجي ، مكتبة لبنان ، بيروت، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥: ٢٣٥ ، نقلا عن براجماتية الأفعال الإنجازية : ٢٦٨

[٣]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٤٩٣

[٤]- م . ن : ٥٩٩

لا يدري أين يتوجه .

وفي حقل الحزن المتفرع من صنف التعبيريات ضمّ هذا الحقل الدلالي من الأفعال الإنجازية مفردات متعددة منها : (يألم ويفجع) ومن نماذجهما في شعر أبي نواس قوله مخاطبا إحدى الجواري لصدودها عنه :[١]

اللهُ في قتلي ، مُعذبّتـــي لا تقتُلي في غير ما جرم

لا تفجعي أمّي بواحدها لن تُخلفي مثلي على أمــي

وكذلك قوله : [٢]

وبدرٌ من بني حوّا ء تعشو دونه الظُلَمُ

يلومك فيه أقــوامٌ ببلوى اللومِ ما ألموا

تتباين درجة الشعور والإيذاء بوصفهما ردود أفعال صادرة من الأمُّ واللائمين ، على التوالي ، ولما كانت الأمّ الثكلى أشد ألما وتوجعا من غيرها من أصناف المتألمين ولاسيّما أهل اللوم والعواذل كانت القوة الإنجازية للفعل " تفجعي " قد فاقت القوة الانجازية للفعل " ألموا " بمعنى تألموا كما يمكن استشفاف ذلك بوساطة المعنى المعجمي للفعلين " آلم : تألم : توجع ، وأفجع ، يفجع فجعا : آلمه إيلاما شديدا " .[٣]

٤-المستوى الرابع : وفي هذا المستوى نرى : " تفاوت درجة القوة بين مجالين فرعيين مختلفين ينضويان تحت مجال رئيس واحد " .[٤] من ذلك حقلي الضمان والقسم

---

[١]- م . ن : ٦٠٨

[٢]- ديوانه ، محمّد أنيس مُهرات : ٦٠٥

[٣]- لسان العرب ، مادة (ألم) : ١١ \ ٨٧

[٤]- في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٢٧١

المنضويين تحت مجال الإلتزاميات ، ففي مجال الوعديات قول أبي نواس حكاية على لسان أبي عيسى الحسين بن أبي جعفر المنصور ليضمن له التوبة عند الأمين ليخرجه من السجن :[١]

قُلْ لهُ إنْ قال : هل تا بَ ؟ نعم تابَ وزادا

واضمن التوبة عمـن كلما أطراك عـــادا

أما في حقل القسم فنجد المتكلم يوظف القسم في قصيدة يمدح بها أبا العبّاس الفضل بن الربيع وهو في حبسه :[٢]

يا سائلي عن بلائـــــــي انظر الى لحظاتي

بان الهوى في سكون ال محبّ والحركـات

واللهِ لوكنتُ أعمـــــــى عُرفت في سحنات

يقسم أبو نواس بالله لزيادة التأكيد في مورد تقديم الأدلة عن حبه ويقول له إنْ كنت أعمى ولم تعبّر عيناي عن حبي لعبرت سحنة وجهه .[٣] ولا شك أنّ القسم هنا أكثر قوة من الضمان في المثال الأوّل ، لأنّ القسم ليس مجرد وعد بالمحافظة على شيء أو فعل شيء ، وإنّما هو عهد يلتزم به المُقسِم ويترتب على الحنث به آثار يعاقب عليه الحانث كالإستغفار أو دفع كفارة ، ولهذا كان القسم أكثر قوة من الضمان و " بهذا يمكن ادراك تحقق الاختلاف في شدة القوة الإنجازية بين المجالات نفسها وليس بين الأفعال ".[٤]

---

[١] – ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٢٦٤

[٢]- م . ن : ١٧٢

[٣]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ١٧٣

[٤]- في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٢٧١

وفي حقلي التوبيخ والشتم المندرجين تحت مجال التعبيريات نقرأ لأبي نواس شعرا وبخ فيه أهل مصر في قصيدة يمدح بها أحمد بن طولون أمير مصر :[١]

يا أهلَ مصرَ لقد غِبتُم بأجَمـعِكم لمّا حوى قصبَ السّبقِ المساميحُ

أموالكُمْ جمّةٌ والبخلُ عارضُـــها والنيلُ مع جُودِهِ فيه التماســـيحُ

لولا ندى إبن جُوَيّ أحمد نطقتْ مني المفاصل فيكم والجواريــحُ

وقوله في هجاء أبي الهندي :[٢]

هذا أبو الهندي في ه مشابةٌ من غير واحِدْ

ماذا أقولُ لمَنْ لــهُ في كلّ عضوٍ منه والدْ

يوجه أبو نواس خطابا لاذعا لأبي الهندي وقصده التواصلي من هذين البيتين يتحدد بأنّ المهجو هو إبن غير شرعي مستدلا على ذلك بأنّه يشبه غير واحد من الرجال ، بل أنّ كل عضو فيه يشبه رجلا فيظن أنّه والده .[٣] أما في الخطاب التوبيخي فالمرسل يوجه خطابه لأهل مصر و لولا كرم أحمد بن طولون لما نجا من هجائه . في الإنموذج الأوّل خرج الفعل الماضي (نطق) الى دلالة التوبيخ . أما الفعل الإنجازي للإستفهام " ماذا أقول " فهو من القوة ما فاق دلالة التوبيخ .

٥-المستوى الخامس : وفيه تتفاوت درجة القوة بين مجالين فرعيين ينضويان تحت مجالين رئيسين مختلفين .[٤] ومن ذلك حقل التأكيد المتفرع من مجال الإخباريات وحقل القسم

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٢٢٤

[٢]- م . ن : ٢٧٨

[٣]- م . ن : ٢٧٨

[٤]- ينظر في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة : ٢٧١

المنضوي تحت مجال الإلتزاميات ، ففي مجال التأكيد استثمر أبو نواس هذا الاسلوب في قصيدة مدح بها العبّاس بن الفضل بن الربيع :[١]

وإنّ عبّاسَ مثْلُ والدِهِ ليس الى غايةٍ بمسبوقِ

ومجال القسم قال أبو نواس مقسما :[٢]

واللهِ لا ذقتَ الذي ذُقته أقْسِمُ باللهِ وآياتـــــــهِ

لاشك أنّ الفعل المنجز بالقسم بوساطة حرف القسم الواو في (واللهِ) هو أكثر قوة من قول ليس فيه قسم ، وقد ازداد قوةً بتكرار القسم ثلاث مرات في هذا الخطاب كما هو في " والله ، أقسم بالله ، وآياته " ومن ثم يكون القسم هنا أكثر قوة من التأكيد في المثال الثاني . وبناء على ما تقدم إذا كانت القوة الإنجازية لفعل كلامي تعني الشدة أو الضعف اللذين يعبر بهما عن غرض انجازي بعينه في موقف انجازي بعينه ، أيا كان المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة ، وإذا كان لكل من الشدة والضعف درجات متفاوتة ، فإنّ القوة الإنجازية ينبغي لها أنّ توصف بأنّها نسبية .[٣]

وسائل تقوية الفعل الانجازي واضعافه :

من المسّلم به أنّ تعديل قوة المنطوق الإنجازية يرتبط باستراتيجيات الإتصال العامة ومن الحقائق الجوهرية في الإستعمال اللغوي ارتباط الصيغة بالمقصد . ومن البديهي في كل تفاعل لغوي أنّ الكيفية التي يقال بها الشيء تعد جزءا مما يقال وحينما يعدل المتكلم قوة منطوقه الإنجازية فإنّه يدلل بذلك على وعيه بالمقصد وتقديره مقتضيات السياق وهما

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٥٠١

[٢]- م . ن : ١٨٠

[٣]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣٢١

يرتبطان بكفاءة المتكلم وأدائه معا .[١] تنصرف غاية الباحث في هذا المحور الى الاستراتيجيات التي توظف في تقوية الفعل الإنجازي واضعافه .

أولا : وسائل تقوية الفعل الانجازي : وتتجلى هذه الوسائل بأنماط متنوعة :

(أ)- جهارة الصوت : وتوظف جهارة الصوت في تقوية قوة الفعل الإنجازية . وجدير بالإشارة أنّ جهارة الصوت هذه ليست من بنية المنطوقات وإنّ كانت ضمن النسيج اللغوي في الخطاب الشعري وعندما " ينص عليها المتكلم فإنّه يدل بذلك على أهميتها ولزومها من حيث هي محددات صوتية سياقية مهمة في تفسير المعنى" .[٢]

من ذلك في الشعر القصصي ما يرويه أبو نواس حكاية عن أحد الغلمان وهو يُضرب في مكتب حفص المعــلم :[٣]

عندها صاحَ حبيبي : يا معلّمُ لا أعـودُ

تشكل لفظة " صاح " وسيلة صوتية اتخذها أبو نواس في كلامه والقصد منه تقوية المنطوق الإنجازي باسلوب النداء . وإذا صوّرت لنا لفظة " صاح " حقيقة ما حدث في الواقع فإنّه في الوقت نفسه علامة صوتية ارشادية للقرّاء أو المتلقين للنطق بهذه اللفظة نغمة صاعدة وعالية . ومن جانب آخر تعد بنية النداء تلك رد فعل للغلام داخل نص ولولا هذه البنية في السياق النصي لأنفتح باب الإحتمال لمعرفة شدة الضرب من لينه . ومن النماذج على جهارة الصوت لتقوية الفعل الإنجازي قوله :[٤]

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمل اللغة ، من بحث " تداوليّات التأويل " ، عبد السّلام إسماعيلي علوي : ٢٣٢

[٢]- م . ن : ٣٣١

[٣]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٢٥٤

[٤]- م . ن : ٥٨١

ومتّصلٍ بأسـباب المعالـــــــــي لهُ في كلِّ مكرمةٍ قديـــمُ

رفعتُ له النداءَ ب " قمْ ، فَخُذْها " وقد أخذتْ مطالعها النجومُ

بتفديةٍ تُذالُ النــفسُ فيـــــــها وتمتهنُ الخؤولة والعمـومُ

فقامَ ، وقمتُ من أخــوين هاجا على طربٍ وليلهما بهــيمُ

السّياق التّداوليذ لهذا الخطاب هو الخمرة وقد أنجز المتكلم في خطابه للمرسل اليه فعلين توجيهيين بوساطة " قم ، فخذوها " ونستشف من السّياق المقالي للخطاب أنّ الدلالة الإنجازية للفعلين قد خرجا من الإستعلاء الى الإلتماس بدليل قوله في البيت السابق " ومتّصلٍ بإسباب..." فهو يشير الى عراقة أصل هذا النديم وعلو شأنه ومن ثم لا تعارض بين رفع الصوت لنداء المخاطب لتفعيل تقوية الفعل الانجازي ، وبين مكانة المخاطب ؛ لأنّ رفع الصوت كان لإفاقة النديم من نومه العميق وقد لاحت عليه تباشير الفجر بدليل قوله " وقد أخذت مطالعها النجوم " .

في ضوء ذلك نستنتج أنّ الفعل الانجازي الواحد ممكن أن يحتوي على درجتين من القوة في السياق نفسه إذ سبقه أو تأخر عنه إشارة من المتكلم يضيء من خلالها التشكيل الصوتي درجة تعكس البعد الصوتي ولها وظيفة تنبهيه و درجة تعكس علاقة المرسل بالمخاطب . إنّ استثمار هذه الوسيلة الصوتية لم تكن حشوا لغويا بل جاءت بقصد تغيير الواقع فلولا رفع الصوت لما استفاق النديم من نومه .

(ب)- وسائل معجمية وصرفية : و يراد بالوسائل المعجمية ما قد يستخدمه المتكلم – في بعض السّياقات الإتصالية – من عناصر معجمية تضيف قوة الى قوة المنطوق الإنجازية ، ومنها المقويات الموجهة الى المتكلم أي العناصر المعجمية التي تشير الى صدق المتكلم أو ثقته بما يعلم . [1]

---

[1]- ينظر في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصر : ٣٣٢

والشواهد الآتية من شعر أبي نواس توضح ذلك . قوله في احدى خمرياته : [١]

بكيتُ وما أبكي على دمنٍ قـــــفرِ وما بي مِن عشقٍ فأبكي من الهـــجرِ

ولكنْ حديثٌ جـــــــاءَنا من نبينا فذاك الذي أجرى دموعي على النَّحرِ

بتحريم شربِ الخمرِ والنهي جاءنا فلما نهى عنها بكيتُ على الخـــــمرِ

فأشربُها صرفاً ، وأعلم أنّنـــــــــي أُعزرُ فيها بالثمانينِ في ظـــــهري

وكذلك قوله في خمرة أخرى :[٢]

وَثِقتُ بعفو اللهِ عن كُلِ مسلمٍ فلستُ عن الصهباءِ ماعشتُ مَقْصِرا

وأيضا ما قاله في احدى أشهر زهدياته : [٣]

ياربِّ إنْ عظُمُتْ ذنوبي كثرةً فلقد عَلِـــمْتُ بأنّ عفــوك أعـــظُمُ

إنّ العناصر المعجمية " أعلم ، وثقت ، علمت " في النماذج السالفة الموجه الى المخاطب قوّت الفعل الإنجازي ومما جعل المتكلم يستعمل ألفاظ القوة هذه هي تلك المعرفة المسبقة التي يمتلكها المرسل . إنّ الإيمان الذي يمتلكه الشاعر ونفسه اللوامة التي تحاسبه وإنّ اقترف السيئات واجترح الموبقات والبنية التوكيدية في قوله " إنّني أعزر فيه بالثمانين في ظهري " تتضمن افتراضا مسبقا هو معرفته بعقوبة شارب الخمر ونوع تلك العقوبة هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإنّ هذه البنية هي اعتراف من المتكلم بلغ درجة الإثبات والتأكيد فيما يتعلق بقانون العقوبات في التشريع الاسلامي لاسيّما ما يتعلق بشرب الخمر .

أما النموذج الثاني فإنّ لفظة (وثقت) لم يوظفها أبو نواس اعتباطا ولم تأتِ على سبيل

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٢٩٣

[٢] – ديوانه ، الغزاليّ : ٦٨٣

[٣]- م . ن : ٦١٨

قلقة اللسان ، لكنها تحيل على دعامتين ، الإوّلى : الوعد الإلهي بالعفو عن كل مسلم اقترفت يداه الذنوب ما خلا الشرك . الثانية : تلخص بالآتي : إنّ التربية البيتية الشاذة والبيئية الفاسدة وانحراف الخلفاء ودجل رجال الدين أنفسهم ، واختلاف بعضهم في أي الخمور محرم وأيها المحلل واختلاف اصحاب الفرق الإسلامية في تقدير العقوبات وقضية خلود شاربه أو عدم خلوده ذلك جعل أبو نواس يجتهد مثلهم في هذه الأمور الأمر الذي دفعه وهو المحرر الثائر في وجه التقاليد الى معاقرتها بلهفة وتحدٍّ شديدين " .[١]

وقد تشير العناصر المعجمية اشارة ضمنية أو صريحة الى معرفة المستمع أو المعلومة التي تصنع خلفية مشتركة بينه وبين المتكلم وهي ما تطلق عليها بالمقويات الموجهة الى المستمع .[٢]

ومن هذ النمط من المقويات اللغوية قوله :[٣]

فكُنْ لنا رحمةً نفسي فداكَ – ولا تكن خِلافا لما ذو العرشِ سمّاكا

فقد علمتَ يقيـــنا أو ستعلـــمَهُ صنيع حُبّكَ في قلبي و ذكراكـــا

لقد أعطت لفظة " علمت " الواردة في سياقها " يقينا " قوة للمنطوق في البنية الدلالية تفوق في دلالتها ألفاظ وعناصر معجمية أخرى ، لكن هذه القوة ليست موجهة كما في النماذج السابقة الى المتكلم بل موجهة الى المستمع ، وتعكس هذه الوحدة المعجمية معرفة مسبقة بين المتكلم والمخاطب في موضوعة الحب من جانب المرسل فقط . كما يفسر استعمال " فقد علمت يقينا " بمعناها المؤكد عادة بالإفتراض المسبق أنّ معنى آخر غير مذكور قد تم فهمه . والغالب في تقوية الفحوى الخطابي صرفيا أنّ يكون بوساطة

---

[١]- ينظر : أبو نواس ، خليل شرف الدين : ١٠٨

[٢]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣٣٣

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٢

الأداة إنّ التوكيدية كما يلجأ الى تقوية الفحوى الخطابي الى لام الابتداء أو لام التوكيد في المصطلح النقدي .[١] من ذلك قول أبي نواس في جنان جارية الثقفي وكان قد رآها مارة في المربد، ولم يكن يعرفها ، فافتتن بها :[٢]

إنِّي صرفتُ الهوى الى قمرٍ لا يتحدّى العيون بالنظر

تؤدي الأداة (إنّ) وظيفة التأكيد واستعملها المتكلم لتقوية الفحوى الخطابي بوصفه طبقة من طبقات الفعل الكلامي ، فالأداة (أنّ) مؤشر بنيوي على درجة من درجات قوة الفعل الإنجازي وبغيابها تخفف قوة الفعل المنجز ومن ثم تضعف آثار الملفوظ على المستمع .

(ت)- الوسائل التركيبية : وتقصد بها أنساق الملفوظات وتشكيل الأساليب، وللعربية وسائل تركيبية عدة لتقوية قوة المنطوق الانجازية نختار من تلك الأساليب الإستفهام والتكرار .إنّ الفهم التّداوليّ لهذين الخطابين من شعر أبي نواس في قوله :[٣]

رسولي قالَ : أوصلتُ الكتابا ولكنْ ليسَ يُعطونَ الجوابـا

فقلتُ : أليسَ قد قرأوا كتــابي فقالَ بلى ، فقلتُ الآن طابا

وقوله في احدى خمرياته :[٤]

ألستَ ترى ضوءَ الصباحِ ونـُــورِهِ وتسمعُ تغريدَ الحمـــامِ الثواكلِ ؟

فَقُمْ فاصطحبها وأنفِ عنكَ خُمارَها فليسَ لها مثلَ الصّبُوح المعاجلِ

---

[١]- ينظر الخطاب وخصائص اللغة العربية ، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط : د . أحمد المتوكل ، الدار العربية للعلوم ناشرون : ١٥٩

[٢]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٣٣٢

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٢٨٨

[٤]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٥٤١

واضح أنّ المحتويات القضوية معروفة لدى المرسل والمرسل اليه . في الخطاب الأوّل تدور المحاورة بين أبي نواس وبين الرسول حول موضوعة قراءة جنان لرسالة أبي نواس وهذا الفعل بحد ذاته يطيب من خاطر أبي نواس ويُريحه حتى وإن لم تك رد فعل منها برسالة مكتوبة . وكذلك الحال في النموذج الثاني فقد عزز الإستفهام قوة المنطوق . وأما المحتوى الخطابي لهذا الخطاب فهو طلب النظر الى طلوع الصباح وانتشار ضوئه وسماع تغريد الحمام وترك النوم .

ويستشف من الخطاب دلالة التعجب من بقاء المخاطب نائما حتى هذا الوقت . لقد وقف غير واحد من الباحثين في نظرية أفعال الكلام على المنطوقات الإستفهامية من هذا النوع وأبانوا عن أنّه مفترض من قبل وأنّ التعجب هو الذي يكسب المنطوق قوة . في الوقت الذي إلتفت ليتش الى الفرق بين الأسئلة التعجيبية التي تجر المتكلم الى الموافقة في قوة وبين الأسئلة المجازية الأخرى التي تبدو تبليغات قوية أو مؤثرة.[١]

أما التكرار فهو من الأساليب التركيبية البلاغية المستعملة في تقوية قوة الفعل الانجازي ونماذج هذه التقنية جمّة منها على سبيل المثال لا الحصر ، قوله :[٢]

يا سائـلَ اللهِ فُزتَ بالظّـــــــفَرِ وبالنوالِ الهنيّ ، لا بالكدرِ

فارغبْ الى اللهِ ،لا الى بشــرٍ منتقل في البلى وفي الغيــرِ

وارغبْ الى اللهِ ،لا الى جسدٍ منـــتقل من صبا الى كِبَــرِ

إنْ الذي لا يخـيبُ سائـــــــلُهُ جَوهرُهُ غيــرُ جوهرِ البشرِ

إنْ الذي لا يخـيب سائـــــــلُهُ مباينٌ للشخوصِ والصــورِ

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣٣٥

[٢]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٣٩٦

ومن التكرار قوله في زهدية أخرى :[١]

أيا رُبَّ وجهٍ في الترابِ عتيــقِ ويا رُبّ حسنٍ في الترابِ رقيقُ

ويا رُبّ حَزْمٍ في الترابِ ونَجدةٍ ويا رُبّ رأيٍ في الترابِ وثــيقُ

نلحظ أنّ التكرار أسهم في كلا النموذجين في تقوية الفعل الانجازي متخذا شكلين بنيويين مختلفين، ففي المثال الأوّل ردد الشاعر بتغيير طفيف صيغة " وارغب الى الله لا الى " في الشطرين الاوّليين من البيتين الثاني والثالث ، وبتكرار صيغة " إنْ الذي لا يخيب سائله " في البيتين الرابع والخامس ، ويطلق على هذا النوع من التكرار الذي بقوم الشاعر بترديد صيغة معينة في عدة أبيات متتالية مما يجعله جنسا من التغني ولونا يعطي ايقاعا كليا متناغما مع تحولات الدلالة في بنية النص بالتكرار العمودي .[٢] ويتضح من المثال الثاني أنْ التكرار حدث بإقامة شطري البيت الشعري على مفردات يناسب تقطيع كل منها في الشطر الأوّل تقطيع نظيره في الشطر الأخر مناسبة كاملة أو شبه كاملة وهو ما يسمى بالتكرار الأفقي .[٣]

ثانيا : وسائل تضعيف الفعل الانجازي :

يحتاج المتكلم في سياقات معينة إلى اضعاف أو تخفيف قوة الملفوظ الإنجازي ، وتلتقي وسائل التضعيف أو التخفيف مع وسائل التقوية من حيث النوع ، لكنّها تختلف من حيث الكيف ومن تلك الوسائل :

(أ) تليّن الصوت : يستعمل تلين الصوت أو نمط انخفاض جهارة الصوت في تضعيف القوة الإنجازية في سياق مناسب يلجأ إليه المتكلم لإحداث أثر مقصود في المستمع أو المتلقي .

---

[١] – ديوانه ، الغزاليّ : ٦٢١

[٢]– ينظر شعر أبي نواس قراءة اسلوبية : عبد الناصر حسن محمد ، ط١ ، ٢٠٠٩ : ١٣٣

[٣]- ينظر : م . ن : ١٣٦

تتضح هذه الوسيلة أكثر بالنظر الى قول أبي نواس حكاية على لسان ساقي الخمرة في إحدى حانات الكرخ :[١]

فقامَ ذو وَفرةٍ مِن بطن مضجـــــعِهِ يميلُ من سُكرِهِ والعينُ وســــــــناءُ

فقالَ :" مَن أنتَ؟" في رفقٍ ،فقلتُ لهَ :" بعضُ الكرامِ ولي في النعتِ أسماءُ"

سياق رواية المحادثة يفضي بنا الى القول بأنّ النغمة التي استخدمها الساقي مع أبي نواس كانت نغمة هابطة بدليل شبه الجملة الإرشادية – في رفق – ومن ثم لعب القول السابق دورا فعّالا في التعبير عن منسوب التنغيم ، ومن ثم أصبحت علامة على تضعيف قوة الفعل الإنجازي . أما القصد التواصلي من هذا التعبير الكنائي " ذو وفرةٍ " هو أنّه من أهل الترف واستنادا الى هذا التعبير الكنائي يستبعد استخدام هذا الملفوظ بنغمة هابطة اصطناعية متكلفة. إنّ الرفق واللين في كلام " ذو وفرة " هو وسيلة صوتية ضعفت قوة الفعل الإنجازي وقد حدد السياق النصي مغزى ذلك .

(ب) وسائل معجمية : يستعمل المرسل بعض المكونات المعجمية لتضعيف أو تخفيف قوة الفعل الإنجازي في السياقات المناسبة ليدل بها على تحفظ أزاء منطوق معين.[٢]

ومن العناصر المعجمية المضعفة لقوة الفعل الإنجازي الموجهة الى المتكلم ما قاله أبو نواس معاتبا إحدى الجواري :[٣]

فيا مَنْ ليسَ يكفيها خليـلٌ ولا ألفا خليـلٍ كلَّ عـــامِ

أظُنُّكِ من بقيّةِ قومِ موسى فَهُمْ لا يَصبرونَ على طعامِ

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٦٣

[٢]– ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣٤١

[٣]– ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٦٢٩

وقوله في خمريته الموسومة ب " أيام المدام " :[١]

مددتُ لها الأجفانَ من خوفِ نورِها على بصرٍ قد كاد حين بدتْ يُودي

الوحدتان المعجميتان " أظنك" و" كاد" وظفهما المتكلم لإضعاف القوة الإنجازية . ففي سياق الإخلاص والقناعة في الحب يقف الشاعر منبهرا من تلك الجارية التي لم ترض بخليل واحد ولا حتى بألف خليل كل عام . وقد استحضر المرسل فضائل بني اسرائيل في عهد موسى النبي – عليه السلام - لاسيما إلحاحهم في طلب تبدل الأطعمة وعدم صبرهم على طعام واحد . أما في النموذج الثاني فيصور لنا المتكلم قوة الخمرة وشدة نورها على البصر مما دفع الشاعر الى إطباق أجفانه خوفا من نورها . وقد أتكأ المرسل لتخفيف قوة المبالغة في تصوير شدة الخمرة على البصر على لفظة " كاد " بوصفها عنصراً معجمياً يضعف من قوة المنطوق الإنجازي . كما تبرز المضعفات الموجهة الى المستمع كأحدى الوسائل المعجمية و" تعتمد هذه المضعفات على قدرة المستمع أو رغبته في التعاون مع المتكلم " .[٢] من ذلك وهو محاورته لنبات الجارية :[٣]

أمّا نباتٌ فقد أضـــحتْ مخضـــبة والشعرُ مفترقٌ بالبـــانِ مغسولُ

قالتْ : تعلّاتُ بالحنّـاء ،قلتُ لـــها: ما بالتّطاريفِ بالحـنّاءِ تـــعليـــلُ

هذه التطاريفُ من غُنجٍ ومن عبـثٍ كما زعمتِ ، فما للطرفِ مكحولُ ؟

قالت : كَحِلتُ بعذرِ العين من رمـدٍ فقلتُ : عُذراً فما للـــشعرِ مبلـولُ

اتخذ قالب أسئلة الإستفسار والتحقيق بنية شكلية للمحتوى القضوي لهذه الإبيات ، واستهلت المحاورة بين طرفي التفاعل بسرد المتكلم لبعض أوصاف الجارية كالأصابع

---

[١]- ديوانه ، الغزاليّ : ٦٨٧

[٢]- التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣٤١

[٣]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٥٥٢

المخضّبة والشعر المغسول . وفي محاولة من المخاطبة لتبرير فعلها والتستر عليه تتخذ بعض الحجج الواهية للتأثير على المتكلم واقناعه بأنّ الكحل والبلل ليسا إلا للعبث والعلاج من الرمد فيستعمل المرسل لفظة " عذرا " وسيلة معجمية تضعيفية موجها الى المستمع لتخفيف قوة الفعل الإنجازي الصادر من المرسلة . وقد امتاز تخفيف الخطاب بطابع التأدب تجاة المستمعة أو الجارية كما صاحب هذا المكون التضعيفي منطوقا استفهاميا وهذا هو الغالب على هذا العنصر المعجمي .

وفي هذا الإطار أيضا ثمة عناصر معجمية تستعمل لإضعاف المحتوى أو التعبير عن عدم التأكد من صحته .[١] من هذه العناصر المعجمية ما وظفه أبو نواس في هجائه لهيثم بن عدّي :[٢]

فلا تزالُ أخاً حلٍّ ومرتحلٍ الى الموالي وأحياناً الى العربِ

أثار أبو نواس في خطابه الهجائي الموجه الى الهيثم بن عدي موضوعة النسب بين الأصالة والتهجين . وتنبثق الأخبار كإحدى الظواهر البارزة في الإفعال الكلاميّة في قوله :" فلا تزال أخا حل ومرتحل " ؛ لأنّ أبا نواس يخبرنا بأنّ المهجو دائم التنقل في نسبه ، وهذا الإنتقال يكون بين الموالي لكنه ذيل هذا الخبر بعنصر معجمي - للموضوعية في نقل الأخبار والروايات - وهذا العنصر هو " أحيانا " وهذا المكون المعجمي يدل على تضعيف قوة المنطوق بمعنى آخر كي لا يتوهم السامع أو المتلقي إنّ استمرار الهيثم بن عدي في التنقل بين الأنساب لم يك في الموالي فقط بل ينتسب الى العرب أحيانا . وادعاؤه النسب العربي قياسا بإدعائه النسب غير العربي يقتصر على أوقات قليلة أو محددة وليس دائما ، ومن ثم فإنّ هذه الأخبار في هذا المقطع تنسجم مع مبدأ كرايس ، كن صادقا . وقد تستعمل وسائل أخرى للدلالة على الجواز أو الإحتمال نحو " رُبّ " وقد تجتمع الوسيلتان في

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣٤٢

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٨٩

في منطوق واحد كقول أبي نواس في ثيمة غزل الطيف :[١]

يا عاشقينِ اصطلحا في الكرى وأصبحا غضبى وغضبانا

كذلكَ الأحلامُ غـــــــــدّارةٌ وربّما تصدقُ أحيـــــانـــا

في سياق الغزل وجه أبو نواس خطابه الى جنان متعجبا من اصطلاح حال العاشقين في النوم وهجرهما في اليقظة ثم يفضي القول بعد ذلك الى اصدار حكم عام على تلك الأحلام بالغدر، بل على كل الأحلام ، لكنّه في الشطر الثاني يخفف الحكم على موضوع الأحلام ليستثني منها قسما قليلا ، وهذا الإستثناء على مستوى الكم والزمن مستثمرا اللفظتين " ربما، قليلا " بوصفهما وسيلتين تلطيفيتن للتخفيف من حكم الغدر المطلق على الأحلام أي أنّ هذا الحكم الإستثنائي التخفيفي كان موجها لإضعاف محتوى الكم .

(ت)- وسائل تركيبية : يضعف المخاطب قوة المنطوق الإنجازية باستعمال وسائل تركيبية مختلفة من تلك الوسائل على سبيل المثال الأسئلة التذيليية والعدول ، والأولى أكثر استعمالا لهذا الغرض في تداوليّة أفعال الكلام نظرا ؛ لأنّها مضعفات لأفعال الكلام غير المرحب بـــها .[٢] لقد وظف أبو نواس الإستفهام التذييلي في احدى مناجاته قائلا :[٣]

يا نفسُ كيف لطُفتِ للصبرِ حتّـى صبرتِ

ألستِ صاحبتي يو م ودّعونـــي ألســـــتِ

يا نفس ليتك منّـــي يوم الفـراق سـقطـت

إنّ البنية الإستفهامية التذييلية في قوله " ألستِ " في هذا الخطاب تؤدي وظيفة التنغيم

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٦٦٤

[٢]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣٤٣

[٣]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٢٧٤

الهابط ويظهر المتكلم لونا من عدم الجزم بصحة القضية المخبر عنها بوساطة الإستفهام ، وهذا نوع من أنواع إضعاف القوة الإنجازية . إنّ التعبير بالاسلوب الإستفهامي التذييلي المضمن معنى الإثبات يعني من جانب آخر أنّ المتكلم يحاول أنّ يوجه اهتمام المستمع الى شيء يستحسن فعله وهو نمط من أنماط تلطيف قوة المنطوق الانجازية . وأما العدول فهو تقنية أخرى للتلطيف في بعض السياقات الإتصالية كالعدول عن حال التكلم الى الغيبة ؛ وذلك في باب محاولة المتكلم أن يدرأ عن نفسه مسؤولية الحكم بصدق القضية التي يعبّر عنها ، ومن ذلك أيضا العدول عن بناء الفعل للمعلوم الى بنائه على مالم يسمّ فاعله .[١] من الصورة الاوّلى للعدول قول أبي نواس:[٢]

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهجُ الحقِّ لهُ واضحُ

السّياق التّداوليّ لهذا الخطاب هو سياق الندم والإعتراف بالخطيئة ، وبالرجوع الى ملف القصيدة يكشف لنا السّياق الخارجي أن المتكلم لم يقصد من " الفتى " إلا نفسه ، لكنه صاغ هذا التعبير بإسلوب العدول عن بناء الفعل للمعلوم الى بنائه على مالم يسم فاعله فالمتكلم عدل بالملفوظ " يأبى الفتى " بدلا من آبى ، ومثله في سياق آخر:[٣]

أتشتُمُ خيرَ ذي حَكَمِ بنِ سَـعْدِ لقد لاقيتَ داهيةً نـــــآدا

سببتُ إبن الحديج ، فسبَّ ظلّي لعمرُ أبيكَ لاستوفى وزادا

الفعل الكلامي المنجز بوساطة الإستفهام موجه الى مخاطب كشف المنتج عنه في البيت الثاني وهو إبن حديج و " خير ذي حكم بن سعد " هو أبو نواس ؛ لأنّه ينتسب الى بني حكم وهي احدى القبائل اليمانية ، وهذا العدول من صيغة الى أخرى تفسر في أحدى أبعادها تضعيف قوة المنطوق الانجازية .

---

(١)- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة: ٣٤٧

(٢) و (٣)- ديوانه ،محمّد أنيس مهرات : ٢٢٤ و٢٧٥

المبحث الثالث

الحدث الكلاميّ

إذا كانت التّداوليّة وهي التي تتزعم المنحى الوظيفي في اللسانيات تشكل الطرف النقيض للمنحى الشكلي الصوري بزعامة البنيوية وكل من انضم تحت عباءة الإتجاه الشكلي ، فإنّ الباحث يرصد جسورا ومفاهيما للتلاقي توفر دلالاتها مساحات متداخلة بين المنحيين ، ويمثل مفهوم الحدث الكلاميّ في التّداوليّة واحدا من تلك الجسور . إذ يصب كل من مفهوم البنية النصية الكبرى في البنيوية بوصفها متتالية من الوحدات اللغوية مع الحدث الكلامي بوصفها سلسلة أو متتالية من الأفعال الكلامية أو الإنجازية .

لقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في كثير من الأعمال التّداوليّة ، وفحواه أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري فهو يطمح الى أنّ يكون فعلا كلاميا ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا ومؤسساتيا ومن ثم انجاز شيء ما.[١]

ويعد الخطاب نفسه من جهة بمثابة حدث ، أي أنّ شيئا ما يحدث عندما يتكلم أحدنا وإن القول بأنّ الخطاب حدث ما ، يعني أولا قول أنّ الخطاب قد تحقق زمنيا وفي الحاضر في حين انّ نسق اللغة مضمر وخارج الزمن .[٢]

ليس الحدث وحده مميزا للسلوك الإنساني بل الحدث الإجتماعي بوجه خاص فالتفاعل الذي يحدث بأنّه سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين متزامنين أو غير متزامنين .[٣] ويرى فان دايك أنّه يجب النظر الى النص بوصفه فعلا

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، : ٥١ ــ ٥٢

[٢]- ينظر من النص الى الفعل ، بول ريكور، ترجمة محمّد برادة وحسّان بورقية ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م : ٧٩ ــ ٨٠

[٣]- ينظر علم النص : فان دايك : ١٢٨

للكلام أو بوصفه سلسلة من أفعال الكلام ، كما أنّه يرى أنّه من الممكن تحليل النص على أنّه متوالية من الجمل ويمكن النظر الى النص على أنّه فعل كلامي أكبر من أفعال اللســـــان .[١]

اما جورج يول فقد عرف الحدث الكلامي قائلا " هو مفهوم من المفاهيم التي تدور في فلك الفعل الكلامي ، وهو سلسلة من الأفعال الكلاميّة أو نشاط يظهر في التفاعلات الخطابية واللغوية بطريقة تواضعية تفضي الى نتيجة ما ويمكن أنّ يحتوي على فعل كلامي مركزي ، ولكن يمكن أيضا أن يحتوي على منطوقات تقود الى ردود أفعال متتابعة تبني الفعل المركزي " .[١] ويرتبط الحدث الكلامي بالتفاعل بين الأطراف التخاطبية الذي يفضي الى الكشف عن الفعل المركزي سواء صرح به أو كان مضمرا وتتضافر سلسلة الأفعال الكلاميّة الأخرى في انشائه . ولعل الحدث الكلامي هو الأقرب للتعبير عن الأعمال الأدبية بوصفها حدثاً ما ، ولهذا الحدث طاقة استيعاب الزمان والمكان من جهة ثم تجاوزهما من جهة أخرى .[٣]

وقد تظهر القيمة الإنجازية لهذا الحدث كما هو الشأن في الأعمال الوعظية القصصية التي تضطلع بدور الشاهد " الذي يكتسب قوته الإقناعية أي فاعليته التّداوليّة من خاصيته الحكائية " .[٤]

وقد تحتجب القوى الإنجازية للحدث الكلامي الى حين وجود قارئ يكفل ظهور جزء من

---

[١]- ينظر م . ن : ٢٣١

[٢]- التّداوليّة : ١٥٧

[٣]- ينظر تداوليّة النص الشعري جمهرة أشعار العرب إنموذجا : ١٥٨

[٤]- الإستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، محمّد الولي ، منشورات دار الأمان ، الرباط – المغرب ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م : ٤١٧ نقلا عن تداوليّة النص الشعري : ١٥٨

القوة ، إنّ ظهور القارئ وفعله ما يسمى بالفعل التأثيري وبهذا يصبح الحدث الكلامي الإبداعي هو الفضاء الذي يتيح ظهور أهمية الفعل التأثيري في الحقل التّداوليّ إذ أنّ ظهور قوة الفعل الإنجازي متوقفة على حدوث الفعل التأثيري .[١] وفي كتابه المعروف " النص والسياق " عني فان دايك بتطوير أفعال الكلام عن طريق توجيهها من مجال الجملة أو المنطوق عند مؤسسها جون أوستين الى طريق النص ، وكان من أهم ما صنعه في ذلك الكتاب تحليله الذي سمّاه " أفعال الكلام الكبرى " الفعل الكلامي الأكبر عند فان دايك هو فعل الكلام الإجمالي الذي يؤدي منطوق الخطاب الكلي والذي ينجزه سلسلة من أفعال الكلام المختلفة . وأنتهى فان دايك هنا الى أنّ سلسلة الأفعال الكلاميذة تفسر بأنّها فعل كلّ واحد إذا كانت تشير الى مقصد اجمالي واحد ويمكن لهذا الفعل الكلامي – على مستوى أعلى – أن يكون بدوره شرطا أو نتيجة لأفعال كلاميّة أخرى . وأطلق على دراسة التنظيم الكلي للتفاعل الإتصالي أي التنظيم الكلي لمتواليات الأفعال الكلاميّة والسياقات وعلاقتها ببنية الخطاب اسم " التّداوليّة الكبرى " .[٢]

لقد ركز فان دايك على براغماتية الخطاب وليس الجملة المنفصلة على أنّ الخطاب مجموعة متتابعة من الأفعال الكلاميّة ، فعندما يكون فعلان كلاميان مترابطين فإنّ فـ١ يكون شرطا ممكنا لتحقيق فـ٢ وكذلك يتم ربط القضايا المتتابعة بالقضية الكبرى ، أي ربط الأفعال الكلاميّة المتتابعة بالأفعال الكلامية الشاملة .[٣]

وسنتناول فيما يأتي نماذج تحليلية لتوضيح سلسلة الأفعال الإنجازية والحدث الكلامي . قال أبو نواس في قصيدته الموسومة ب " عند سابا " :[٤]

---

[١]- ينظر تداوليّة النص الشعري جمهرة أشعار العرب إنموذجا : ١٥٩

[٢]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٣٠٩

[٣]- ينظر النقد النصي : ٢٣٩

[٤]- ديوانه ، الغزّاليّ : ١٢٤- ١٢٥

١- وأحورَ ذميّ ، طـرقتُ فنـــــاءه بفتيان صـدقٍ ما ترى منهم نُكـــرا

٢-فلما قرعنا بابه هـــــبّ خـــــائفا وبادر نحو البابِ ، ممــتلئا ذُعـــرا

٣-وقال :" مَن الطّراقُ ليلا فنـــاءنا ؟ " فقلت له :" افتح، فتيةٌ طلبوا خـمرا"

٤-فأطلق عن أبوابه غـير هائـــــب واطلعَ من أزراره قمراً بـــــــدرا

٥-ومرّ أمــام القوم يســـــحب ذيــلهُ يجاذب منه الرِّدف في مشيه الخطرا

٦-فقلتُ له"ما الاسم حُييتَ؟" قال لـــي " دعاني أبي سابا ولقّبني شمـــــرا"

٧-فكدنا جميعا من حـــلاوة لفـــظـــه نُجنُّ ، ولم نســطع لمنطقه صــبرا

٨-فقلت له :" جئناك نبتـــاعُ قهـــــوةً معتّقةً قد أنفــدت قيمـــا دهـــــرا"

٩-فقال" اربعوا عندي التي تطلبونـــها قد احتجبت في خدرها حقبا عشرا "

١٠-فقلتُ " فماذا مهرها " قال" مهرها إليك " فسقنا نحوه خمـــسةً صُـــفرا

١١-فقلت له "خُـــذها وهاتِ نُعاطِـــها" فقام إليها قـــد تمـــلي بنا بِشْـــــرا

١٢-فشكّ بإشفاء له بطـن مُسْـــــــندٍ فســالتْ تحاكـــي في تلألُؤها البـدرا

١٣-وجاء بها والليـلُ مُلقٍ سُدولَـــــه مُدلاً بأنْ وافى محـــــيطاً بها خُـــبرا

١٤-ربيبة خدرٍ راضها الخِدرُ أعصراً فكانتْ له قلباً ، وكان لـــــه صـــدرا

١٥-إذا أخـــذتها الكأسُ كادت بريحها تخال بها عطرا وما إن تـرى عطرا

١٦-وما زال يسقينا،ويشـــربٌ دائبـــا الى أن تَغَنّى حين مالت بـــه سكـــرا

١٧-" فما ظبيةٌ ترعى مساقطَ روضةٍ كسا الواكفُ الغادي لها ورقاً خُضْـرا

١٨-بأحسن منه منظـرا زان مختـبرا بل الظّبيُ منه شابه الجـيد والنحرا.."

١٩-فيا حُسـنُه لحناً بدا من لســانِهِ ويا حُسنُه لحظاً، ويا حُـــــسنُه ثَغرْا

٢٠-ونام ، وما يدري أأرضُ وســـــاده توسّـد سكـرا أم وسـادا رأى جهرا

٢١-فقمنا إليه حيـــــــن نامَ ، وأُرعَدتْ فـرائصُـــــهُ تجـري بميدانه ضُمرا

٢٢- فلما رأى أن ليس عن ذلك مخلصٌ ووافقه ليــن أجاد لنا العَـــــــصرا

يستهل الشاعر قوله بتوجيه الخطاب الى ذات محددة هو " الأحور الذميّ " ثم تتوالى سلسلة من الأفعال الإنجازية من قبيل " طرقت فناءه ، قرعنا بابه ، هب خائفا ، بادر نحو الباب " لتشكل مقدمة متصدّرا الحوار بين أبي نواس وبين الأحور الذميّ بالشكل الآتي :

- الذميّ: من الطراق ليلاً
- أبو نواس : افتح ، فتية طلبوا الخمرا
- أبو نواس : ما الاسم حييت ؟
- الذميّ : دعاني أبي سابا ولقّبني شمرا
- أبو نواس : جئناك نبتاع قهوة
- الذميّ : أربعوا عندي
- أبو نواس : فماذا مهرها
- الذميّ : مهرها إليك
- أبو نواس : خذها وهات نعاطها

بعد التأمل في هذه القصيدة يمكننا رصد الملاحظات والعلاقات الآتية :

١-تهيمن على بنية الحوار الثنائيات المترابطة أو المتاخمة(*) من نمطي سؤال \ إجابة ، وطلب \ موافقة ويمكن توضيح ذلك بالجدول الآتي :

"المترابطة أو المتاخمة : مصطلح يطلق على ثنائيات الفعل الكلامي التي تترابط ثنائيا" علم النص : فان دايك :٣٨٩

نمط سؤال \ إجابة نمط طلب \ موافقة

أ- من الطراق ليلا ؟ (سؤال) أ- جئناك نبتاع قهوة مُعتّقة. (طلب)

افتح فتية طلبوا خمرا. (إجابة) - أربعوا عندي . (موافقة)

ب-ما الاسم حييت ؟ (سؤال) ب- خذها وهات نعاطها (طلب)

دعاني والدي سابا .. (إجابة) - فقام إليها . (موافقة)

ت-فماذا مهرها ؟ (سؤال)

مهرها إليك . (إجابة)

٢-إنّ جميع الأفعال الكلاميّة المنطوقة آلت الى الإنجاز والنجاح والموافقة ؛ وذلك لتوافر العوامل التي يتألف منها السّياق التّداوليّ ، ومن ذلك أن المتكلم – أبا نواس- راغب في طلب هو مريد له كون الشرب من الأشياء المفضلة في حياة أبي نواس ؛ ولأنّ المخاطب – الأحور الذميّ – مستعد لتنفيذ طلب أبي نواس وتقديم الشراب له ، وجاء هذا الإستعداد وتلك القدرة على التنفيذ مصرّحا به في قول الشاعر : " وما زال يَسقينا ويشرب دائبا " .

٣-علاقة التمهيد ، وهي العلاقة التي تحكم الإفعال الإنجازية الآتية " طرقتُ فناءُهُ ، قرعنا بابه "، بادر نحو الباب " وبين " هب خائفا ، ممتلئا ذعرا " بوصفها سلسلة أولى وبين الأفعال الإنجازية كالسؤال في قوله " مَن الطّراق ؟ ، ما الاسم حييت ؟ " وبين متتالية أفعال الكلاميّة من قبيل " أفتح ، فتية طلبوا الخمرا " و" قال لي : دعاني أبي سابا ولقبني شمرا ".

٤-علاقة الإيجاب والإيقاع : بين الإفعال الإنجازية الآتية : " جئناك نبتاع قهوة ، أربعوا عندي ، فماذا مهرها ، فسقنا نحوها خمسة صفرا ، خذها وهات نعاطها " وبين متتالية أفعال الكلام كما في " فشك بإشفاء له بطن ، فسالت تحاكي" فالعلاقة التي تحكم هذا الإرتباط هي علاقة العقود في البيع والشراء

٥-العلاقة التأثيرية المتولدة بوساطة الربط بين الجمل " ومازال يسقينا " و " يشرب دائما " و " الى أن تغنى حين مالت به سكرا " وبين الجمل الآتية " فيا حسنه لحنا بدا من لسانه ، ويا حسنه لحظا ، ويا حسنه ثغرا " بمعنى أنّ العلاقة أو الوظيفة التأثيرية التي تحكم هذا الإرتباط بين سلسلة الإفعال الكلاميّة " يسقينا ، يشرب ، يغني " وبين فعل التعجب المتولّد من حسن الغناء ، وحسن المنظر، وحسن الثغر .

إنّ هذا الإعجاب بوصفه فعلا سلوكيا كان بسبب الغناء الجميل ، ومن ثم يتفق الباحث مع ما ذهب اليه فان دايك بأنّه " يمكننا بوجه عام أنْ نجعل أحد الأفعال الكلاميّة معقولا أو ممكن التصديق بواسطة فعل آخر " .[١]

هذه الحوارية تقوم على أفعال كلاميّة متنوعة لكلا المشاركين من السؤال " من الطراق ليلا ؟ " ، " ما الاسم ؟ " ، " فماذا مهرها ؟ " والتحية " حُييت " والطلب " افتح فتية طلبوا الخمرا " ، " أربعوا عندي " ، " خذها وهات نعاطها " ، والإثبات من ذلك " دعاني أبي سابا ..." ، " جئناك نبتاع خمرا " ، " مهرها إليك " ، " فقام اليك ..." والإفتراضات المترشحة نحو قوله : " مهرها إليك " يفترض مسبقا أنّ أبا نواس على علم ومعرفة بأسعار الخمور الجيدة ، والحوار كلها تلخص بطلب شرب الخمر ، ومن ثم تؤول بوجه عام على أنّها اثبات وتقرير على تعاطي أبي نواس الشرب .

وعليه فإنّ فعل الكلام الذي ينجز بواسطة متوالية من الافعال الكلامية يطلق عليه الفعل الشامل .[٢] أي أن شرب الخمر هو الفعل الشامل من هذه المتوالية من الافعال الكلامية .

---

[١]- النص بناؤه ووظائفه مقدمة أولية لعلم النص : فان دايك ، ترجمة جورج أبي صالح ، مجلة العرب والفكر العالمي ، مركز الإنماء القومي ، ع ٥ ،شتاء ١٩٨٩: ٧٠

[٢]- ينظر النص والسياق : ٢٩٥

ومن الحواريات النواسيّة التي تتجلى فيها الأفعال الإنجازية والحدث الكلامي قوله :[١]

فدتك نفسي يا أبا جعفرِ ... جاريةٌ كالقمرِ الأزهرِ

تعلّقتني وتعلّقتها ... طفلين في المهد الى المحشرِ

كنتُ وكانت نتهادى الهوى ... بخاتمينا غير مستنكرِ

حبستَ لي الخاتم منيّ وقد ... سلبتني إياه مُذْ أشهرِ

فأرسلتْ فيه فغالطتها ... بخاتمٍ من فضةٍ أخضرِ

قالتْ : لقد كان لنا خاتمٌ ... أحمرُ يهديه إلينا سري

لكنّهُ عُلِّق غيري، فقد ... أهدى لها الخاتمَ ، لا أمتري

كفرتُ باللهِ وآياتهِ ... إن أنا لم أهجُره فليبُصرِ

أو بات بالمخرج من تهمتي ... إيّاهُ في خاتمِهِ الأحمرِ

فارددهُ تردد وصلَها إنَّها ... قرّةُ عيني ، يا أبا جعفرِ

فإنّني متّهم عندها ... وأنت قد تعلمُ أنّي بري

أنجزت هذه الحوارية فعلا كلاميّا شاملا هو التوسل لإرجاع الخاتم بوساطة متوالية من الأفعال الكلاميّة تظهر فيها :-

المقدمة الوضعية البدئية (الأبيات ١-٣) ، وإلحاق الضرر بالشاعر (ب ٤) ، والخديعة (ب ٥) ، واكتشاف الخديعة أو الضرر (ب ٦)، والوعيد (ب ٨)، والمهمة الصعبة (ب ٩) ، ثم طلب النجدة والمساعدة (ب١٠) ، وأخيرا الإثبات والتقرير (١١)، كل هذه الوظائف ترد

---

[١]- ديوانه الغزاليّ : ٢٧٦

إلى وظيفة التوسل أو كما يعبر عنه فان دايك الفعل الكلامي الذي أنجزه سلسلة من افعال الكلام المختلفة .[١]

إنّ مطالبة الشاعر باسترداد الخاتم المسلوب يشكل شرطا أو نتيجة لعودة العلاقة بين أبي نواس وحبيبته ، كون الخاتم يمثل رمز البقاء على المودة والإخلاص ومن ثم فإنّ هذا التنظيم الكلي للتفاعل الإتصالي لمتواليات الأفعال الكلاميّة والسياقات وعلاقاتها ببنية الخطاب يعرف بالتّداوليّة الكبرى .[٢]

ومن زاوية أخرى يمكن قراءة هذه القصيدة أو الجزء الأكبر منها على أنّها لون من النفاق الإجتماعي غير المعلن من خلال التمطيط في الكلام والسلوك الأدبي لغرض استرداد الخاتم المسلوب ، ويطلق فان دايك على هكذا فعل كلامي بالطلب المعقد .[٣]

ويلاحظ على بنية المحادثة أنّها تخضع لقواعد عرفية ويظهر ذلك في التناوب الآتي :

فأرسلتْ فيهِ فغالطتُــها بخاتمٍ من فضـــــةِ أخضرِ

قالت: لقد كان لنا خاتمُ أحمرُ يهديه إلينـــــا سري

لكنّهُ عُلِّقَ غيري، فقــد أهدى لها الخاتم لا أمتري

طلب الحبيبة استرجاع الخاتم بوصفه حدثا أو صيغة فعل أفضت الى حدث المغالطة بخاتم فضة فصه أخضر من أبي نواس بوصفه حدثا تلقي الجواب ، لكن نتج عن هذا الجواب الرفض بوصفه فعلا تأثيريا ، كما هو واضح من قولها " لقد كان لنا خاتم أحمر ...لكنه علق غيري " يعني هذا إنّ المتفاعلين في بنية القصص الشعري يقومون بدفع حركة الاحداث الى الأمام . إنّ القارئ لشروح ديوان أبي نواس يجد بيُسرٍ وسهولة إنّ بعض

---

[١]- ينظر النص والسياق : ٢١٥

[٢] - ينظر م . ن ٢١٥

[٣]- ينظر م . ن : ٣١٩

شرّاح ديوانه قد وضعوا عناوين لقصائده أو مقطوعاته ، وهذه العناوين هي في الواقع موضوعات النص أو القضايا الكبرى . فعلى سبيل المثال نجد اختلافا بين الشُّراح في عنوان القصيدة السابقة إذ أختار غريغور شولر المنطوق " فدتك نفسي يا أبا جعفر" وهو الشطر الأوّل من المطلع عنوانا للقصيدة .[١] بينما أجمل الغزاليّ القصيد تحت عنوان " قصة خاتم " .[٢] وأرتأى علي فاعور في شرحه لديوان أبي نواس وضع ثنائية " متهم بريء " البنية الدلالية الكبرى أو المعنى المستخلص من النص .[٣]

وهذا التباين في العنوانات أشار اليه فان دايك بقوله : " إنّ البنى قد تختلف جزئيا من شخص الى آخر ، فالقُّراء سيختارون من نص معين عناصر مهمة مختلفة باختلاف معارفهم واهتماماتهم وأعمالهم وآرائهم ، وعليه فإن البنية الكبرى قد تتغير من شخص الى آخر إلا أنّ هذا التغير سيجد توافقا نسبيا في مستوى التفسير الإجمالي لأحد النصوص بين مستعملي اللغة .[٤]

في ضوء معالجة النصوص بوصفها سلسلة أفعال كلاميّة في اطار الحدث الكلامي كونه نسقا تداوليّا ، تتجلى أنماط من تلك الأفعال وفق معيار النوع من ذلك قول أبي نواس في باب الغزل بالمذكر :[٥]

وأبيضَ مثلَ البدرِ دارةَ وجههِ له كَفَلٌ رابٍ به يترجَّـــــحُ

---

[١]- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي ، تحقيق غريغور شولر ، جمعية المستشرقين الإلمانية ، دار المدى ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م : ٤ \ ٨٨

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٢٧٦

[٣]- ديوان أبي نواس ، شرحه وضبطه وقدّم له الأستاذ عليّ فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م : ٢٣٩

[٤]- ينظر : النص بناؤه ووظائفه . فان دايك : ٦٤

[٥]- ديوانه الغزاليّ : ٣٥٢

أغنٌّ خماسيٌّ، لما أنتَ طالــبٌ ... مــن اللـــهو فيه واللـــذاذة يصلحُ

تقنّصني لمّا بدا لي سانـــــحاً ... كما مرّ ظبيٌّ بالمفـازة يســـــنحُ

فأمكنني طوعا عِنانُ قيـــاده ... فقد خلتُ ظبيا واقفا ليس يـــبرحُ

فقلتُ له زرني فديتـــك زورةً ... أقرُّ بها ما شـــئتُ عينا وأفـــرحُ

فقالض بوجهٍ مُشرقٍ مُتبَـــسمٍ ... وقد كدتُ أقضي للهوى : أنتَ تمـزحُ

تقدّمْ لنا، لا يعرفُ الناسُ حالنـا ... وأقبلَ في تَخـــطارِه يترنـــحُ

فجئتُ الى صحبي بظبيٍّ مُفتّقٍ ... فلمّـا تراءوا ضوءَ خدّيه سبّـــحوا

فقلتُ لهم، لا تُعجلوهُ فإنّـــما ... علامتُنا عند الفراغِ التّنحـــــنحُ

في هذا النموذج الحواري تتهيكل متتالية الأفعال الكلاميّة بنائيا بالنحو الآتي :

١-شكّل البيتان (١-٢) الأفعال التمهيدية بوصفها ممهدة أو مقدمة للفعل الإنجازي الأكبر ، وفي هذا القسم رسم لنا المنتج البعد الجسمي للغلام من اللون " ابيض" وشكل الوجه " دارة وجهه" والإمتلاء " له كفل راب " وجمالية الصوت " أغن " والقامة " خماسي" وقد وظّف أبو نواس في قوله " وأبيض مثل دارة البدر وجهه " الإستراتيجية المباشرة في التعبير عن قصده ؛ لأنّه صرّح بوجه الشبه " دارة وجهه " بين طرفي التشبيه ومن ثم انتفى التلميح للتعبير عن قصده الصريح .

ومن أجل بناء السّياق الطلبي فإن على الشاعر التأكد ما إذا كان الغلام يستجيب ايجابيا لموضوع الطلب الفعل المشترك الجزء التمهيدي من الحوار اتصفت صيغة الطلب فيه باللطف نحو قوله " زرني فدتك " وبثّ روح الإطمئان في المخاطب وهذا واضح في " تقدّم لنا لا يعرف الناس حالنا " .

٢-يؤدي الملفوظ " فأمكنني طوعا عنان قياده " في بنية الخطاب وظيفة الفعل المساعد .

والفعل المساعد " هو كل فعل تقصد نتيجته شرطاً كافياً لنجاح فعل رئيس " .[١] فلولا رغبة الغلام وإرادته في الإستسلام لغرض أبي نواس لم تتحقق نية أبي نواس في الوصول لمبتغاه . كما أدى عمل أبي نواس في المجيء بالغلام الى أصحابه وظيفة الفعل المساعدة ؛ لأنّ الإتيان بالغلمان من أجل الممارسة يعد فعلا مساعدا حينما أنجزه الشاعر لأصحابه ، مع أنّ الأصحاب هم الذين يمارسون .

٣-تؤلف الإفعال الإنجازية في نموذج الحوار السابق نحو : " زرني فديتك زورة ، تقدّم لنا ، فجئت الى صحبي ، لا تعجلوه " الفعل الكلامي المركب أو الحدث المركب لفعل الشذوذ الجنسي ، كما هذا الحدث " يتكون من عدة أحداث تنتظم مستقيمة الاتجاه ، إلا أنّها تدرك أو تصور كحدث واحد في مستوى معين من الوصف " .[٢]

إنّ تلك الأفعال الإنجازية ورغبة الغلام في الإستجابة كلها تتجه بخط مستقيم الى الفعل الإنجازي غير المباشر والشامل ، كما تلوح عبارة " واللذاذة يصلح " الى نتيجة مخططة سلفا ، ثم تأتي الوحدات اللغوية لمتوالية الأفعال المتعاقبة زمانيا لتصوير المشهد الكلي للحدث المركزي أو الفعل الأكبر .

تعدد أغراض القصيدة وانجاز الفعل الواحد :

تعددت سنن التأثير والإستجابة في قصائد المديح وتكونت منظومة من المعايير حددتها المدونة النقدية العربية ؛ لأنّ المرسل لم يكن يمتلك الحرية المطلقة في انتاج الخطاب الشعري ، وهذا ما صدح به أبو نواس في قوله :[٣]

أَعِرْ شِعْرك الأطلالَ والمنزَل القَفَرا فقد طالما أزرى به نعتُكَ الخَمرا

دعاني الى نعتِ الطلولِ مســـــلَّطُ تضيقُ ذراعي أن أرُدّ لهُ أمـــرا

---

(١)-و(٢)- النص والسياق : ٢٤٠

(٣)- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٢٩٣

فســــــــمعاً أميرَ المؤمنين وطاعةً وإن كنتَ قد جشمتني مركباً وعـرا

وترى د. شيتر رحيمة وجوب تجاوز الطرح القائل بتعددية أغراض القصيد وتقسيمها الى لوحات أو أجزاء أو أقسام ، وعدّ القصيدة حدثا كلاميا يتشكل من فعل كلامي نواة أو بؤرة يتم انجاز هذه البؤرة عن طريق انجاز أفعال كلاميّة أخرى تربطها علاقة ما به .[١]

وسنتناول نموذجا صرّح في ملفه السياقي بالفعل البؤرة ، قال أبو نواس يمدح هارون الرشيد :[٢]

١- لقد طالَ في رسمِ الديار بكائي وقد طال ترادادي بها وعنائي
٢- كأنّي مُريغٌ في الديار طريــدةً أراها أمامي مرةً ، ووراءي

يبدأ المرسل بتوجيه الخطاب الى مستمع مفترض أو حقيقي حاضر ، موضوعه قضية الإخبار عن طول بكاء وطول البقاء والعناء في الديار ، ويشبه فعل التردد على الديار بفعل الصيّاد المطارد لفريسته .

أما قوله " أراها أمامي مرة ، ووراءي فالدلالة الإستلزامية لهذا التلفظ هي عدم تمكن الشاعر من الإمساك بطريدته ، بمعنى ثانٍ أنّ قصد المتكلم في سياقه التّداوليّ هو أنّ البكاء على الأطلال وما يقاسيه المترددون عليه من شقاء وعناء هو خيال أو وهم ، ومن ثم يستشف من الفعل الكلامي غير المباشر أنّ أبا نواس لا يخاطب فردا معينا إنّما الخطاب موجه الى تلك الشريحة التي تطرب الى اسلوب القدماء في المديح ، المتشبثون بالتقاليد البالية ، ويبدو أنّ عقلية هارون الرشيد لا تزال مع تلك الشريحة وعليه فإنّ الشاعر يدين الخليفة بصورة غير مباشرة بالرغم من رغبته في التجديد وفعله له كما سيتضح ذلك لاحقا . لقد أنجز أبو نواس في البيتين الأوّل والثاني فعلا كلاميّا تأكيديا بوساطة ادخال الأداة (قد) على الفعل(طال) ومن خلال إنّ المؤكدة في (كأنّي) وهذا الفعل الإنجازي التأكيدي

---

[١]- ينظر تداولّيّة النص الشعري جمهرة أشعار العرب إنموذجا : ١٦٣

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ :٤٠٢

بلغة سيرل فعل كلامي مندرج ضمن التقريريات وغرض هذا الصنف هو التقرير أو بعبارة أخرى ادراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به ، والفرق بين التوكيد والخبر العادي يتمثل بمعايير سيرل في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول .[1] وصياغة هذا القسم من الخطاب في سلسلة من التأكيدات سلوك يحتاج الى تأويل .

إنّ تصدير الجملة الفعلية بأداة توكيد يفترض مسبقا وجود مستمع يشكك بآراء الشاعر في قضية الجدوى من الوقوف على الأطلال وبكاء الرسوم والديار فجاءت هذه التأكيدات لإزالة هذا الشك أولا ، ولحمل المستمع أو المتلقي على الإيمان بأنّ نتيجة هذه المعاناة ، وذلك الوقوف هو اليأس من مبدأ ارجاع القديم الى قدمه ، والمحافظة على التقاليد دون الإلتفات الى التحولات والتغيّرات في الحياة .

إذن على الأطراف المتخاطبة الإيمان بمبدأ التطور والتحول . ومن منظور مبدأ المخالفة يفضي الخطاب الشعري " لقد طال في رسم الديار بكائي " و " وقد طال الى مجموعة من التقريرات منها :

-لو لم يطل بكائي وترادادي في رسم الديار لم أعش في الوهم والخيال .

-إنّ العيش في دائرة مفرغة تؤول الى اليأس والإحباط ، ومن ثم خرج اسلوب التوكيد عن معناه الحقيقي لأداء أغراض بلاغية أخرى منها رفض الواقع الراهن وكسر القيود .

-تتعاضد هذه الإحتمالات لبناء فعل كلامي تقريري غير مباشر ؛ لأنّ المتلقي يفهم من التقريرات أنّ الشاعر متمسك بالحياة الى درجة كبيرة .

يلحظ الفعل الإنجازي التوكيدي تحقق تركيبيا على مستويين، الأوّل - أفقي : من ذلك تكرار أداة التأكيد (قد) الداخلة على الفعل الماضي . والثاني - عمودي : بوساطة إنّ التوكيدية المتصدرة ب (كاف) التشبيه لتقوية قوة الفعل الانجازي بعد (قد) اتحقيقية . كما

---

[1]- ينظر التّداوليّة عند العلماء العرب : ٢٠٧ ــ ٢٠٨

تجلّت تلك الدلالة التأكيدية صوتيا من خلال التصريع بوصفه بعدا من أبعاد الموسيقى الداخلية بخلقه تكرارا ايقاعيا بين لفظتي (بكائي ، عنائي) ، وتمددت صورة التأكيد ايقاعيا على الخطاب ، لكنّ وفق المحور العمودي كما هو واضح في (عنائي ، ورائي، عزائي...الخ) . لقد تولّد من فعلي البكاء والعناء عند الشاعر فعلا تأثيريا هو اليأس والعزاء لينسل من خلالهما أبو نواس وبشكل حجاجي من قسم الطلل الى الخمر كما في قوله :[١]

فلمّا بدّا لي اليأسُ عَدّيتُ ناقتي عن الدّار، واستولى عليّ عزائي

يشكل هذا البيت محطة فاصلة ولاسيّما عبارة " عدّيتُ ناقتي عن الدّار" بين الطلل والخمر. والملاحظ أنّ المنتج ينتقل سريعا بين المحطتين ، وكأنّه يوظّف تقنية الحذف في القص لتسريع زمن السرد . ويرى الباحث أنّ هذه النقلة السريعة تفضي لإنجاز قصد تواصلي هو عدم الإكتراث بقسم الرحلة ووصف الناقة والدافع من عدم الإكتراث هذا مرتبط بالسّياق الخارجي للخطاب ، فقد جاء في تاريخ الطبري أنّ البيعة أُخذت للقاسم بولاية العهد بعد أخويه محمد الأمين وعبدالله المأمون وسُميّ المؤتمن وذلك بمدينة السّلام بغداد يوم السبت في ١١رجب سنة ١٨٨ هـ فقال أبو نواس قصيدته هذه .[٢]

يتضح من خلال ملف القصيدة اصدار أمر بتعيين الإبن الثالث لهارون الرشيد وليا للعهد في بغداد – وكان الشاعر وقتذاك في بغداد أيضا - ومن ثم فإنّ هذا السلوك تضمن فعلا كلاميّا غير مباشر يتحدد بالسرعة وانتفاء الحاجة لوسائل النقل الضرورية للمسافات الطويلة ، ومنها الناقة بوصفها إحدى أشهر تلك الوسائل ، وفي ضوء هذا نجد أبا نواس يوظّف هذا التقليد الشعري في نصوصه استعمال حاجة لا إستعمال تقليد ، وأراه في هذه القصيدة قد وظّف التقنية التوليفية في

---

[١]- م . ن : والصفحة نفسها

[٢]- ينظر تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمّد بن جرير (- ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، سلسلة ذخائر العرب (٣٠) ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ م : ١٠ \ ٩٦

الخطاب المدحي من خلال التوفيق بين فعل التقليد إرضاءً لذائقة الممدوحين لاسيما من هو في منصب الخليفة العبّاسي وخضوعا للتوجه العام لمتذوقي عصره من جانب ، وفعل التجديد تعضيدا لمنظوره في اكساء القصيدة حُلتها الجديدة تماشيا مع متطلبات التحول والتغيير ولتأتي هذه النقلة السريعة في بيت الرحلة تعبيرا عن رغبته في الحياة ، ومن ثم يشكل هذا الفعل الإنجازي جزئية ترفد الحدث الكلامي وتعززه دلالة وتأويلا في سياقه التّداوليّ الخاص . وفي سياق متصل يعد بيت الرحلة بنية للخروج أو التخلص والإنقطاع بوصفه قسما من أقسام بناء قصيدة المديح . وقد وضح بعض الباحثين عملية الإنقطاع في الشعر قائلا " يحدث الإنقطاع في الشعر القديم في القصائد التي تسود أحداثا ، إذ تقوم هذه القصائد على التناوب بين القص والوصف ، الحركة والسكون اللذين يجتمعان أحيانا ليكونا ما يعرف بالصورة السردية ".[١]

مع انتهاء بيت الرحلة يبدأ قسم الخمر ، وأوّل ما يميز هذا القسم هو التضاد بينه وبين المحطتين السابقتين ؛ لأنّ الشاعر في المحطة الاوّلى يرفض الطلل ورسوم الديار ويغادرها بناقة بسبب اليأس المهيمن عليه الى رغبة شديدة في الحياة استنادا الى مبدأ اللذة بالخمر والنساء ، ولكن ما العلاقة بين الأفعال الكلاميّة المتتالية التي تشكل مجموعها وحدة أو قسم الطلل وبين الفعلين الإنجازيين في بيت الرحلة ، وبين قسم أو لوحة الخمر ، وقبل ذلك كلّه لنقرأ قول أبي نواس في قسم الخمرة :[٢]

الى بيتِ حـــــــانٍ لا تهِرُّ كـــلابـُـــهُ ... عليَّ، ولا يُنِكرنَ طولَ ثَوائي

فإنّ تكنِ الصّـــهباءُ أودتْ بتـــالـــــدي ... فلم تُوقني أكرومَتي وحَيائِـي

فما رُمْتـــه حتـــى أتى دوم ما حـــوت ... يميني حتى ريطتي وحذائـي

---

[١]- قراءآت في الأدب والنقد ، دراسة : د. شجاع مسلم العاني ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩: ١٣

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٤٠٢

وكــأسٍ كمصــباحِ الســـَماء شربتُــها على قُبلةٍ أو موعـــــدٍ بلقاءِ

أتتْ دونـَــها الأيّــامُ حتـــى كأنّـــها تَساقطُ نورٍ من فتُوقِ سماءِ

ترى ضوءها من ظاهرِ الكأسِ سَاطِعا عليكَ وإنْ غطّيـــتها بغطاءِ

لا شك أنّ قسم الخمر يشكل متتالية أفعال الكلام فيه بنية صغرى ، وترتبط هذه الأخيرة مع البنيات الأخرى في الخطاب بعلاقات معينة تؤول الى حدث كلامي أو التّداوليّة الكبرى بوصفها دراسة التنظيم الكلي للتفاعل الإتصالي أي التنظيم الكلي لمتواليات الأفعال الكلاميّة والسّياقات وعلاقتها ببنية الخطاب .[١] ولعل ما يشد الإنتباه بين لوحتي الطلل والخمر الثنائيات التضادية فيهما ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي :

(قسم الطلل) الدار فيه يأس ----- في الديار حيوانات وحشية هاربة (طريدة) ----يستولي على الشاعر العناء ------ المكان غير مألوف ----- القِدم في الديار علامة سلبية -------- قوله " أراها أمامي مرة وورائي " القصد من هذا التعبير عدم التمكن من الرؤية .

(قسم الخمر) بيت فيه حنان ---- في البيت حيوانات (كلاب) أليفة -------- يستولي على الشاعر السَّعادة ---- المكان مألوف ---- القشدم في الخمرة علامة للجودة -----الرؤية في الخمر أو كأس الخمرة واضحة وقوية . هذه الثنائيات الضدية تساعدنا في البحث عن الفعل الكلامي المنجز من خلال التصوير القائم على الوصف والقص . إذ يبدأ الشاعر في قسم الخمر تأشيرية دالة على المكان وهي قوله " الى بيت حان " ويكشف الفعلان المنفيان في قوله " لا يهرّ كلابه " و " لا ينكرن طول ثوائي " قصدية الشاعر في اتخاذ قرار ترك الديار والإنتقال الى بيت حانٍ كونه فعلا انجازيا يعنى بإظهار سلوك المتكلم ورغبته لما يوفره هذا البيت من أجواء السّعادة والفرح والألفة ؛ لأنّ قوله " لا تهرُّ كلابه " تعبير كنائّي يقتضي أنّ الشاعر معروف في هذا البيت ، بل يعد فردا من أفراده لطول الإقامة فيه .

---

[١]- ينظر النص والسياق : ٣٠٩

ثم يربط المتكلم فعل القرار في البيت السابق بفعل الإفصاح والإعتراف ، أي الإعتراف بأنّ الخمرة أتلفت ميراثه . أما الفعل الإنجازي المتلفظ في قوله " حتى ريطتي وحذائي " فالدلالة الحرفية لها أنّه خسر كل شيء حتى الملاءة والحذاء والدلالة الضمنية لهذا التعبير تنصرف الى فعل الإسراف والتبذير في الأموال ثم يلي ذلك وصف الكأس بمصباح السماء لشدة لمعانها . أما الملفوظ " أتت دونه الأيام " فالقصد التواصلي للمنتج هو أنّه خمرة معتّقة أي عالية الجودة ، وقد صاحب فعل الشرب المصرّح به في قوله " شربتها " قبلة ، والعبارة الأخيرة " موعد بلقاء " يومئ الى رغبة الشاعر في الإتصال البايولوجي .

من التشظيات الدلالية للصبهاء هي أنّها رمز للحياة والتغيير في حقول الحياة والمعرفة التي لا يمكن تجاهله أو انكاره حتى وإن " غطيتها بغطاء " . إذا أضفنا الى ذلك معطى مكانياً ورد في هذا القسم وهو المكان العالي الذي هيمن على فعل السرد ، فتشبيه الكأس بنجم في السماء وتساقط النور من فوق السماء نجد أجواءً بهيجة خيمت على هذه اللوحة في قبال الحزن من البكاء والعناء واليأس السائد على لوحة الطلل . ومن ثم يرى الباحث أنّ هذا المقطع من السرد في القصيدة لم يكن مجرد تعبير عن وصف الخمر وقص الأحداث بل تقنية إسلوبية لجأ اليها المنتج ليفضي بها الى انجاز فعل كلامي غير مباشر قوته الإنجازية الإخبارية بنيت على الحركة والسكون ، الخمرة رمز الإستمرار والحركة ، والطلل رمز السكون . كما يرتبط تأويل هذا المقطع في طبقة من طبقاته بالسياق الخارجي للقصيدة فبعد أنّ حدد هارون الرشيد كرسيين لمنصب ولاية العهد وكأنّ الأمر انتهى الى الإقرار والجزم والثبات قام بعد زمن وعين القاسم وليا لعهده بعد أخويه ، وهذا التغيير في الرأي والتحول في الرغبة وظّفها أبو نواس تعضيدا لإسلوبه الجديد في الإنتاج الشعري . ومن ثم أصبحت الخمرة وسيلة لإنجاز فعل الثورة على بعض التقاليد الفنية في البناء الشعري . ولا يمكن بأي حال من الإحوال غضّ الطرف عن فعل قد يبدو لأول وهلة فعلاً ثانوياً أو مغموراً لكنّ التأمل وإعمال النظر في القصيدة تفضيان الى الكشف عن أهميته ، لقد جرت عادة الشعراء أن تكون وجهة التحول أو انتقالهم بالناقة من الدار الى الممدوح والتوجه اليه لإعلاء شأن الممدوح وتعظيمه لتشكل ضمنا فعلاً كلاميّاً غير مباشر يدل على مكانة الممدوح ومنزلته

في قضاء الحوائج لكن ما نقرأه هنا يلفت نظر السامع أو القارئ ؛ لأنّ الشاعر لم يَعْدُ بناقته الى الممدوح وإنّما عدا بها الى بيت حانٍ ، وهذا الخرق لأفق القارئ ينسجم مع دلالة فعل التغيير والتجديد التي طالما نادى به الشاعر .

وأخيرا يحلُّ أبو نواس ساحة الممدوح ونجده يتخذ بعدين خُلُقي كما في قوله:[١]

تباركَ مَنْ ساسَ الأمورَ بعلمِـــهِ وفضّلَ هــاروناً على الخلفاءِ

نعيشُ بخيرٍ ما انطوينا على التُّقى وما ساسَ دنيانا أبو الأمنــاءِ

إمامٌ يخــافُ اللهُ حتى كأنّـــــما يؤول رؤيــاه صباح مســاءِ

وبعد خَلقي كما في البيت الأخير من قوله :[٢]

أشمٌ طِوال الساعدين كإنّـــــما يُناط نجادا سيـــفَه بلواءِ

في هذا القسم من القصيدة أفصح الشاعر عن المدح كونه الفعل المنجز . وجمع المرسل في البيتين الأوّل والثاني بين لفظة الجلالة " الله " والخليفة واشركهما في فعل التدبير . وإذ يجعل المتكلم للحياة الخيّرة شرطين هما التقوى وسياسة الخليفة وهو أمر غير حقيقي ينتج عنه فعلا كلاميا هو إعلاء مقام الخليفة والمبالغة في تعظيمه . ويلوح الجمع بين الله والخليفة في التدبير الى تعددية في المقاصد منها :

١-إنّ الفعل الإنجازي من قبل هارون الرشيد بإعلان البيعة للقاسم بولاية العهد بعد الأمين والمأمون كان قرارا حكيما كون هارون مفضّلاً من الله على الخلفاء وفعله لا يتنافى مع العلم الإلهي وتدبيره .

٢-إنّ القصد من وراء هذا المدح ذو صلة بطبيعة القرار السياسي . فقد استثمر أبو نواس

---

[١] - ديوانه ، الغزّاليّ : ٤٠٢

[٢] – م . ن : ٤٠٣

التغير في موقف الرشيد في مجال السياسة وإدارة الحكم بقرار أخذ البيعة للقاسم بأنّه قرار ذو طبيعة تجديدية وتوظيف ذلك لمنهجه التجديدي في الشعر . وكأنّي به يقول أنّ التجديد والتطور يطرأن على كل مجالات الحياة ومنها السياسة والأدب.

٣-يمكن تأويل فعل الممدوح بعدوله وأخذ البيعة للإبن الثالث على أنّه التحرر من القيود والتقاليد المتبعة ، فكما حرر هارون الرشيد نفسه من تقاليد الحكم السابقة احتذى أبو نواس هذا المنهج ولكنه في مجال الأدب والتحرر من بعض الأعراف الفنية للقصيدة وتقاليدها الموروثة . يتضح مما سبق أنّ القصيدة بتنوع أغراضها وتعددها تشكل أفعالا جزئية يستقطبها الفعل البؤرة لتنتهي القصيدة لبناء فعل كلامي ما ولا يمكن لهذا الفعل أن يتحقق دون أجزائه . في دائرة الحدث الكلامي تبرز لنا في شعر أبي نواس ظاهرة صدور الفعل أو بالإحرى متتالية أفعال من الحيوان وتتجلّى هذه الظاهرة بوضوح في طردياته من ذلك قوله :[١]

١- آلفُ ماصدِتُ من القـــنيصِ بكلِّ بازٍ واسعِ القمـــــــيصِ

٢-ذي بُرنُسٍ مُذهّبٍ رصـــيصِ وهامةٍ، ومنسرٍ حصـــــيصِ

٣-وجـــؤجـــؤٍ عوّلٍ بالدليـصِ مُدبّجٍ ، مُعيّنِ الفصـــــوصِ

٤-على الكـــركي نهمٍ حريصِ آنسَ عشرين بذاتِ العيـــصِ

---

[١]- ديوانه ، الغزاليّ : ٦٤٧

[٢]- البرنس : ثوب طويل ، غطاء الرأس منه . رصيص : المرصوص بعضه فوق بعض . منسر : منقار . حصيص : لا ريش له .

[٣]- الجؤجؤ : الصدر . عوّل بالدليص : أعجب بنقشه بماء الذهب . مدبّج : المنقوش المزين .

[٤]- الكراكي : جمع كركي ، طائر طويل العنق والرجلين والمنقار . آنس : أبصر . ذات العيص : مكان.

٥-فانسلّ عن سكارِهِ الممحوصِ وانقضَّ يهوى وهو كالوبيصِ

٦-داني جناحيهِ الى نصـــيصِ فأعتامَ منها كل ذي خمـــيصِ

٧-فقدّهُ بمـــــخلبٍ قبـــوصِ فـــكم ذبحنـا ثمَّ من مـــقوصِ

٨-وكم لنا في البيتِ من مقصوصِ معدّةٍ للشـــيِّ والمُـــصـــوصِ

شِكْلُ الطرديّة أنبنت علي محوري الوصف والقص وبناءً على تتابعات الفعل الكلامي وصولا الى الفعل الإنجازي الشامل ويمكننا رصد تلك الانماط بالشكل الآتي :-

١-تتمحور أبيات هذه القصيد كلها بوصفها حدثا كلاميا حول موضوع الصيد .

٢-يمثل " طائر الباز" في هذه القصيدة ، الفعل المساعد كونه أداة أو وسيلة يستعين به الصائد لإنجاز فعل الصيد وهذا ما صرّح به أبو نواس بقوله :

آلف ماصدت من القنيص بكل باز واسع القميص

إنّ المحتوى القضوي لهذا البيت هو اقرار الشاعر بفعل الصيد بالباز بوصفها وسيلة للصيد ، وتفيد حرف الباء في قوله " بكل باز " معنى الإستعانة ، ولعل الدلالة القصدية للمتكلم من " واسع القميص " أنّه طائر كبير الحجم .

٣-المكون الوصفي الوارد في الأبيات الثلاثة الأوّلى من بنية الطرديّة لطائر الباز والتي تشتمل على الحجم " واسع القميص" واللون " مذهب " وتنضيد الريش " رصيص"

---

(٥)- أفلت مما ضُيّقت به عينه. الوبيص : البريق واللّمعان .

(٦)- أي : قارب هدفه الذي حدّده لينقضّ عليه ، واختار أجودها .

(٧)- قدّه : مزّقه . قنوص : محكم القنص . موقوص : مكسور العنق .

(٨)- مقصوص : مقصوص الريش ، أو مذبوح . معدّة للشيّ : مهيأة للشيّ . المصوص : لحم ينقع في الخلّ ويطبخ .

والملاسة " هامة ومنسر حصيص" والصدر المزين المنقوش . كل هذه الصفات تختزل وتصنف تحت الفعل التمهيدي ذي القيمة الإخبارية والقصد منها ابلاغ السامع أو المتلقي بأن آلة هذه تتمتع بوصفات عالية الجودة ومهارة كبيرة في القنص والصيد .

١-يؤدي الفعل المساعد – أي طائر الباز- متتالية من الأفعال الإنجازية غير اللسانية لتكوين الحدث المركب " صيد الكركي " بوساطة سلسلة من الأحداث التي تعقب بعضها بعضا زمانيا بالصورة الآتية " آنس عشرين " أي نظر الى عشرين من الكركي ، وأفلت " فانسل عن سكاره المخوض " ، " وانقضّ يهوي " ، " داني جناحيه الى نصيص " ، " فاعتام منها كلّ ذي خميص " أي اختار أجودها ، ثم " فقدّه بمخلبٍ قنوص " . إذن شكلت هذه المتوالية من الأفعال صورة أو حدثا انجازيا أكبر هو صيد الكركي .

٢-تصور الأشطر الثلاثة الأخيرة من القصيدة نهاية الطرديّة والفعل القولي " فكم ذبحنا .." و " كم لنا في البيت من مقصوص " انتج فعلا كلاميّا إخباريا تشكلت بنيويا بإسلوب الإستفهام وتضمن دلالة قصديّة مفادها كثرة اللحوم المخزونة في البيت.

٣-ترتبط الأقسام الثلاثة للقصيدة (الوصف أو التمهيد، البؤرة أوالسرد ، النهاية أو الخاتمة) بعضها مع بعض بعلاقات. وتفرز المعطيات النصية للقصيدة العلاقات الآتية :

أوّلاً : علاقة انتخاب الأصلح التي تربط بين قسم التمهيد وقسم البؤرة ؛ لإنّ انتخاب آلة الصيد الجيدة تفضي الى صيد سريع وموجه .

ثانيا : علاقة النوع ، وهي العلاقة التي تربط قسم البؤرة بالنهاية ، فإصطفاء الأنواع الجيدة من الصيد كما عبّر عنه أبو نواس ب " فأعتام منها كل ذي خميص " يؤول الى الإخبار عن اعداد الطعام الجيد .

ثالثا : علاقة العلّية : وهي المتولّدة بين قسم البؤرة وقسم الخاتمة أو النهاية ، فهذا الطعام الوفير من الطير المذبوح والمقصوص الجناح كان لعلة كثرة الصيد.

وإذا كان المعطى الأوّلي لسلسلة أفعال القصيدة هو وصف الصيد فإنّ هذه الطرديّة ومعها كل طرديات أبي نواس تفضي الى فعلين انجازيين غير مباشرين :

الأوّل : هو المرح ، والباحث بذلك يتفق مع قراءة أنيس المقدسي لطرديّات أبي نواس بقوله في طردياته يتجلّى لنا مرحه وترفه .[١]

الثاني : تفعيل مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فإذا كان الصيد أو الطرد نشاطا حياتيا للإنسان في البادية فمن الطبيعي أنّ تعكس اللغة المستخدمة صورة واقعية لتلك البيئة المَعيشة على مستوى غرابة الألفاظ ومتانة التعبير وتفصيل الأوصاف وكل ذلك ينسجم مع طبيعة البادية وحياة الصحراء ، ومن هنا نستشف أن أبا نواس لم يحارب الطلل والديار والأعراب من أجل الأطلال والديار ، بل ؛ لأنّ ذلك لا ينسجم مع طبيعة الحياة في المدن أو حياة الحضر .

---

[١]- ينظر أمراء الشعر العربي في العصر العباسي : ١٢٤

المبحث الرابع

الفعل التأثيريّ

من المسلمات التي لا يشوبها شك أنّ الأعمال الأدبية بأجناسها المتنوعة تنتج في وسط اجتماعي مشحون بأفكار وعواطف متباينة تلقي بأثرها على تلك الأعمال . وإذا عُدَّ السامع أو المتلقي أحد الأضلاع الرئيسة في مثلث العملية الإبداعية بعد المرسل والنص ، فإنّ استجابتهما تتعلق في جانب منه بموضوع القصديّة التي كانت ولا تزال محط عناية الحقول المعرفية المختلفة لاسيما في القرنين الأخيرين . وإذا كانت الإستجابات وردود الأفعال وتفعيل دور المتلقي تبحث في المناهج النقدية ما بعد حداثية لاسيما السيميائية والتأويلية ونظرية التلقي والتفكيكية بأنّها جزءٌ مستقلٌ أو طرفٌ ثالثٌ في عملية التواصل ، فإنّ الفيلسوف الإنجليزي جون أوستين يرى أنّ تلك الإستجابات لا تمثل إلا عنصرا أو أحد العناصر الثلاثة في تركيبة الفعل الكلامي ، ويأتي بعد العمل القولي والعمل المتضمن .[١] ويطلق على هذا العنصر بوصفه فعلا بذاته تسميات عديدة يمكن اجمالها بما يأتي : (١) يسميه جون أوستين لازم فعل الكلام .[٢] (٢) ويسمى الفعل التأثيري .[٣]

---

[١] و [٢]- ينظر : نظرية أفعال الكلام العامة : ١٣١

[٣]- ينظر: التّداوليّات علم استعمال اللغة :٥٢ ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٤٠٧ ، لسانيان النص التأسيس والإجراء :٩١، ولسانيات الخطاب وأنساق الثقافة – فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة ، د.عبد الفتاح أحمد يوسف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت لبنان ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠١٠م : ٤٥ ، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداوليّة :٤٩٧، دلالة السياق ، ردّة الله بن ضيف الطلحي ، جامعة أم القرى ، ط ١، ١٤٢٣ هـ :٢٣٠، تداوليّة النص الشعري جمهرة أشعار العرب إنموذجا :١٥١ ، الملفوظية :٩٧ ، التّداوليّة عند العلماء العرب : ٤٤ ، استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٧٥ ، التّداولية في البحث اللغوي والنقدي :٤٦

(٣) فعل التأثير .[١] (٤) فعل أثر القول .[٢] (٥) الفعل التعبيري المولّد .[٣] (٦) عمل تأثير القول .[٤] (٧) عمل أثر القول .[٥] (٨) أثر العبارة .[٦] (٩) فعل الكلام التأثيري .[٧] (١٠) فعل أثر التلفظ .[٨] (١١) لازم فعل الكلام .[٩] (١٢) فعل التأثير بالقول .[١٠] (١٣) الفعل التأثير .[١١] وقد ارتضى الباحث اصطلاح الأستاذ الدكتور محمود أحمد نحلة لإختصاره

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " بين تداوليّات سورل وتفكيكية دريدا " عبدالله بريمي : ٢٦٤

[٢]- ينظر : م . ن : ٢٦٧

[٣]- ينظر من النص الى الفعل :٨١

[٤]- ينظر الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة :٥١٤ ، التّداوليّة من أوستين الى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ترجمة صابر حبّاشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية – اللاذقية ، ط ١، ٢٠٠٧ :٥٩، التّداوليّة في البحث اللغوي والنقديّ : ٤٦

[٥]- ينظر التّداوليّة والحجاج مداخل ونصوص ، صابر حباشة ، الإصدار الأوّل ، ٢٠٠٨ م : ٢٠٦

[٦]- ينظر التّداوليّة من أوستين الى غومان : ٥٩

[٧] و [٨]- ينظر البعد التّداوليّ والحجاجي في الخطاب القرآني ، أ.د. قدور عمران ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أربد ، ط ١ ، ٢٠٠١م : ٥٧ ، ٦٠

[٩]- ينظر النص والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتّداوليّ ، فان دايك ، ترجمة عبدالقادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٠ م : ٢٦٧

[١٠]- ينظر التّداوليّة ، فرناد هالين ، ترجمة د. زياد عزّالدين العوف ، مجلة الآداب العالمية بحث على الإنترنيت :٧٠

[١١]- ينظر مدخل الى اللسانيات التّداوليّة : ٢٤ ، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية الحديثة ، نسيمة نابي ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، جامعة مولود معمري – تيزي وزو ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ٢٠١١ ، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية : ٥٥

ودقته . والفعل التأثيري عنده يقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب سواء أكان تأثيرا جسديا أم فكريا أم شعوريا . وقد ادرك أوستن أنّ الفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا فمنها لا تأثير له في السامع أو المخاطب .[١] تتباين ردود فعل المخاطب أو الفعل التأثيري في مستويات مختلفة ، يمكن تأطيرها بما يأتي :-

١- مستوى يظهر فيه الفعل التأثيري الصادر من الإنسان خارج النص ، وهذا المستوى هو الأكثر والأعم من مستويات ظهور الأفعال التأثيرية ومنه ما رواه إبن منظور في نوادره أنّه قال " خرج أبو نواس مع أصحاب له الى متنزّه بالبصرة فلما صاروا بدجلتها أنشق زقٌّ لهم فيه شراب ، فقالوا لأبي نواس : ما لنا غيرك ، اكتب الى عبد الملك بن إبراهيم بن قبيصة في نبيذ ، وكان في ضَيعة فكتب اليه :[٢]

يا بنَ إبراهيمَ يا عبد الملك واثقا أقبلتُ باللهِ وبِـــــكْ

أنتَ للمالِ إذا أصـــــلحتَهُ فإذا أفسدتَهُ فالمـالُ لـــكْ

إنّ زقاً كان يروي شَـرْبنَا عصفَ الدّهرُ عليهِ فهلكْ

فأمر لهم بما أرواهم من النبيذ وبدنانير ، وقال : هذه نفقة هذا " .

ظهر الفعل التأثيري " فأمر لهم بما أرواهم من النبيذ والدنانير " بوساطة الفعل الإنجازي غير المباشر . ويلاحظ الفعل التأثيري أو الفعلين التأثيرين اتخذا شكل سلوك مادي جسده إرواء النبيذ واعطاء الدنانير .

٢-مستوى يظهر فيه الفعل التأثيري داخل النص وهذ المستوى ينقسم على قسمين :

---

[١]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : ٧٠ - ٧١

[٨]—ينظر نوادر أبي نواس : ١٢١

الأوّل : فعل تأثيري داخل النص صادر من الإنسان ويشكل نسبة كبيرة قياسا بالقسم الثاني وإنموذجه قول أبي نواس في احدى مجونياته :[١]

بُليتُ بشادنٍ أحوى ربـــــيبِ بعيدٍ في مودّتـــــه قريـــــبِ

كأنّ تعطّف الأغصان منـــــه قضيبٌ مالَ في أعـلى كثـــيبِ

ظَفِرتُ بمقعد الزُّنارِ مِنْـــــهُ ومـا ارتابتْ ظنونُ المسـتريبِ

فجلتُ بخفّةٍ في الرِّدف أجري على ما شئت من ليــن وطيـــبِ

تنبّه حين أمطره سحـــــــابي وأنـــكر حالتي ورأى وثوبـــي

فقام يُسبُّني ويحطُّ قـــــــدري فقلت له : ترفّق يا حبـــــيبي

إنّ تعبير المتكلم " فقام يسبّني ويحط قدري " هو في الحقيقة نقل لإستجابة المخاطب بوصفه ردة فعل لفعل الإنحراف الإخلاقي كونه الفعل الإنجازي الصادر من المرسل اليه. وبوساطة هذا الفعل التأثيري عبّر المخاطب عن موقف الخيبة وعدم الرضى تعبيرا لفظيا تجلّت بالسبِّ.

الثاني : فعل تأثيري داخل النص صادر من الحيوان من فعل انجازي من الإنسان . ونسبة هذا القسم أقل من الأوّل ، وتعد الطرديّات من أكثر الأغراض وضوحا لتجسيد هذا الفعل في الخطاب الشعري النواسي . مثال ذلك قوله في هذه الطرديّة :[٢]

١- قد أغتدي في فلقِ الإصباح بمطعمٍ يوجز في ســـراحِ

٢- مؤيد بالنصرِ والنـــــــجاحِ غذتهُ أظآر مـــن اللقـــاحِ

٣- -فهو كميشٌ ذربٌ السلاحِ لا يسأمُ الدّهرُ من الضّباحِ

---

[١]- ينظر : م . ن : ١٥٤- ١٥٥

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٦٣٧

٤-مُنجّدٌ ، يأشرُ للصيـــاحِ ما لبرقُ في ذي عارضٍ لمّاحِ؟

يستهل أبو نواس طرديته بجملة " قد أغتدي " التي تستنهض ذاكرتنا بلوحة الصيد في معلقة أمرئ القيس ، والمحتوى القضوي لهذه الأبيات أنّ الشاعر يغدو الى الصيد بكلب مدّرب رعته ظئر و غذي بلبن وفير ، أما قوله " مُنجد يأشر للصّياح " فهو تعبير يصف فيه المرسل استجابة الكلب ، ورد فعله بلفظ " يأشر " بمعنى يمرح . وهذا الفعل التأثيري ناتج من الصياح بوصفه الفعل الإنجازي الأمري الموجّه الى الكلب . ومن الخطاب الشعري الذي تضمن فعلا تأثيريا صدرا من الحيوان قول أبي نواس : [١]

١- أنعتُ كلبا مُرهفاً خميصـــا ذا شيةٍ ما عدمت وبيصا
٢- تخالُ في أجفانِهِ فصوصـــا أُدِّب حتى أُحكِمَ التنقيصا
٣- وعَرَفَ الإيحاءَ والتّعويصا بُورِكَ كلباً نهماً حريصا

الفعل التاثيري الصادر هنا هو تعبير الشاعر واصفا الحيوان " وعرف الإيحاء والتعويصا " والدلالة القصديّة لهذا التعبير هو أنّ الكلب مستجيب للإشارة الواضحة والغامضة .[٢] أما الفعل الانجازي فيظهر جلّيا في الملفوظ " أُدِّب " بمعنى دُرِبَ ؛ لأنّ عملية التدريب وما تصاحبها من اوامر ونواهٍ تشكل بمجموعها فعلا انجازيا صادرا من المدرب وموجها الى الكلب .

٣-مستوى يظهر فيه الفعل التأثيري داخل النص وخارجه. من ذلك قصيدة " مُستعبد الإخوان " :[٣]

١-ومُستعبِدٍ أخوانَهُ بثرائِـــــــــهِ لبستُ له كبرا أبّر على الكـــــــــبرِ

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات :٤٤٨

[٢]- ينظر م . ن : ٤٤٨

[٣]- ديوانه الغزّالي : ٥٩٧

٢-إذا ضمّني يوماً، وإيّاه مَحفِـــلٌ رأى جانبي وعراً يزيد على الوعــرِ

٣-أخالفهُ في شكلهِ، وأُجـــــــرُّهُ على المنطق المنزور، والنظّر الشّزرِ

٤-لقد زادني تيها على الناس أنّني ارانيَ أغناهم ، وإن كنتُ ذا فقـــــرِ

فو اللهِ لا يبدي لساني لجاجـــــةً الى أحدٍ حتى أغيَّبَ في القـــــــبرِ

فلا تطمــعن في ذاك منّي ســـوقةٌ ولا ملكُ الدّنيا المحجّبُ في القَصـــــرِ

فلو لم أرثْ فخــراً لكانت صيانَتي فمي عن سؤالِ النّاسِ حسبي من الفخر

ذكر إبن منظور أنّه لما " بلغت الأمين ، فبعث إليه ، وعنده سليمان بن أبي جعفر فلما دخل عليه قال له : .... يا مدعي ولاء حاءٍ وحكم أتدري يا إبن اللّخناء من تواليت والى من ادّعيت ...أنت تكسب بشعرك أوساخ أيدي الناس اللئام وتقول : ولا صاحب التّاج المُحجّب في القصر" .[١] نجد فعل التكبر بسبب الغنى والثراء سلكه أحد أصدقاء الشاعر وكأنّهم عبيد له أو بحسب تعبير أبي نواس :

ومستبعد إخوانـــه بثرائـــــه لبست له كـبرا أبّر على الكبـــــــر

ولقد ولّد هذا السلوك المشين استجابة سلبية من المتلقي وقد عبّر عن ذلك الإستهجان بقوله : " لبست له كبرا أبّر على الكبر " وكذا الأشطر الأخرى من قوله " رأى جنبي وعرا يزيد على الوعر" و " أخالفه في شكله وأجره " و " على المنطق المنزور والنّظر الشزر" وهذه السلسلة من الأفعال التأثيرية ظهرت داخل النص . وفي سياق صلة القصائد بردود أفعال المتلقين ولّدت هذه القصيدة آثارا سلبية على الخليفة الأمين العبّاسيّ إذ تلقى قوله " ولا ملك الدّنيا المحجّب في القصر " باستهجان وشتم غليظ للشاعر ، وظهر هذا الفعل التأثيري خارج النص .

---

[١]- نوادر أبي نواس : ٥٧

٤-مستوى يظهر فيه الفعل التأثيري داخل النص فقط ، ويكون هذا على قسمين :

الأوّل : إنّ الفعل التأثيري للمخاطب يتلو مباشرة الفعل الإنجازي للمتكلم ، أي أنّ الفعلين الإنجازي والتأثيري موجودان ، حاضران في النص، وإنموذج ذلك قوله وهو في سجنه يمدح أبا تمام عبد الوهاب بن مايسان أحد أشراف الفرس :[١]

١-ماحاجةٌ أولى بنُجحٍ عاجـلٍ مِن حاجةٍ علقتْ أبا تمّـــــامِ

٢-فرعٌ تمكن من أروم عمارة بقيتْ مناقبُها على الأيـــــامِ

لما نَدبتُكَ للمُهمِّ أجبـــــــتني لَبيكَ ، وأستعذبتَ ماءَ كلامـي

إنّ البنية التركيبية " لما ندبتك للمهم " ليست فقط ألفاظاً وتراكيب أنتجها المتكلم لنظم القريض أو المدح لأجل المدح نفسه بل هي رسالة أنتجها المرسل لإحداث أثرٍ في المستمع في سياق عاشه الشاعر وجاءت الإستجابة ايجابية ووافقت انتظار المتكلم ، وقد عبّر الشاعر عن ذلك القبول والرضى بقوله " أجبتني لبيك ، وأستعذبتَ ماء كلامي " .

القسم الثاني : وهذا القسم ينتج الفعل التأثيري ويظهر في النص من غير وجود للفعل الكلامي ومن ذلك قوله :[٢]

فجئتُ الى صحبي بظبيٍّ مفتّق فلمّا تراءوا ضوء خدّيه سبّحوا

إنّ لفظة " سبّح " في قوله " سبحوا " يعبر عن الإعجاب والتنزيه وهو فعل تأثيري داخل النص وبغياب واضح لأي فعل انجازي . وفي سياق الفعل التأثيري نجد النتائج المترتبة لملفوظ ما على المخاطب تحدث آثارا إمّا على مشاعر المستمع أو المتلقي ، وإمّا على أفكاره ومعتقداته . وتتلون المشاعر والإنفعالات الناتجة من المستمع أو المتلقي بفعل أثر النطق أو الفعل القولي ألوانا متباينه تندرج من الغضب الشديد والهجر الشديد الى الإبتسامة

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٦٢٥

[٢]- م . ن : ٢١٦

من ذلك مقطوعته الغزلية ، نذكر منها هذين البيتين :[١]

أصيحُ جهراً لا أستسرُّ بـــهِ عنّفنيّ فيه مَن يُعنّفُنـــي

يا معشرَ النّاسِ اسمعوا وعوا إنَّ جناناً صديقةُ الحسنِ

قال إبن منظور فلما بلغ جنان هذا القول غضبت عليه غضبا شديدا وهجرته .[٢]

وقد يحدث الفعل الكلامي في المتلقي الشعور بالحقد ويظهر هذا الشعور آنيا أو تاليا لزمن انتاج الفعل أو الكلامي أو الخطاب ، من ذلك ما رواه إبن منظور في أخباره عن أبي نواس " كان الأمين معجبا بشعر أبي نواس ، فلما سمع محمد قول أبي نواس :

١-أسقنيها يا ذُفافـــــةْ مُرّة الطّعمِ سُـلافةْ

٢-هاتها جَهراً ودعني من أحاديثِ خُرافةْ

٣-قهوةً ذات اختيـــالٍ سَلِمتْ مِن كلِّ آفهْ

٤-إنّ غيري مَن قلاها لرجاءٍ أو مخافــهْ

٥-ذّلَ بل ضاعَ الذي يعـــــــــــــذل فيها يا ذفافـهْ

٦-مثلما ذّلتْ وضاعتْ بعد هارون الخلافـهْ

حقد عليه الأمين في ذلك " .[٣]

وقد يعمل الفعل التأثيري في احداث تأثيرات ونتائج في المخاطبين مثل حثهم على القيام

---

[١]- ينظر : ٦٧١

[٢]- ينظر نوادر أبي نواس :١١٥

[٣]- نوادر أبي نواس :١٣٣

بفعل أو حملهم على الخوف أو الضحك أو الحزن .[١] من ذلك " تمشى أبو نواس يوم عيد فطر الى المُصلّى " ومعه الحسين بن قرّة النوفلي ، فأنشده أبو نواس :

خُذْ للمعاصي إذا أفطرتَ أهبتَها وانزعْ قناعَ الحيا واستعملِ الفَرحَا

قال الحسين : فخِفتُ واللهِ أن نُحصب " .

وأمّا إنموذج الضحك بوصفه فعلا تأثيريا فتوضحه لنا هذه الرواية " قال أبو نواس : قلتُ يوما لإبي دعامة ، امضِ بنا الى عنان ، قال هي تكره مجيئك إليها وعبثك بها ، قلت : ليس عليها مني بأس ، قال فجئنا وكان الظهر ، وهي غير ظاهرة ، ثم تطلّعت فسلّمت ، وسلم عليها ، ولم يقّل له في الصعود شيئا . فقال :

عنانُ يا مُنيتي ويا ســَكني أما تَريني أجولُ في سكــكِ

ملكتني اليومَ يا معُـــــذبتي فصيّريني الغَداة من فــكــكِ

وعجّلي ذاكَ وارحمي قلقي وأثبتي لي البراة في صككِ

فضحكت " .[٢]

ولا يقتصر فعل المتكلم بالتسبب في نشوء آثار في المشاعر فقط ، بل يمتد ذلك الى الفكر ومن أمثلة ذلك الإقناع والتضليل والإرشاد والتثبيط .[٣]

من نماذج الفعل التأثيري الناتج عن ممارسة الفعل الإنجازي على فكر المستمع قول أبي نواس في القصيدة التي مدح بها العباس بن عبدالله بن جعفر :[٤]

---

[١]- ينظر التّداوليّة من أوستين الى غوفمان :٥٩

[٢]- نوادر أبي نواس : ١٢٧

[٣]- ينظر التّداوليّة : ٥٣

[٤]- ديوانه الغزاليّ : ٤٣

يقولونَ في الشّيبِ الوقارُ لأهلِهِ وشيبي بحمدِ اللهِ غيرُ وقارِ

لما سمع الرشيد قول أبي نواس أمر بإحضاره ، وقال له : ويلك أتخالف الإسلام في كلّ شيء من أمرك ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال يقول رسول الله – ص وآله - : لا يشيب الرجل المؤمن شيبة في الإسلام إلاّ كانت له حجابا من النار" وتقول أنت كذا وكذا وما أظنّك إلاّ على غير دين الإسلام ، فمن أين زعمت أنّه غير وقار ؟ فقال يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك انظر الى البيت الذي بعده . فقال ، وما هو ؟ قال :

إذا كنتُ لا أنفكُ عن أريحيّةٍ إلى رشأ يسعى بكأسِ عقارِ

إنما قلتُ : وشيبتي غير وقار إذا كنت على هذه الحالة وأشباهها ، لما أجاوزه من تعجيل الذنوب وتأخير التوبة فأقررت بالذنب ، ولم أجحد أن يكون هو وقارا . قال : أنت أعلم بخبث سريرتك ، وقبح عملك ، فمن ثم شهدت بما شهدت به على نفسك " .[١]

استطاع أبو نواس بفعله القولي اقناع هارون الرشيد ، وما قول هارون " أنت أعلم بخبيث سريرتك وقبح عملك ، فمن ثم شهدتَ بما شهدت به على نفسك " ما هو إلا تسليمٌ لحجة المتكلم وخضوعٌ لبرهانه .

وقد يثبط المرسل من عزيمة قول المخاطبين بفعل قوة أثر فعله الإنجازي وهذا ما نلمسه بوضوح في قول أبي نواس :[٢]

١- محضتُكُم يا أهلَ مصرٍ نصيحةً آلا فخُذُوا مِن ناصحٍ بنصـــــيبِ
٢- ولا تثبوا وثب السـفاهِ فتركــبوا على حدّ حامي الظهرِ غيرَ ركوبِ
٣- فإنْ يكُ فيكم إفكُ فرعونَ باقيــاً فإنّ عصا موسى بكفِ خصـــيبِ
٤- رماكُمْ أميرُ المؤمنــين بحـــيةٍ أكولٍ لحياتِ البلادِ شـــــــروبِ

---

[١]- نوادر أبي نواس : ٧٣

[٢]- ديوانه الغزاليّ : ٤٨٤

" وكان أهل مصر قد شغبوا على الخصيب لزيادة في أسعارهم ، وكان على شرب وعنده أبو نواس ، فوثب أبو نواس وقال : دعني أيّها الامير أكلمهم ، فقال ذاك إليك ، فخرج حتى وافى المسجد الجامع ، وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه ، فأنشد هذه الإبيات ، ويقال أنّها ارتجلها على المنبر ، فلما سمعها من اجتمع تفرقّوا ، فلم يبق أحّد منهم " .[١]

تدلل هذه الرواية أنّ الفعل الإنجازي الصادر من أبي نواس جسّد النتيجة التي أردها من خلال التأثير على المعتقدات . فقد أثبط المتكلم عزيمة أهل مصر بعد سماعهم له ، وهذا التثبيط كان دلالة على نجاح الفعل الإنجازي المتلفظ من قبل المتكلم .

لقد وازن أبو نواس بين فرعون وكذبه من جانب وبين صدق موسى الكليم – عليه السّلام – والعصا بوصفها احدى معجزاته ، والنتيجة التي آل إليها الصراع بين الطرفين ، ومن ثم فإن هذا الترسيب الديني في الخطاب الشعري كان من القوة بمكان ما أفضى الى احباط معنويات أهل مصر .

ويتفق الباحث مع د. شيتر رحيمة في أنّ الأفعال التأثيرية قد تظهر بموازاة الفعل الإنجازي ، كما قد تأخذ زمنا طويلا .[٢] من نماذج هذا الطرح قول أبي نواس يعاتب الأمين :[٣]

١-قل للخليفةِ إنّـــــــني حتى أراك بكلِّ بـــــأسِ

٢-مَن ذا يكون أبا نواسكَ إنْ حبست أبا نـــــــواسِ

٣-أقصيتَهُ ونســــــــيتَهُ وبعهدِهِ بك غير نـــــاسِ

٤-قد كنتُ آمل غيــر ذا لوكنتَ أنصف في القياسِ

٥-إنْ أنتَ لم ترفــعْ بهِ رأساً هُديتَ فنصـف راسِ

---

[١]– نوادر أبي نواس : ١٤٦

[٢]– ينظر تداوليّة النص الشعري جمهرة أشعار إنموذجا : ١٧٣

[٣]– ديوانه الغزاليّ :٤٢٤

فلما سمع العتّابي بذلك قال له : يا بن كذا وكذا ما أحسن رأس خليفة يرفع ؟ فقال جعلني الله فداك يا أبا عمرو ، لا تنبّهن على ذلك فتهلكني " .[١] ثم علق إبن منظور على ذلك قائلا : " هذا عندي من الشعر الذي لا يخاطب به الخلفاء ، ولا يخاطب به إلا ما لا أستحسن ذكره ، فإنّ عليه أمائر الفسق والتخانث " .[٢]

هذه الإستجابة من إبن منظور بوصفه متلقيا يؤشر أنّ الفعل التأثيري لحق زمن انتاج الفعل الإنجازي بزمن طويل ، وكانت الإستجابة سلبية وخرق أفق توقع المتلقي فيما يتعلق بمواصفات القارئ الضمني .

وأما وقوله : " هذا عندي من الشعر الذي لا يخاطب به الخلفاء ولا يخاطب إلا ما لا أستحسن ذكره " فهو اقرار من المتلقي بالمواضعات والحدود الفاصلة لمفهموم الطبقية في المجتمع ، ومن ثم تشكل قيدا حقيقيا على الشاعر الإلتزام أو والتمسك به لأجل الحفاظ على معايير الصياغة الأدبية .

أما رد فعل العتّابي بوصفه القارئ المعاصر لزمن الانتاج ، فقد وظّف معرفته في الوصول الى قصديّة المتكلم سبيلا لممارسة الضغط غير المباشر على أبي نواس ، وهذا ما نستشفه من تصريح الشاعر قائلا " جعلني الله فداك يا أبا عمرو لا تنبّهن على ذلك فتُهلكني ". وعلى صعيد متصل نجد ارتباطاً بين المقاصد والأفعال التأثيرية ، فعلى الرغم من نجاح عملية التواصل بين الشاعرين وعلامة هذا النجاح كما أسلفنا وصول المتلقي للقصد التواصلي ، إلاّ أنّ الرواية تصرّح بأنّ المتكلم تولّد منه دلالة الخوف وهذا ما يفضي الى ما يأتي :

١-يستنتج أنّه في حالات معينة لا يرغب المتكلم معرفة قصده ؛ وذلك لضمان سلامته ، بمعنى تعطيل هدف من أهداف التواصل وهو عدم الإلتقاء في الفكر بين المستمع والمتلقي .

---

[١]- نوادر أبي نواس : ١٤٢

[٢]- م . ن : ١٤٢

٢-يستنتج من الرواية أعلاه أنّ المتكلم لم يكن له القصد في احداث هذا التغيير بناء على رد فعل المصرّح به ، وعليه فإنّه في حال انجاز الفعل ينبغي أنّ يقصد به علة مخصوصة لأثر طبق المراد ، وإنّ مقاصد الأفعال تدخل في مجال أغراض الافعال .[١]

٣-إنّ المستمع بوصفه أحد عناصر السّياق المقامي هو من نبّه بفعله التأثيري على دلالة قصدية المتكلم وهذه الدلالة لم تظهر في المستوى السطحي للملفوظ بل أخضعت لمقام الكلام .

واتخذت بنى الإستجابة التي أحدثتها ردود أفعال السامعين والمتلقين آليات متباينة يمكن تصنيفها الى ثلاثة أنماط :-

أوّلاً : نمط لغوي : - ونعني به استجابة المتلقي بطريقة لفظية سواء أكانت هذه الاستجابة استحسانا أم استهجانا فمثال الإستحسان قوله :[٢]

١-عَجِبتُ من إبليسَ في كبرِهِ وخُبثِ ما أظهرَ من نيّتهِ

٢-تاه على آدمَ في سَـــــجدةٍ وصارَ قـوادا لذريتِـــهِ

ولّد هذا الخطاب في نفس سفيان بن عُيينة الضحك ثم قال : لقد ذهب مذهبا وقال قولا ، ما ننفك من مُلحةٍ تأتينا عن هذا الشاعر .[٣] يلحظ المتلقي صدر عنه فعل تأثيري لفظي استحسن فيه قول أبي نواس . أما إنموذج الإستهجان فما نقله إبن منظور في نوادره من قول إبن عائشة : " لِيُعَذِّبنّ الله ، عزّ وجلّ ، على إساءته في تحسين شرب الخمر للناس ، وإنْ كان قد أحسن الوصف وأبدع ، أليس هو القائل :[٤]

---

[١]- ينظر النص والسّياق: ٢٣٨

[٢]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ١٧٨

[٣]- ينظر نوادر أبي نواس : ١٥٧

[٤]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات :٣٧٠

١-مضى أيلولُ وارتفعَ الحرورُ وأخبتَ نارها الشّعرى العَبورُ

٢-فقوما فالقحا خمراً بمـــــاءِ فإنّ نـــتاجَ بينهما الســـرّورُ

٣-نتاجٌ لا تذّرُ عليـــــــه أُمٌّ وحملٌ لا تعدُّ له الشّـــــهورُ

٤-إذا الطاساتُ كرّتـها علـــينا تكوّن بيننـــــا فلكٌ يـــــدورُ

٥-تسيرُ نجومُهُ عجـلاً وريـــثا مُشـــرِّقةً وتـــــاراتٍ تـــغورُ

٦-إذا لم يُجـرهنّ القطبُ مِتـــنا وفي دورانـهنّ لنـــا نـــشورُ

٧-رأيتُ الفضلَ يأتي كلَّ فضلٍ فقَلَّ له المشـاكلُ والنّظـــيرُ

٨-وما استغلى أبو العبّاسِ مدحاً ولم يـــــكثُرْ عليه له كثـــيرُ

انتج الفعل التأثيري للمتلقي تعبيرا لفظيا مستهجنا بإسلوب الدعاء في قوله " ليعذبن الله عزّ وجل أبا نواس على إساءته في تحسين شرب الخمر للناس " وقد أخضع هذا الفعل التأثيري للموجه الديني بوصفه أحد الموجهات لتلقي الأعمال الأدبية .

و على الرغم أنّ هذا الموجه لا يستسيغه نقّاد الفن ودارسوه لكن الشق الثاني من الرواية وأعني قوله " وإنّ كان قد أحسن الوصف وأبدع " فهو استجابة ايجابية واستحسان للمتن الخمري على المستوى الجمالي والإبداع الفني .

ثانيا : نمط سلوكي : ونعني به استجابة المستمع أو المتلقي للفعل الإنجازي بسلوك مادي اجرائي ومن أمثلة هذا النمط قول أبي نواس للأمين :

١-نديمي غير منسوبٍ الى شيءٍ من الحـــــــيفِ

٢-سقاني ثم حيّـــــاني كفعلِ الضـــيفِ للضـــيفِ

٣-فلمّا دارتْ الخمـــرُ دعـــا بالنّـــطعِ والسّـــيفِ

٤-كذا مَنْ يَشربُ الماءَ مع التنـــينِ في الصـــيفِ

فأمر له بجائزة ومركب " .[١]

الفعل الإنجازي التوجيهي المتمثل بالأمر الصادر من الأمين لمنح أبي نواس جائزة مركب هو في الواقع فعل تأثيري تشكل بسلوك مادي اجرائي ليعبر عن موقف الرضى والإستحسان من قبل الخليفة .

ثالثا : النمط اللغوي السلوكيّ : وفي هذا النمط يقوم المستمع أو المتلقي بالتعبير اللفظي أو الحركي في الإستجابة والتفاعل ، من ذلك قول أبي نواس على البديهة بين يدّي هارون الرشيد :

١-كذلكَ البِكرُ عندَ خَلوتِها يظهرُ منها الحياءُ والخـفرُ

٢-حتّى إذا ساسَها يُملّكـها فما لها فيه ثَّم مزدجـــــرُ

٣-عادتْ له ثيّباً تُفـــاكِهه قد غابَ عنها بالرقّةِ الأَشَرُ

٤-تُرضِعُه تارةً وتتـــــبعَهُ صريعَ كَرْمٍ بعينهِ حَـــوَرُ

فقال " أحسنت والله ! وأمر لي بمال ، وكان سبب اتصالي به " .[٢]

نرى استجابة المستمع قد أنتجت تعبيرا لفظيا تجلّت بإسلوب المدح والقسم في قوله : " أحسنت والله " ، وتعبيرا سلوكيا ماديا هو الأمر بالعطاء للمتكلم .

وقد يتباين الفعل التأثيري الذي ينتجه الخطاب الشعري من قبل المستمعين أو المتلقين بين القبول والرفض ، فتارة تكون رد فعل الرفض ومرة يكون رد فعل المتلقي القبول والثناء والمدح من ذلك قصيدته في البرامكة التي استهلها بقوله :[٣]

---

[١]- أبو نواس : ١٩

[٢]- نوادر أبي نواس : ١٢٩

[٣]- ديوانه ، الغزاليّ : ٤٧١

أَرَبعَ البِلى إنّ الخشوعَ لبادٍ عليكَ ، وإنْ لم أخْنْكَ وِدادِي

قال إبن طباطبا العلويّ : إنّ الفضل بن يحيى البرمكي قد أنكر على أبي نواس هذا المفتتح من الشعر وتطيّر منه فلما إنتهى الى قوله :

سلامٌ على الدُّنيا إذا ما فقدتُمُ بني برمكٍ مِن رائحينَ وغادِ

استحكم تطيرهُ ، فيقال إنّه لم ينقض إلا اسبوع حتى نزلت بهم النازلة .[١]

لقد انتج المتكلم بفعله القولي استجابة سلبية وأثاراً في نفس المستمع خوفا وتطيّرا . وهذا الفعل التأثيري وُلِد بفعل خرق المتكلم للضوابط والمعايير التي وضعتها المدونة النقدية العربية لقصيدة المديح لاسيما بنية الإستهلال فيها واغفال دور السّياق في عملية الإنشاد الشعري . ولهذا أشار فوندرليش بعناية الى أنّ على المستمع أن يتبع قواعد محددة للتلقي من حيث مراعاته للموقف أو العرف الإجتماعي التي تفرضه الجماعة ، كما يلزمه أنّ يأخذ الإعتراضات التي يفرضها حدث التكلم بعين الإعتبار .[٢] وفي اتجاه معاكس للفعل التأثيري الصادر من الفضل بن يحيى البرمكي بوصفه القارئ المعاصر للخطاب أحدث الملفوظ السابق من قول أبي نواس أثرا مغايرا في المتلقي اتسم بالقبول والمدح والرضى ، إذ عدّ إبن منظور أنّ هذه القصيدة : " من خيار شعره ، وأثنى عليه المبرّد ثناء كبيرا " .[٣] ومن النماذج الأخرى في السّياق نفسه ما روي عن اجتماع أبي نواس ومسلم يوما ، وما جرى بينهما واتهام كل واحد منهم للآخر بعيوب في شعره ، فقال مسلم لأبي نواس ما أعلم لك بيتا إلاّ مدخولا معيبا ساقطا ، فأنشدني أي بيت شئت من شعرك ، فأنشد أبو نواس :

---

[١]- ينظر عيار الشعر محمد أحمد بن طباطبا العلويّ ، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت. لبنان ،١٤٠٢هـ -١٩٨٢م :١٢٦-١٢٧

[٢]- ينظر الدلالة والسياق : ٢٣١

[٣]- نوادر أبي نواس : ٢٤٠

ذَكَرَ الصّبوحَ بسُحرةٍ فارتاحا وأملّهُ ديكُ الصّباحِ صِياحا

فقال له مسلم : قف عند حجّتك ، لِمَ أملّهُ صياحا وهو الذي بشر بالصّبوح الذي ارتاح له ؟ فانقطع أبو نواس انقطاعا بيّنا ..." .[١] نجد فعل الإرتياح كان عائقا في استجابة المستمع عبّر مسلم عن استهجانه ورفضه لذلك بقوله " قف عند حجتك.." وفي قبال هذا الإستهجان يتلقى متلق آخر هو إبن منظور هذا النص باستجابة الرضى والقبول ومعبّر عن ذلك بقوله والبيت جيد بديع ولكن قلّ من طلب عيبا إلا وجده .[٢]

إنّ توليد الأفعال التأثيرية لا يقتصر ظهورها فقط على المستمع أو المتلقي ، بل يتولد من المتكلم في حالات معينة فعل تأثيري بفعل خطابه الإنجازي كما هو الحال في دلالة الندم بوصفه فعلا تأثيريا أنتجه أبو نواس استجابة لقول أصحابه الذين امتعضوا من قوله الآتـــي :[٣]

يا ناظراً في الدّين ما الأمـــرُ لا قدرٌ صَحَّ ولا خــبر

ما صحَّ عندي مِن جميع الذي يُذكرُ إلا الموتُ والقـدرُ

هذا الفعل الإنجازي ولّد فعلا تأثيريا بقوله :[٤]

أيةُ نارٍ قـــدَحَ القـــادِحُ وأيَّ حـــدّ بلغَ المــازحُ

للهِ درُّ الشيبِ من واعـــظٍ وناصحٍ لو حَذِرَ الناصحُ

---

(١)- م . ن : ١٨٠

(٢)- ينظر م . ن : ١٣٨

(٣)- ينظر نوادر أبي نواس : ١٣٩

(٤)- ديوانه الحديثيّ : ٩٧٨

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهجُ الحقِ له واضـحُ

ثم قال : هذا عمل الشيطان ، ألقى الزّهد في الكلام ليفسد يومكم .[١]

يتجلى لنا بوضوح الإمتعاض والتوبيخ والخوف بوصفها دلالات وآثاراً نشأت وصدرت من أصحاب أبي نواس بوصفهم مستمعين حاضرين في المجلس قد أسهمت بشكل مباشر في انتاج فعل تأثيري يحمل دلالة الإعتذار والندم عن الشاعر بعد ما صدر منه من قول ولفظ هزّ كيان أصحابه . ويأتي في هذا السّياق قول أبي نواس لصاحبه سليمان بن أبي سهل " اكتم عنّي ، فالمجالس بالأمانة " كونه استجابة لقوله الإنجازي وقد أفرط عليه السّكر ، فقال لسليمان اسمع :[٢]

باحَ لساني بمضُمر السّـــرِ وذاكَ أنّي أقولُ بالدّهــرِ

وليسَ بعد المماتِ مُرتَجعٌ وإنّما الموتُ بيضةُ العُقرِ

لقد حمل هذان البيتان أثرا ونتيجة ليس في المخاطبين بل في المتكلم ويتمثل هذا الأثر بدلالة الخوف الناتجة من فلتات اللسان في حالات السّكر بوصفه فعلا انجازيا . ومن ثم فإنّ الباحث يتفق مع الطرح القائل أنّ للفعل التأثيري أهمية كبرى في انتاج أفعال كلامية جديدة تضع في حسبانها قيام الفعل الجديد على الفعل التأثيري ، ومن ثم لا يمكن اقصاء دور الفعل التأثيري من حقل الدراسات التّداوليّة ، ولاسيّما وأن التدّاوليّة تعتني باستعمال اللغة ، والفعل التأثيري هو استظهار للدرجة التي يمكن أن يبلغها الإستعمال .[٣]

ومثلما إنّ الأفعال اللغوية يمكن أن تنجزها فرد أو ينجزها مجموعة أو مؤسسة ويمكن أن

---

[١]- ينظر نوادر أبي نواس : ١٣٩

[٢]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ١٤٠

[٣]- ينظر تداوليّة النص الشعري جمهرة أشعار العرب إنموذجا: ١٨١

توجه الى فرد أو مجموعة أو جمهور واسع أو مؤسسة .[١]

كذلك فإنّ الأفعال التأثيرية يمكن أنّ تصدر عن فرد أو مجموعة من ذلك أنّ مجموعة من الشعراء منهم دعبل الخزاعيّ ومسلم بن الوليد وأبو الشيص قاموا وسجدوا لأبي نواس .[٢] بعد انشاده لهم :[٣]

لا تبكِ ليلى ولا تطربْ الى هندِ واشربْ على الوردِ مِن حمراءَ كالوردِ

يلاحظ الفعل التأثيري (السجود) صدر من قبل مجموعة أفراد أو مجموعة شعراء . يكشف لنا هذا الفعل التأثيري عن مدى قوة الفعل الإنجازي حتى غدا بهولاء الشعراء القيام بفعل السجود ، وكما هو واضح فقد تمظهر الفعل التأثيري بإسلوب غير لغوي .

ويستشف من السياق المقامي لبنية الإستجابة أنّ هذا السلوك الإجرائي من مجموعة الشعراء كان ممارسة متداولة أو شفرة معهودة في المجتمع الفارسي للتعبير عن اعجابهم وتسليمهم لعظمة عمل من الأعمال . قال أبو نواس " أعملتموها أعجمية ، لا والله لا أكلمكم ثلاثا وثلاثا وثلاثا ، ثم أطرق مليّا ورفع رأسه ، وقال تسعة أيّام في مهاجرة الأخلاء والله كثـــير " .[٤]

وإذا كان شعراء العراق قد سجدوا اعجابا بشعر النواسي ، فإنّ شعراء مصر قد انفضوا من حوله ، ففي مجلس الخصيب بعد أن مدحه الشعراء ولم تكن تلك المدائح من الشأو والعظمة قال أبو نواس مخاطبا الخصيب " أنشدك أيّها الأمير قصيدة هي بمنزلة عصا موسى تلقف ما يأفكون . قال : هات ، فأنشده :-

---

[١]- ينظر النص والسياق : ١٢٦

[٢]- ينظر نوادر أبي نواس : ١٨٣

[٣]- ديوانه ، الحديثيّ : ١٢٧

[٤]- نوادر أبي نواس : ١٨٣

أجارةَ بيتينا أبوكِ غيورُ وميسورُ ما يُرجى لديكِ عَسيرُ

حتى أتى على آخرها ، فانفض الشعراء من حوله " .[١]

شكلت القصيدة برمتها قوة انجازية قصد المتكلم من نظمها احداثاً أثرٍ عظيمٍ يحلّ في ساحة نفوس الشعراء ويمكن الحكم على هذ الفعل الإنجازي بالنجاح كونه حقق الغاية المرجوة من الإنشاد .

وفي أجواء هذه الرواية والخطاب الشعري لا يسع الباحث أو القارئ إلا أنّ يستحضر قول الرسول – ص وآله - : " إنّ من البيان لسحرا " فكأنّما قصد أبو نواس من قوله " أنشدك قصيدة هي بمنزلة عصا موسى تلقف ما يأفكون " إنّه وإن لم يهبه الله عزّ وجل العطاء الإلهي معجزة كعصا موسى إلا أنّه يمتلك مقدرة عالية من الإبداع الفني والتفنن البياني ما يؤهله للإنتصار والغلبة على خصومه أو أقرانه من الشعراء .

إذا كانت أفعالنا تصرفات فمن الواجب أن نتذكر دائما التمييز الحاصل بين إحداث الآثار وبين الآثار غير المقصودة ، وأنّ نلاحظ انّه عندما يقصد المتكلم أنّ يحدث أثرا ما دون أنّ يقع منه هذا الحدوث والحصول وعندما لا يقصد أنّ يحدث ذلك الاثر أو أنّه لا ينوي احداثه ولكنه قد حصل الحدوث والإيقاع .[٢]

ولتوضيح هذا الطرح نأخذ هذين المثالين :

الأوّل : " قال عاصم بن حميد بن تميم الوّراق : رأيتُ أبا نواس والناس يجرّونه ويضربونه في قفاه بالنّعال ، ويقولون : زنديق ويرمونه بالحجارة ، حتى أدخلوه الى محمد بن زبيدة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : زنديق . فقال : السّيف والنّطع . فقال أبو نواس : أصلي ركعتين . فأخرجوا عنه ، فقام للصلاة ، ثم رفع رأسه الى السّماء وكبّر وصلى ركعتين ، وقال :

---

[١]- م . ن : ١٤٤ ، وديوانه الغزاليّ : ٤٨١

[٢]- ينظر نظرية أفعال الكلام العامة : ١٢٧

سبحان من خلق الخلـــــــــــــــق من ضعيفً مهين

فساقه من قـــــــــرارٍ الى قرار مكـــين

في الحجب شيئا فشيئا يحار دون العـــين

حتى بدت حركـــــاتٌ مخلوقةٌ من سكون

فقال محمّد : ما هذا زنديق ، أعطوه ألف درهم ، واخلعوا عليه ، فخرج تحت الخِلع وطردوا الناس عنه ، وقال اجروها عليه ، فلم يزل يجريها عليه حتى مات . قال النظّام : لما سمعتُ هذه الأبيات نبهني لشيء كنتُ غافلا عنه حتى وضعت كتابا في الحركة والسكون " .[١]

نحن أمام فعلين تأثيرين للأبيات التي أنتجها أبو نواس وكان القصد منه إقراره بالإيمان ودفع تهمة الزندقة أو الإلحاد عن نفسه ، وقد أتت ثمار هذه الأبيات أُكلها حين استجاب الأمين له وعبّر الخليفة عن عفوه للشاعر وكرمه له بإسلوب لفظي إذ قال : " ما هذا زنديق ؟ " وبإجراء سلوكي عندما أعطاه ألف درهم وخلع عليه من الخلع وطرد الناس عنه . وتفاصيل هذا السلوك الإجرائي مع الكتاب الذي ألفه النّظّام في الحركة والسكون نعدُّها من الآثار غير المقصودة لقصد أبي نواس وفعله الإنجازي .

الثاني : " قال أبو علي قطرب : أجود شعر أبي نواس قصيدته يمدح الفضل بن يحيى بن خالد :

أَربْعَ البلى إنّ الخشوعَ لبادٍ عليكَ ، وإنْ لم أخنك وِدادِي

وأظنه إنّما بالغ في ذكر هذه القصيدة والثناء عليها ؛ لأنّ أبا نواس ذكره فيها فقال :

خليّليةٌ في وزنها قطربيةٌ نظائرها عند الملوك عتادي

---

[١]- نوادر أبي نواس : ١٣٤

وذكر قطرباً فيها ؛ لأنّه كان يرى رأيه ، وكان رأيهما الإعتزال وهو رأي النّظّام وعنه أخذ أبو نواس ، وأراد أنّ يغيظ الأصمعي بذكره ؛ لأنّهما جميعا غلاما خلف الأحمر " .[1] انتج إبن منظور فعلا تأثيريا لاسيما قوله " ولم يذكر قطرب فيها إلا أنّه كان يرى رأيه وكان رأيهما الإعتزال ، وهو رأي النّظّام ... وأراد أنّ يغيظ الأصمعي بذكره لأنّهما جميعا غلاما خلف الأحمر " أنّه فعل تأثيري غير مقصود من قبل المتكلم .

ويقينا إنّ غالبية الأفعال الكلامية يكون لكل فعل انجازي تأثير واحد في المتلقي ، لكن لوحظ في بعض النماذج من الأفعال الإنجازية تعددية في الأفعال التأثيرية الصادرة من المستمع أو المتلقي أو متوالية من الأفعال التأثيرية من ذلك : " أنّ أبا نواس احتاج حاجةً شديدة واشتاق الى شرب الخمر وهو ببغداد ، فلم يقدر على ما يشتري به خمرا ، فذكر أخا شاعرا في بعض القرى ، فخرج اليه فوجد صاحبه أسوأ حالا منه ، ووجده وعنده خابية شراب لا غير ، فقال له : ما حالك ؟ فقال : والله ما عندي مأكل فأشرب عليه الشّرب ، فقال له أبو نواس : ما ها هنا أحدٌ نمدحه ؟ فقال ها هنا رجل من مضر ، يكنى أبا مالك ، إذا مدحته مدحني ، وإذا هجوته هجاني ، مثلا بمثل ، فنظر أبو نواس في شعر المضريّ فإذا هو شعر متظرّف متكلف ، فدعا بالدواة وكتب اليه :

قُلْ لأبـــي مالك فـــتى مضـــــر ... مقالَ لا مفحمٍ ولا حضـــــرِ

جئنـــــاكَ في مَيـْـتٍ تُكـــــــفّنُهُ ... ليس من الجنِ لا ولا البـشرِ

بل هو مَيْتٌ عظـــامُهُ خـَــزفٍ ... والجلدُ قارٌ والرّوحُ مِن عكرِ

ليس لنـــا مـــا بـــــه نكـــفّنه ... فكفِّن الميتَ يا أخا مضـــــرِ

واعجل فقد مات فاعلمّن الضحى ... ونحن من نتنه على خطـــــرِ

يا لكَ ميتا صـــــــلاة شيعتـــــــه ... عزفٌ عليه والنقّرُ بالوتـــــرِ

---

[1]- م . ن : ٢٣٩ ، وأيضا ديوانه الحديثيّ : ٣٨٩

فلما قرأ المضريُّ الشعر أقبل بحشمه وغلمانه ، لما عرف أنّ أبا نواس عنده ، وأنّه هو الذي قال الشعر ، ثم أكبّ عليه فقبّل رأسه ، واعتذر اليه ألاّ يكون علم فاستقبله ، وحوّل اليهما ما احتاجا اليه وأقام عندهما يومه ذلك ، وأمر لأبي نواس بخمسة آلآف درهم ولصاحبه بثلاثة آلآف درهم " .[١]

تعددت استجابة المضريّ بسلسلة من الأفعال التأثيرية تجلّت بما يأتي : ١- اقباله بالحشم والغلمان ٢- انكبابه على أبي نواس وتقبيله رأسه . ٣- الإعتذار اليه. ٤- اعطاؤه ما احتاج اليه. ٥- الإقامة عندهما يوما . ٦- اصدار أمر باعطاء أبي نواس خمسة آلآف درهم لأبي نواس ولصاحبه ثلاثة آلآف . ومن ذلك أيضا أنّه لما " صار أبو نواس الى العبّاس بن الفضل بن الربيع في حاجة ، فلم يقضها له ، فخرج من عنده وهو يقول :

لَعمرُكَ ما العبّاسُ مِن ولدِ الفضلِ فيرجى لعُرفٍ أو يعينُ على بَذلِ

فتىً كلّما ناديتُهُ لمُـــــــــــلمةٍ دعوت مثـــــال لا يمرُّ ولا يُجلى

فبلغه ذلك ، فشكاه لأبيه ، فأمر بكر بن المعتمر فأخذه وضربه وحبسه وقيّده وأسلمه الى سجّان فظّ غليظ ، كان على المطبق ، اسمه سعيد ، فضيّق عليه وآذاه " .[٢]

إذا كانت سلسلة الآثار الصادرة من المُضريّ قد درّت على أبي نواس من الخير الوفير حال سماع المخاطب له ، فإننا نجد تغيّر الحال وتبدلا في الوضع ، فحادثة أبي نواس مع العبّاس بن الفضل ، ما انّ بلغته تلك الأبيات حتى شكا ذلك لأبيه فاتخذ الأخير سلسلة من ردود الأفعال التعسفية إبتدأت بإلقاء القبض على الشاعر ثم ضربه وحبسه وقيْده وتسليمه الى سجّان فظ غليظ .

ولا ينبغي النظر الى الأفعال التأثيرية أو ردود أفعال المتلقين على أنّها استجابات تعكس

---

[١]- م . ن : ١٧٧- ١٧٨

[٢]- م . ن : ٢١٧، ديوانه ، الغزّاليّ : ٥١٨

المشاعر والإنفعالات فقط ؛ لأنّ قراءة تلك الأفعال من زاوية مغايرة تفضي الى اطلاق احكام واصدار قرارات ، بمعنى آخر أنّ الأفعال التأثيرية في سياقات معينة يمكن تصنيفها تحت صنف أفعال القرارات ؛ لأنّ بنية الإستجابة ليست فقط رد فعل ايجابي أو سلبي على المستويين اللغوي والسلوكيّ بل تؤول أحيانا في تشكلها الى اصدار أحكام نقدية تعكس أذواق قائليها ومن تلك الأفعال التأثيرية التي تأخذ طابع الأحكام النقدية ، قول أبي عمرو الشيبانيّ والذي هو في الواقع بنية استجابة لقصيدة أبي نواس :[١]

وخيمةِ ناطورٍ برأسِ مُنيفةٍ تهمُّ يدا مَن رامَها بزليلِ

إذ قال " لا يبالي أبو نواس ألاّ يقول بعد هذا شيئا " .[٢] هذا القول وإن كان استجابة ايجابية واستحسانا لهذه القصيدة ، لكنّه في الوقت نفسه هو فعل انجازي اتخذ طابع الحكم النقدي على نتاج أدبي . وفي السّياق نفسه " كان الأصمعي يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة :

أما ترى الشّمسَ حلّتِ الحَمْلا وطابَ وقتُ الزّمانِ واعتدلا " .[٣]

إنّ لفظة " تفضيل " في هذه الرواية الأدبية تحمل في طياتها حكما نقديا كون المتلقي من أكابر طبقة العلماء الرواة ، ومن ثم لا يمكن عدّ هذا التفضيل مجرد فعل تأثيري . ومن ذلك أيضا قول الجاحظ مستجيبا لقصيدة أبي نواس التي مطلعها :[٤]

ودارِ ندامى عطّلوها وأدلجوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ

---

[١]- ديوانه الغزاليّ : ١٦

[٢]- نوادر أبي نواس : ١٩١

[٣]- م . ن : ١٧٨ ، ديوانه الحديثيّ : ١٨٦

[٤]- ديوانه الحديثيّ : ١٥٩

قال " ليس من الشعراء من تقدّمه الى هذا المعنى ، ولا من شاركه فيه " .[١] لقد عبّر هذا الفعل التأثيري عن مسألتين :

١-ابداع أبي نواس في هذا المعنى ونفي ذلك عن الشعراء كافة .

٢-نفي مشاركة الشّعراء في استحصال هذه الدلالة .

والمسألتان كما هو بيّن تعد استجابة ايجابية لنص أبي نواس وفي الوقت نفسه يؤكد حضور الحكم النقدي على نتاجات الأعمال الأدبية .

وتتباين الأفعال التأثيرية التي تنتجها القصائد في طبيعتها تبعا للسّياق ويظهر ذلك بوضوح في قول أبي نواس يمدح الخصيب :[٢]

فإنْ يكُ فيكم إفكُ فرعونَ باقياً فإنّ عصا موسى بكف خصيب

جاءت استجابة الخصيب ايجابية ومنح الشاعر ألف دينار ، والدافع من وراء هذه المنحة أنّ أبا نواس تمكن – بعد انشاده هذا البيت والأبيات الأخرى التي تلته - أن يفرق جمع المصريين الذين ثاروا ضد الخصيب . بينما أحدث هذا الخطاب أثرا سلبيا في نفس هارون الرشيد وقال له بعد حضور الشاعر بين يديه " يا إبن اللخّناء : أتستخف بنـــبي الله موســـى ؟ " .[٣] نلمس بوضوح فاعلية السّياق بشكل كبير في انتاج الفعل التأثيري . والظاهر أنّ البغض قد شبّ في صدر هارون لا لعلة الإستخفاف بل ؛ لأنّ الشاعر مدح من هو دون الخليفة منزلة بخطاب ساحر بليغ والمتأمل في خطاب أبي نواس يلمس بوضوح أنّه قد وظّف المرجعيتين الدينية والتاريخية ، واقتنص المكان والزمان المناسبين في مدحه

---

[١]- نوادر أبي نواس : ٢٦

[٢]- ديوانه الحديثي : ٣٧١

[٣]- أبو نواس : ٢٢٣

للخصيب . وفي اطار الأفعال التأثيرية أيضا ، تبرز ظاهرة التحول في بنى الإستجابة لنفس المستمع في تلقيه لقصيدة أو أبيات معينة ، ويتخذ هذا التحول في بنى الإستجابة نمطين :

الأوّل : نمط يتجه رد الفعل من الحسن الى الردئ ، وأبرز نماذج هذا النمط ، الفعل التأثيري الناتج من أحد رواة أبي نواس المكنى بأبي الأصفر بُعيد سماعه قصيدة أبي نواس الشهيرة التي يمدح بها العباس بن عبيدالله بن أبي جعفر المنصور :[١]

أيّها المنتابُ من عفره لستَ من ليلي ولا سَمَرِهْ

فلما بلغ قوله :

وإذا مجّ القنا علـــــقا و ترآءى الموتُ في صورهْ

راح في ثنيي مفاضته أسـدٌ يُدمي شَـــبا ظُــفُرهْ

تتأيّا الطّيرُ غَدوتَـــــهُ ثقـةً بالشِّـــــبع مِن جـَـزرِهْ

قال الراوي لأبي نواس : " أحسنت والله ، وجاوزت الإحسان . هذا والله ما لا يحسنه أحد، ولم يبلغه متقدّم ، ولا يلحقه متأخر" .[٢] ، فلما أنشده :[٣]

كيف لا يدنيكَ مِنْ إملٍ مَنْ رسولُ اللهِ مِن نَفـَـرِهْ

قال أبو الأصفر " علمتُ أنّه كلام ردئ ، موضوع في غير موضعه ، وأنّه يعاب به ؛ لأنّ حقِّ سيدنا رسول آلا يضاف اليه ، ولا يضاف هو الى أحد . فقال لي : ويلك إنّما

---

[١]- ديوانه ، الحديثيّ : ٣٩٩

[٢]- أبو نواس : ١٣٦

[٣]- ديوانه ، الحديثيّ : ٤٠٥

أردت أنّ رسول الله من القبيل الذي هو منه " .[1] يشتمل استقبال أبي الأصفر ، وتأثيره على نمطين من الإستجابة في زمن قصير جدا لزمن الإنتاج والإنشاد ، فقوله " احسنت والله " هو فعل تأثيري ايجابي لفعل تعبيري انجازي هو مدح الأمير العبّاسيّ العبّاس بن عبيدالله في الشّجاعة والكرم حتى بلغ الأمر بالمستمع الى اصدار حكم الحسن ، لكن سرعان ما تحولت هذه الإستجابة وباتجاه معاكس حال سماعه " كيف لا يدنيك من أمل ..." لقد خضعت هذه الإستجابة لموجه ديني كون الرسول – ص وآله – أعظم شخصية في تاريخ البشرية من وجهة نظر المسلمين ، ومن ثم لا ينبغي بأي حال أنّ يكون متبوعا ، ولهذا قدّم ابو نواس لمتلقيه مخرجا لتصحيح ما وقع فيه بقوله : " ويلك إنّما أردت أنّ رسول من القبيل الذي هو منه " هكذا نلمس التدرج في ردود الأفعال من الإستحسان الى الرداءة ، ثم العيب .

الثاني : نمط يتحول فيه رد الفعل من الغضب الى الهِزّة والإرتياح ، من ذلك أنّه لما أنشد أبو نواس قصيدته : " لقد طال في رسم الدّيار بكائي " بين يدي هارون الرشيد وبلغ أبو نواس وصفه للخمر تغيّر وجه الرشيد فلما بلغ " فإن تكن الصهباء أودت بتالدي " سكن قليلا ، فلما قال : " وكأس كمصباح السماء شربتها " غضب وأراد أنّ يأمر به ، فلما أنشد " تبارك من ساس الأمور بقدرة " أخذته هِزّة فأمر له بعشرين ألف درهم .[2]

وقد هيمنت آلية التناوب على سلسلة بنى الإستجابة للخليفة هارون الرشيد فقد استهل فعل " تغيّر وجه الرشيد " بوصفه فعلا تأثيريا انفعاليا لفعل وصف الخمر ، ثم تحولت هذه الإستجابة الى السكون النفسي ، تم تلتها ردّة فعل تجسدت بالغضب ، ثم انتهت تلك السلسلة من الأفعال التأثيرية بالتحول الى الهِزّة والإرتياح وعطاء بلغ مقداره عشرين ألف درهم. إنّ المستمع انتج تلك الآثار النفسية والعطايا المادية في سياقات معينة انسجمت مع الأفعال الإنجازية الصادرة من المتكلم وتتلاءم مع السّياق التَّداوليّ لمقام

---

[1]- أبو نواس : ١٣٦

[2]- ينظر ديوانه ، غريغور شولر : ١ \ ١٢٧ - ١٢٨

المخاطب . خلصنا في نهاية هذا الفصل الى جملة من النتائج نوجزها في ما يلي :

-تضمنت الأفعال الكلاميّة الواردة في الخطاب الشعريّ النواسيّ تعددية في التصنيف ، ولاحظنا غلبة التعبيريات على تلك الأفعال ؛ وذلك راجع الى طبيعة الخطاب الشعري الذي هو في الأساس انفعال وتعبير عن المشاعر والأحاسيس والعواطف .

-عكست أصناف الأفعال الكلاميّة في جانب من جوانبها سلوك الشاعر وأخلاقه ومعتقداته ووثقت تلك الأفعال من جانب آخر المرحلة التي عاشها أبو نواس وذائقة العصر في القرن الثاني الهجري .

-تنوعت درجات قوة الفعل الإنجازية بين القوة والضعف ، وتدرجت مراتب شدة الفعل الإنجازية وتلطيفه .

- لم تشمل عملية التفاعل الإتصالي والأفعال المتتالية في الحدث الكلامي حيز البشر فقط ، بل امتدت الى عوالم أخرى منها صدور الفعل ومتتالية الأفعال من الحيوانات.

-ضم الحدث الكلامي أفعالا إنجازية مباشرة وغير مباشرة ، الى جانب أنماط مختلفة من الأفعال التمهيدية والبسيطة والمعقدة ، ومن ثم فإن المرسل لم يكن مجرد شاعر يقولب الألفاظ والتراكيب في صور بيانية بل انتبه الى أهمية الملفوظ في سياق معين بغية الوصول الى مقاصده .

-أبرزنا في هذا الفصل فاعليّة الفعل التأثيري ، وما يحدثه الخطاب في المستمع أو المتلقي كون الخطاب ذو صلة وثيقة بالمرسل إليه ، وعليه تحدد نجاح الفعل الإنجازي من عدمه .

-تنوعت استجابات المستمع أو المتلقي على المستويين اللغويّ وتحت اللغويّ ، وتعددت آفاق التوقع والإنتظار بفعل تغيير سياق تلقي الأفعال الكلاميّة و الإنجازية.

الفصل الثالث

الاستلزام التخاطبي أو الحواريّ

المبحث الأوّل : مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة منه

المبحث الثاني : الاستلزام التخاطبي وخرق قواعد كرايس

المبحث الثالث : الاستلزام التخاطبي في الخطابين الإنشائي والمجازي

المبحث الرابع : الاستلزام التخاطبي والتناص

المبحث الخامس :الاستلزامات التخاطبية المولَّدة بالشكل اللغوي

المبحث الأوّل

مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه

لقد عُرِفَ المبدأ التّداوليّ الأوّل للتحاور باسم مبدأ التعاون . وورد نص هذا المبدأ في اللسّانيات الحديثة عند الفيلسوف الإمريكي " بول كرايس " إذ ذكره لأوّل مرة في دروسه المرقونة بعنوان محاضرات في التحاور ومفاد هذا المبدأ أنّ على أطراف الحوار أنّ تتعاون فيما بينها لتحصيل المطلوب . بمعنى أنّه يوجب أنّ يتعاون المتكلم والمخاطَب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه قد يكون هذا الهدف محددا قبل دخولهما في الكلام أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام .[١]

وانطلاقا من هذا المبدأ حدد الفرضية الأساسية فيما مفاده أنّ التفاعلات الحوارية تبلغ مقاصدها بمقتضى التعاون القائم بين أطراف الحوار ، وهذا يتطلب أنّ يكشف المتحاورون عن مقاصدهم على الأقل التوجّه العام لهذه المقاصد وبذلك أفترض منذ البدء وجود تعاون بين أطراف الحوار على تحقيق المطلوب .[٢] وبالنسبة لكرايس ، أن نتعاون يعني تلبية المتكلم ، أن نساهم في المحادثة ما هو مطلوب منه بحسب الكيفية التي جرت بها المحادثة والوجهة التي اتخذتها .[٣] لقد كان ما يشغل كرايس هو كيف يكون

---

[١]- مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب ، طه عبد الرحمن ، مجلة كلية الآداب ، بني ملال ، ، ع ١ ، ١٩٩٤: ٤٣ – ٤٤

[٢]- الإستلزام الحواري في التّداول اللسانيّ ، العياشيّ أدراوي ، منشورات الإختلاف ، الرباط ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م : ٩٩

[٣]- ينظر القاموس الموسوعي للتّداوليّة ، جاك موشلار – آن ريبول ، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية ، بإشراف عزّالدين المجدوب ، مراجعة خالد ميلاد ، ط ٢، ٢٠١٠ م : ٢١٤

ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر ثم كيف يكون ممكنا أن يسمع المخاطب ويفهم شيئا آخر ، فكانت نتيجة هذا التساؤل أن وضع كرايس مفهوم مبدأ التعاون .[١] ويصاغ هذا المبدأ على النحو الآتي : " ينبغي أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة ، تحدوك غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه أنت ملتزم بأحدهما في لحظة معينة .[٢] وبعد تحديد كرايس للمبدأ العام عمد الى تفريعه إلى مجموعة من القواعد الحوارية أو كما يسميها الأستاذ محمود أحمد نحلة مبادئ فرعية هي :

١- قاعدة الكم : تعتبر حدا دلاليا القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة وتتفرع بدورها الى (أ)- لتكن افادتك للمخاطب على قدر حاجته .(ب)- لا تجعل افادتك تتجاوز حد المطلوب .

٢- قاعدة الكيف : القصد منه منع ادعاء الكذب أو اثبات الباطل . ولهذا يطلب من المتكلم آلا يورد من العبارات سوى التي وقف على دليل يثبت صدقها وقد تم تفريعها الى : (أ)- لا تقل ما تعلم خطأ . (ب)- لا تقل ما ليس لك عليه دليل .

٣- قاعدة العلاقة : وهي بمثابة حدٍ مقصدي الهدف منه منع المتكلم من أنّ ينزلق الى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب ، أي يراعي علاقة المقال بالمقام وتقول هذه القاعدة : " ليناسب مقالك مقامك ". وترمي الى أنّ يناسب القول ما هو مطلوب في كل مرحلة تعلق الخبر بالمقام .

٤- قاعدة الجهة أو الكيفية : مدار اختلافها عن القواعد السابقة من حيث كونها لا ترتبط بما قيل ، بل ما يراد قوله والطريقة التي يجب أن يقال بها . الهدف منها تجنب الإضراب

---

[١]- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٦

[٢]- ينظر نظرية كرايس والبلاغة العربية ، أ. باديس لهويمل ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمّد خيضر – بسكرة ، ع ٧ ، ٢٠١١م : ٤٦

والملل والإيجاز المخل في القول فهي ترتبط اذن بالقاعدة الأساسية التي نعبر عنها ب " التزم الوضوح " وتتفرع إلى :

(أ)- لنحترز من الالتباس . (ب)- لنحترز من الإجمال . (ت)- لتتكلم بإيجاز . (د)- لترتب كلامك .[١] من المهم معرفة أنّ هذه القواعد الثانوية تمثل افتراضاتنا غير المفصح عنها في المحادثات .[٢]

والمبدأ أعلاه يمثل مفهوم قدر متوقع من المعلومات في حادثة مظهرا لفكرة أعم مفادها أنّ الأشخاص المشتركين في المحادثة أحدهم الآخر ويكون افتراض التعاون في معظم الأحيان متغلغلا للغاية لدرجة أنّه يمكن تسميته المبدأ التعاوني للمحادثة .[٣]

وينبغي هنا النظر الى أمرين (أحدهما) : إنّ بعض الباحثين رأى في مبدأ التعاون تعبيرا عن فردوس الفلاسفة الذي لا يمت الى الواقع بصلة فهو يرى الناس جميعا متعاونين صادقين مخلصين واضحين وليس من الممكن ولا المشاهد أن يتحدث الناس على هذا النحو كل حين ، بل أنّ أغلب أنواع الحوار يدور بين البشر يخالف هذا المبدأ . والحق أنّ الرجل لم يقصد بمبدأ التعاون الحواري ما عجل هؤلاء إلى فهمه بل كان يقصد أن الحوار بين البشر يجري على ضوابط وتحكمه قواعد يدركها كل من المتكلم والمخاطب .

(الثاني): إنّ كرايس لم يغب عنه أي من هذه المبادئ التي يجري عليها الحوار كثيرا ما تنتهك بل أنّ النظرية كلها قائمة على ذلك . فانتهاك مبادئ الحوار هو الذي يولد الإستلزام مع ملحظ شديد الأهمية هو الإخلاص لمبدأ التعاون بمعنى أن يكون المتكلم حريصا على إبلاغ المخاطب معنى بعينه ، وأن يبذل المخاطب الجهد الواجب للوصول إلى المعنى الذي

---

[١]- ينظر الإستلزام الحواري في التّداول اللساني : ٩٩ – ١٠٠

[٢]- ينظر التّداوليّة : ٦٦

[٣]- ينظر م . ن : ٦٧

يريده المتكلم ، وآلا يود أحدهما خداع الآخر أو تضليله .[١]

وهكذا فإنّ تقديم الكثير من المعلومات أو القليل منها أو اثبات ما نعرف أو نعتقد إنّه كاذب أو إنّنا لا نضمن صدقه ، أو قول شيء لا صلة له بوضوع المحادثة أو التحدث بكيفية مبهمة أو فيها لبس أو اطناب أو انعدام للنظام هي ظواهر تمثل جميعها من السلوك غير المتعاون .إنّه من باب الوهم أن نؤول مبادئ الحوار عند كرايس على أنّها مبادئ معيارية وذلك لسببين :

أما السبب الأوّل ، فلإنّها لا تمثل مجموعة من المبادئ المعيارية التي تفرض على المساهمين في المحادثة أن يتصرفوا بهذه الكيفية أو تلك ، فهي أساسا نظرية لتأويل الأقوال على وجه أخص أنّها صيغة مطورة من النظرية الكرايسية للدلالة غير الطبيعية ، ومن جانب آخر فقد بين كرايس أن احترام الحكم ليس شرطا ضروريا لتولد استلزام خطابي ما . إذ نجد في العديد من الحالات ما يسميه كرايس توظيفا لحكمة من خلال انتهاكها صراحةً . وهكذا فإنّ للمتكلم استراتيجيتين لتوليد استلزام خطابي ما : أما احترام الحكم أو توظيفها عبر انتهاك هذه القاعدة أو تلك .[٢]

إنّ القواعد التي صاغها كرايس أخذت وجهة أخرى في نظرية الملائمة بوصفها نظرية تداوليّة معرفية أرسى معالمها كل من اللساني البريطانيّ دريدر ولسن والفرنسيّ دان سبربر . وقد أفاد سبربر وولسن من نظرية كرايس الحوارية (المحادثية) التي تنص على أنّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ التعاون وبمسلمات حوارية إلا أنّ نظرية الملائمة

أعادت النظر في نظرية كرايس وقلصت محتوياتها مقتصرة على " مبدأ الملائمة " كأساس مركزي يختزل جميع المسلمات المذكورة ويعد تعميقا لتواصل الموصوف ب " المناسب

---

[١]- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٦ – ٣٧

[٢]- ينظر القاموس الموسوعي للتّداوليّة : ٢١٥ ، والتّداوليّة اليّوم : ٥٦

الدلالي " فهو مناسب ؛ لأنّ المتكلم يستعمل المثير الأكثر ملاءمة لإبلاغ افتراضاته . وهو استدلالي ؛ لأنّ المتلقي لا يستدل على القصد الإخباري انطلاقا من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم .[١]

وبما أنّ عملية التخاطب تحتاج اضافة الى التعاون الى قدر من التأدب الذي يؤطر هذا التعاون ويضمن سيرورته فقد ظهر في هذا الصدد عمل " روبين لا كوف " ضمن مقالها " منطق التأدب " إذ صاغت انطلاقا من مبادئ التعاون " مبادئ التأدب " وتظهر مبادئ التأدب ضمن قاعدتين هما : كن واضحا ، كن مؤدبا . ولكل قاعدة من هذه القواعد مجالها السياقي ، إذ تغدو الغلبة أحيانا لقاعدة التأدب في الحوارات غير الرسمية ، مقابل الوضوح ، ومرد ذلك هو أولوية تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية على تبليغ المعلومات .[٢]

وقد تفرعت عن مبدأ التعاون ثلاث قواعد فرعية هي قاعدة التعفف ، ومقتضاها لاتفرض نفسك على المخاطب ، وقاعدة التشكيك ومقتضاها هو لتجعل المخاطب يختار بنفسه وقاعدة التودد ومقتضاها لتظهر الود للمخاطب .[٣]

ثم ظهر " مبدأ الوجه " وهو المبدأ الثالث الذي ينضبط به الحوار وهو مبدأ تداوليّ ورد عند كل من " براون " و" لفنصن" في عملهما المشترك " الكليات في الإستعمال اللغوي ظاهرة التأدب " ويصاغ على النحو الآتي : " لتصن وجه غيرك " يقوم ذا المبدأ على مفهومين إثنين ، مفهوم الوجه الذي هو عبارة عن ذات الشخص التي تتحدد بها قيمتها الإجتماعية وهو على نوعين : وجه سلبي ووجه ايجابي ، أما السلبي فيتحدد في دفع الإعتراض ، أمّا

---

[١]- الإستلزام الحواري في التّداول اللساني :

[٢]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ١١٠

[٣]- ينظر اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د.طه عبدالرّحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م : ٢٤٠- ٢٤١

الثاني فيتمثل في جلب اعتراف الغير وعليه يكون الحوار هو المجال الذي يسعى فيه المتحاور الى حفظ وجهه بحفظ وجه مخاطبه ".[١]

وبخصوص المفهوم الثاني المتعلق ب " التهديد " يرى الباحثان أنّ من الأقوال التي لا تنزل في التّداوليّات منزلة الأعمال ما يهدد الوجه تهديدا ذاتيا وهي الأقوال التي تعيق بطبيعتها إرادات المتكلم والمستمع في دفع الإعتراض وجلب الإعتراف .[٢] ويذكر براون و لفنصن بعض الخطط للتخفيف من آثار التهديد يستعمل فيها المتكلم ما يراه ملائما لقوله ذي الصبغة التهديدية من هذه الخطط :

(١)- أن يمتنع عن أداء القول المهدد . (٢)- أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الإيجابي . (٣)- أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجه السلبي . (٤)- أن يؤدي القول بطريقة التعريض تاركا للمستمع أن يتخير أحد معانيه المحتملة . ورّد كل من براون و لفنصن قواعد التعاون لكرايس الى الخطة الحوارية الثانية التي تقتضي التصريح بالقول المهدد من غير تعديل كما ردتها " لا يكوف " فيما يردها طه عبد الرحمن الى قاعدة التعفف .[٣]

أما " ليتش " فقد ذهب الى وضع مقارنة بين مبادئ كرايس وما سماه " مبادئ التأدب الأقصى " ويصور هذا المبدأ في صورتين إثنتين إحداهما سلبية هي قلل من الكلام غير المؤدب ، والثانية ايجابية هي أكثر من الكلام المؤدب .[٤]

لقد قدم " ليتش " هذا الإنموذج منطلقا من نقد مبدأ التعاون لكرايس ساعيا لتكملة النقص

---

[١]- ينظر التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب : ٤٩

[٢]- ينظر اللسان والميزان : ٢٣٤

[٣]- ينظر م . ن : ٢٤٤

[٤]- ينظر م . ن : ٢٤٦

الذي يشوب هذا المبدأ ويشير " ليتش " إلى أنَّ " مبدأ التأدب " خاضع لخصوصيات المجتمع .

بالإضافة إلى هذه القواعد فقد استلهم طه عبدالرحمن من تراث العربي الإسلاميّ قواعد تخاطبية تنوب عن هذه القواعد وأدرجها ضمن مبدأ سماه " مبدأ التصديق ". وقد اتخذ هذا المبدأ الراسخ في التراث الإسلاميّ صورا مختلفة منها " مطابقة القول للفعل " و" تصديق العمل للكلام " .[١]

إنّ تلك المبادئ التي تناولت الإقتصاد والوضوح وتجنب الإسهاب واللجوء للمترادفات تعرضت للإنتقاد من قبل مبدعي الأدب ؛ لإنّها قد لا تلائم كلّ المقومات التي يتم فيها التواصل ، فالوضوح والتشكيل ، كما إنّ حرية الإبداع ترفض إملاء أي شرط من الشروط في تعبيرها على التجربة الفنية ؛ لأنّ هذه التجربة محكومة بذاتها وربما تمليه عليها شروط اللحظة الإبداعية وحدها .[٢]

وهناك من يرى أنّ التواصل غير العادي والتفاعل النشيط الفعّال في حالة النص الأدبي بين المؤلف ومجموعة من القرّاء المحتملين هو نتيجة لوجود رسالة شخصية بين المؤلف إليهم ومن أجل أن يكون ذلك التواصل ناجحا ينبغي أن يتّبع قواعد أو مبادئ أهمها مبادئ التعاون ومبدأ الإستلزام ومبدأ العدول .[٣]

ومن الجدير بالذكر أنّ الفيلسوف المغربيّ طه عبد الرّحمن قدّم نقدا لمبدأ التعاون الحواري لكرايس فقد نعى عليه التركيز على الجانب التبليغي من دون التركيز على الجانب التعاملي المتصل بالإجتماع والأخلاق اللذين يؤطران القيمة التهذيبية في الكلام

---

[١]- آفاق وتحليل ، شيتر رحيمة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة محمّد خيضر – بسكرة ، ع ٢و٣ ، ط ١ . ٢٠٠٨ م :

[٢]- ينظر التّداوليّة في البحث اللغوي والنقدي : ١٥ – ١٦

[٣]- المقاربة التّداوليّة : ٥٤ ، وانظر أيضا التّداوليّة من أوستين الى غوفمان : ١٦٥

التي تتحكم بدورها في صناعة المعنى وتوجيهه في التخاطب اليومي .[١]

إنّ مختلف الأعمال التي انتقدت كرايس ذهبت الى الإقرار بأنّ الإنموذج الحواري الذي قدمه لم يأخذ بعين الإعتبار العديد من السّلوكيات اليومية العادية التي تتوفر على دلالة أكبر مما شكل حقل اهتمامه ، بالإضافة الى أنّه أسقط الجانب التهذيبي من اعتباره واكتفى فقط بالتبليغ في التحاور . وعليه فأنّ نظريته لم تكن تهدف الى بسط نموذج نظري متكامل للتفاعلات الحوارية التي تتصل بالحياة اليومية بقدر ما استهدفت تحديد صنف من أصناف الإستدلال يتمثل في الإستلزامات الحوارية . ومجمل الإنتقادات التي وجهت إليه لم تأبه بما أشار إليه في عبارته التي جاء فيها " هناك أنواع شتى لقواعد أخرى جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبيل لتكن مؤدبا والتي يتبعها عادة المتحاورون في أحاديثهم والتي قد تولد معاني غير متعارف عليها على اعتبار أنّه لم يعر أهمية كبيرة لمختلف الجوانب الاخرى التي ترافق الحوار .[٢]

هذه هي اتجاهات الدرس التّداوليّ الحديث التي عُنيت بقواعد التخاطب والتي يعمد المتكلمون الى احترامها بغية انجاح العملية التواصلية أو الرفع من القوى الإنجازية للفعل الكلاميّ أو بغية تحقيق مكاسب معينة على الصعيد الإجتماعي والسّياسيّ .

إنّ القواعد السابقة مصممة في الغالب لمدونة الكلام العادي ولكن النص الأدبي عموما والشّعري بصفة خاصة يحتفي بفكرة التخاطب من عدة جوانب وهي تخاطبات معقدة الأطراف ، كما أنّها تحتاج إلى مجموعة من الإجراءات والقوانين التي تسهل عملية تجاوب الأطراف ولاسيّما وإن هذه التخاطبات تجري على عدة مستويات افتراضية وفعلية . وعليه هل يمكن ان نستعير تلك القواعد التي تخص التخاطب اليومي الى حقل التخاطب الشعري ؟ لعل النص الشعري في بعض وجوهه يرسم فضاء لتحقـق بعـض القواعد ولربّما يحتفي

---

[١]- ينظر اللسان والميزان : ١٩ – ٢٠

[٢]- ينظر الإستلزام الحواري في التّداول اللساني : ١١٨

النص الشعري أكثر من غيره من النصوص ولنبدأ من قواعد التعاون ، فقاعدة الكم لها حضور خاص في الشعر إذ النص الشّعري مرهون بمدى مراعاة هذه القاعدة حتى قيل أنّ البلاغة هي الإيجاز ، كما عُدّ قبول النص واستساغته من لدن القُرّاء خاضعا لهذه القاعدة الكمية .

أما قاعدة الجهة فتعد هذه القاعدة من بين أكثر القواعد احتراما وادعاها لنجاح التجربة الشعرية ولكن قد تكشف بعض النصوص الشعرية أن هذه قد تخرق لاسيما في المخاطبات الداخلية عندما يكلم الشاعر مثلا الممدوح خليفة أو غيره من دون استخدام اللقب المناسب لهذه المخاطبات بل يتيح النص الشعري أن يأمر وينهى في الوضع الذي لا تتاح هذه الأفعال على مستوى التواصل العادي أن هذا الخرق في الواقع لا ينتج من عدم مراعاة الخليفة بل ينتج من مراعاة مقام أولى بالمراعاة من مقام الخليفة وهو مقام الشعر الذي يفضي إلى تعديل رؤية المخاطبات وقبولها في سياق الفعل الشّعري لا الفعل العادي .[١]

وعليه ليس من الصعب العثور – في الأدب – على كل التجاوزات الممكنة بالمقارنة مع كل القواعد . الحال أنّ المتلقي لنص أدبي ما سيكون لديه ميل للبحث في تفسير كل اختراق ممكن بوصفه تضمينا بوصفه تجاوزا ظاهريا فحسب يتموضع ضمن توافق تعاوني عميق ، وذلك بتوظيف شرط حسن العرض وتوظيف قيمة الإنموذج الواجب تقييمه. إنّ مبدأ التعاون في الأدب وفق عبارات (برات) هو مبدأ بالغ الحماية أو أن يفترض أن يكون كذلك ، أو كما يكتب (فان ديجك) بينما يرى المؤلف حرا في تحديد بناء ملفوظه فإنّ القارئ هو المطالب بالتعاون بالشكل الأقصى وينتظر منه أن يتعرف على معلومة بنائية اضافية ، البحر الشعري بنية احدى القصص مثلا ، وكذلك أن يقدم تفسيرات جديدة وأن يفترض فرضيات أو مقولات إنْ أمكن .[٢]

---

[١]- التّداوليّة آفاق وتحليل : ١٣٩ – ١٤١

[٢]- ينظر التّداوليّة ، فرناند هالين ، ترجمة د.زياد عزّالدين العوف ، الآداب العالمية ، بحث على الإنترنت : ٧٣

بذلك نكون أنهينا تمهيدنا لمفهموم مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه والمبادئ التي تضبط بها الحوار وأهم الإتجاهات التي عنيت بقواعد التخاطب وأخيرا الإنتقادات الموجهة لمبدأ التعاون متوجهين بذلك الى المباحث التطبيقية . وتذكيرا لقاعدة الكم قبل الإستشهاد بنماذج شعرية من ديوان أبي نواس نقول : أن قاعدة الكم : " تعتبر حدا دلاليا القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة وتتفرع بدورها الى : (أ)- لتكن افادتك للمخاطب على قدر حاجته . (ب)- لا تجعل افادتك تتجاوز حد المطلوب " . [١]
ولتوضيح ذلك نضرب الآن أمثلة . قال أبو نواس :[٢]

سألتُ أخي أبا عيسى وجبريلَ لهُ عقـلٌ

فقلتُ : الراح تقتلني ؟ فقالَ : كثيرها قتلُ

هذه المحاورة جرت بين المتكلم أبي نواس والمخاطب أبا عيسى* وقد نهض التواصل الكلامي هنا على مبدأ التعاون لأنّ طرفي الحوار متشاركان ومتفاعلان . فالمخاطب جعل مشاركته – أي جوابه – وهو قوله : " كثيرها قتل " تفيد القدر المطلوب من سؤال أبي نواس : " الراح تقتلني ". تنم اجابة المخاطب " كثيرها قتل " على علم واختصاص وهذا أمر لا غبار عليه . إذا علمنا أنَّ المخاطب هو طبيب شهير والمسَلم به طبيا أنَّ شرب الخمرة بكميات كبيرة يؤدي الى الموت ، أما تعاطيها بكميات قليلة فلا تؤدي النتيجة نفسها ، ومن ثم فإنّ المخاطب " جبريل " لم يزد في الإجابة ولم ينقصها بل اجاب اجابة شافية ومفيدة وغنية على قدر حاجة السؤال ." الراح تقتُلني ؟ " وفي الوقت نفسه طابقت اجابة المخاطب قاعدة الكيف ؛ لأنّها اجابة حقيقة وصادقة ، ويمتلك قائله دليلاً على صدقه بحكم

---

[١]- الإستلزام الحواري في التّداوليّ اللساني : ١٠٠

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ١٩٥

* جبريل طبيب شهير ، سرياني نسطوري ، يقال له بتخيشوع

اختصاصه وخبرته في مجال الطب . فتعاطي الخمرة بكميات كبيرة هي قاتلة لشاربها ومن ثم فالمخاطب ليس بكاذب ويستطيع البرهنة على صدق كلامه على المستويين التنظير والتجريب . وبما أنّ جواب المخاطب – جبريل- كان مقيدا بموضوع الحوار وذا علاقة بموضوع الخمر فقد نتج عن ذلك نجاح التفاعل بينهما .

إنّ السامع والقارئ لإجابة الطبيب بوصفه مخاطبا يجد قوله : " كثيرها قتل " يتميز بالوضوح والإيجاز والترتيب ، علما أنّ الترتيب يُستشف هنا استشفافا ؛ لأنّ " كثيرها قتل " يأتي وجوديا بعد قليلها لا تقتل ، أو يمكننا تأويل اجابة الطبيب بالنحو الآتي : أنّ الراح القليل لا تقتل بل كثيرها قتل .

إذن نخلص إلى القول أنَّ المتحاورين تصرفا بشكل معقول وتعاوني ، وكان سلوكهما اللغوي في المحاورة بعيدا عن التشويش أو الخداع او اخفاء معلومات ذات صلة عن احدهما الآخر بعبارة اخرى إنّهما احترما مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه .

وفي ضوء مقاربة " روبين لاكوف " لقوانين الخطاب نجد عملية التخاطب بين المتكلم أبي نواس والمخاطب أبي عيسى جبريل قد ترشحت منهما بالإضافة الى التعاون مبادئ التأدب التي ظهرت في بعدين هما :

الوضوح والتأدب . أما الأوّل فقد تم بيانه ، وأما الثاني فقد تجلى من خلال عبارة " سألت : أخي أبا عيسى " من البيت الأوّل ، إذ تحمل دلالة " أخي " و" أبا عيسى " معاني الودُّ والحب والقرب والإحترام من قبل المتكلم كما أنّ السّياق اللغوي يكشف لنا قوة العلاقة الإجتماعية بين المتخاطبين بدليل قول أبي نواس في موضع آخر :[1]

سألتُ : أباعيسى وجبريلُ فاضلٌ وليسَ سواءِ جاهلٌ وعليمُ

فقلتُ : آراني لا أزالُ كأنّـــــني سليمٌ فقالَ: المُستهامُ سليمُ

---

[1]- ديوانه ، إيفالد فاغنر : ٣ \ ٢٩٠

ومن الشواهد على احترام مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه قول أبي نواس في احدى خمرياته :[1]

فقلت: بِكم رطلٌ ؟ فقالتْ بأصفرٍ فحُزتُ زِقاقاً وِزْرهُنَّ عظيمُ

نجد في هذه العملية التخاطبية المتكلم \ أبا نواس والمستمعة \ بائعة الخمر مشتركان في لمحادثة ومتعاونان فيما بينهما كما ينبغي . وأول علامات التشارك لإنجاح الإشارة هي الإيجاز في السؤال والجواب وقبول الإفتراضات المسبقة لكلا الطرفين إذ جاء السؤال موجزا " بكم رطل ؟ " ، فكانت الإجابة بلفظة واحدة هي " بأصفر" أي بدينار أصفر .

وتشير الوحدة اللغوية المحذوفة – دينار- إلى الكفاية الموسوعية لطرفي الحوار . وهذا التفاعل التخاطبي المصوغ بنيويا صياغة استفهامية " بكم رطل ؟ " حصلت المطابقة بين المساهمة الحوارية وبين مقتضيات الغرض من الحوار على النحو الآتي :

من زاوية قاعدة الكم أفاد جواب بائعة الخمر " بأصفر ؟ " القدر المطلوب من السؤال ، أي مجيء هذا الخبر دون زيادة أو نقصان وبما أنّ طرفي الحوار صادقان في قولهما ، لأنّ المتكلم أبا نواس استفهم لكي يشتري ثم يشرب ، ولأنّ المستمعة – وهي صاحبة حانة لبيع الخمور – تعلم أنّ المتكلم من رواد حانتها ومن معاقري الخمرة المعروفين إذن هما نطقا صدقا وقالا الحقيقة . وأيضا لم يخرق أبو نواس قاعدة الملاءمة ؛ لأنّ سؤاله كان موجها لمخاطب يتخذ هذا العمل صنعة له . والمرسل تكلم في الموضوع الذي اقتضاه الحوار مع هذه المرأة أي الهدف من دخول الحوار مع المرأة هو شراء الخمر وشربها .

وأمتاز اسلوب المتحاورين بخصائص منها الوضوح ، لأنّ المتكلم أستفهم بشكل صريح وواضح لا غموض فيه ولا لبس ، إذ قال : " بكم رطل ؟ " ، وكذلك كان موجزاً في الإستفهام عن سعر الخمر .

---

[1]- ديوانه ، الغزاليّ : ١٣٢

ونلمس أيضا الترتيب في بنية الحوار ؛ لأنّ المتكلم لم يسأل عن سعر الخمر إلا بعد أفعال تمهيدية للتحقق من نوع الخمرة كما واضح في الأبيات التي سبقت موضع الشاهد إذ قال الشاعر :[1]

ودهقانةٍ ميزانها نصبَ عينـــــها ... وميزانها للمشترين غـــشومُ

فأعطيتُها صفراً وقبـــلتُ رأسَها ... على أنَّني فيما أتــيتُ ملـــيمُ

وقلتُ لها: " هُزي الدِنــان قديمة " ... فقالتْ: نعم إنّي بذاك زعيـــمُ

ألستَ تراها قد تعـــفّتْ رسُومها ... كما قد تعفّتْ للديارِ رســـومُ

يحومُ عليها العنكبـــوتَ بنسـجِها ... وليس على أمثالِ تلك يحــومُ

ذخيـــرةُ دهـــقانٍ حواها لنـفسِهِ ... إذا مَلِك أوفى عليه وســـيمُ

وما بـــاعها إلا لعظم خراجـــه ... لأنّ الذي يجبي الخراج ظلومُ

فقلتُ:"بكم رطل؟" فقالتْ: "بأصفرٍ" ... فحُزتُ زقاقاً وزرهن عظيــمُ

وأخيرا نقول أنّ مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة متحققة كلها في هذه المحاورة القصيرة " بكم رطل ؟ فقالت : بأصفر " لقد أجابت تاجرة الخمر اجابة واضحة (الطريقة) ، وكانت صادقة (الكيف) واستخدمت القدر المطلوب من دون زيادة ولا نقصان (الكم) وأجابت اجابة ذات صلة وثيقة بسؤال أبي نواس .

---

[1]- م . ن : ١٣١ - ١٣٢

المبحث الثاني

الاستلزام التخاطبيّ أو الحواريّ

الحوار \ التحادث في معناه الضيق هو كل تبادل كلامي مباشر بين شخصين ، وفي مفهومه الواسع هو كل كلامي أيا كان نوعه : التراسل وأقوال المتخاطبين وتفسيرات المعلمين ... مناجاة الممثلين فهذه وإن تكن وحيدة الجانب إلا إنّها في بنيتها الدلالية والإسلوبية هي بالضرورة حوارية . ويوصف الحوار \ التحادث تبادلا كلاميا فإنّه يمثل الوجه الوجودي والطبيعي والوظيفي والتكويني الأوّل للغة . والتحادث يجري في أمكنة اجتماعية مختلفة ويجري وفقا لطقوس معينة مختصة بكل بيئة محلية وهذا الوجه الطقوسي الإجتماعي يضغط على المتحدثين حتى يبقوا محافظين على وجههم الإجتماعي. والتحادث خليط مزيج يشترك فيه أشخاص عديدون من غير تعيين أي موضوع بينما الحوار على أشخاص محدودين وعلى موضوع معين بدقة والتحادث يعبر عن وجهة نظر نفسية \ اجتماعية (المقابلات – المحادثات التلفزيونية) . أما الحوار فوحدة تأليفية نصية شفهية أو كتابية .[١]

أما الإستلزام الحواري فيعدُّ واحدا من أهم من الجوانب في الدرس التّداوليّ فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه وأبعدها عن الإلتباس بمجالات الدرس الدلالي ، وعلى الرغم من ذلك فليس له – خلافا لكثير من موضوعات البحث التّداوليّ – تاريخ ممتد ، إذ يرجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي دعا كرايس وهو من فلاسفة اكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية التي ألقاها في جامعة هارفاد عام ١٩٦٧ فقدم فيها بإيجاز تصّوره لهذا الجانب من الدرس والأسس المنهجية التي يقوم عليها ، وقد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرات عام ١٩٧٥ في بحث له يحمل عنوان " المنطق والحوار" .

لقد كانت نقطة البدء عند كرايس هي أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد

---

[١]- ينظر النقد النصي : ٢٥٦- ٢٥٧

يقصدون أكثر مما يقولون وقد يقصدون عكس ما يقولون فجعل كل همه ايضاح الإختلاف بين ما يقال وما يقصد ، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الإستعمال ووسائل الإستدلال ، فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح فنشأت عنده فكرة الإستلزام .[١] وقد أشتق كرايس مصطلحه الجديد من المصدر " implicute " ذاته وتخصيص عملية الإستدلال التي تجري في التّداول اللغوي باسم implicature تمييزا لها عن implication المتعارف عليها .[٢]

والجدير بالذكر أن مصطلح implica tureca ture تباينت ترجمته ، فمنهم من ترجمه إلى الإستلزام وهو الأغلب الأعم ، ومنهم ترجمه الى التضمين .[٣] وثالث ترجمه بمعنى الإقتضاء .[٤] ورابع أطلق عليه التلويح الحواري .[٥] وقد عرفه اللغويون العرب حق

---

[١]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٣- ٣٤

[٢]- ينظر الإستلزام الحواري في التّداول اللساني : ١٧

[٣]- انظر التّداوليّة : ٦٥ ، عندما نتواصل نغير – مقاربة تداوليّة معرفية لآليات التواصل والحجاج ، د. عبدالسلام عشيرة ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٦ م : ٤٦ ، اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة د.عبّاس صادق الوهاب ، مراجعة د.يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، ١٩٨٧ : ٢٢٩

[٤]- ينظر الإقتضاء في التّداول اللساني ، عادل فاخوري ، مجلة عالم الفكر ، اكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ، ع ٣ ، ١٩٨٩ م : ١٤١

[٥]- ينظر نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي ، هشام إ. عبدالله الخليفة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م : ١٥٩

المعرفة واسموه التعريض والمجاز المركب .[١] عندما قالوا أنّ التعريض هو ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السّياق سواء أكان المعنى حقيقة أو مجازاً أو كناية وأعطوا أمثلة على كل حالة .[٢]

وهذا ما رآه محمد يونس عليّ من أنّ بعض أنواع الإستلزام المعروفة عند الغربيين هي ما يصنفه الأصوليون على أنّه تعريض . أما الشّهري فيذهب إلى القول أنّ التعريض لا يخلو من علاقة بقواعد مبدأ التعاون عند كرايس لاسيما قاعدة العلاقة ، فالتعريض دليل احترام المرسل لهذا المبدأ ويتضح احترامه من خلال انتاج الخطاب وفقا لما تتطلبه قاعدة العلاقة .[٣] وقد يقع الخلط بين الكناية والتعريض وقد فُرِق بينهما حسب درجة ارتباط ظاهر الملفوظ بقصد المرسل مما نتج عنه فروق ثلاثة هي :

١ – إنّ الكنايّة واقعة في المجاز ومعدودة فيه بخلاف التعريض فلا يعد منه وذلك من أجل كون التعريض مفعوما من جهة القرينة فلا تعلق له باللفظ لا من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز .

٢– إنّ الكنايّة تقع في المفرد والمركب بخلاف التعريض فإنّه لا موقع له في باب المفرد

٣- إنّ التعريض أخفى من الكنّاية ؛ لأنّ دلالته من جهة القرينة ، وأما الكنايّة فدلالتها من جهة اللفظ بطريق المجاز .[٤]

وفي الواقع أنّ دلالة فعل استلزام imply على اللزوم ضعيفة ضعف فعل تضمن .[٥]

---

[١]- م . ن : ١٦٧

[٢]- م . ن : ١٨٤

[٣]- ينظر استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٤٢١

[٤]- الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي، مراجعة وضبط وتدقيق ، محمّد عبدالسّلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ : ١٨٧

[٥]- ينظر نظرية أفعال الكلام العامة : ٦٢

ومن ثم فإنّ ترجمة implhcature إلى الإقتضاء غير دقيق ؛ لأنّ العلاقة بين معنى الصيغة والمغزى في الإقتضاء هي علاقة لزوم لاسيما في أساليب الطلب . والإقتضاء هو الطلب أو أقل معاني الطلب وهو محتمل لعدة معان اضافية حسب السّياق .[١] كما أنّ مصطلح الإقتضاء في التراث العربيّ الإسلاميّ لاسيما عند الأصوليين لابد فيه من إرادة القصد وموجبه .[٢] وهذا المعنى يقترب من مفهوم الإقتضاء عند ستالينكار الذي يرى أنّ الإقتضاءآت تحيل على الإعتقادات الخلفية أي على القضايا التي يعتبرها المتكلم صادقة وأنّ الإقتضاء ينسب إلى الأشخاص المتكلمين لا إلى الأقوال .[٣] وهو بذلك يخالف ما ذهب اليه جورج يول في أنّ الإستلزام ينبه من الجملة بغض النظر عن صحة اعتقاد المتكلم أو بطلانها .[٤] ويقترب دلالة مستوى المفهوم بوصفها المستوى الثالث من مستويات تصنيف الخطاب لديكرو من دلالة الإقتضاء والإستلزام فهو يرتبط بما يستخلصه (يستنتجه) المخاطب خارج الدلالة الحقيقية للكلمات .[٥] ويرى الباحث أنّ الإستلزام والإقتضاء متشابهان من حيث أنّهما يندرجان تحت المعاني الضمنية وهي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ولكن للسّياق دخلا في تحديدها والتوجيه اليها . أما الفرق بينهما فهو أنّ الإستلزام يتولّد من خرق مبادئ الحوار حصرا وفي الإقتضاء لا يشترط ذلك . ومما يعضد ذلك ما ذهب اليه كل من آن روبول وجاك موشلار في أنّ الإستلزامات التخاطبية هي قريبة من الإقتضاءآت .[٦]

---

[١]- ينظر نظرية الفعل الكلاميّ : ٥٤٧

[٢]- ينظر م . ن : ٥٥٢

[٣]- ينظر القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة : ٢٤٩

[٤]- ينظر التّداوليّة : ٥١- ٥٢

[٥]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٤٨١

[٦]- ينظر القاموس الموسوعي للتّداوليّة : ٥٧١

وتحصل ظاهرة الإستلزام التخاطبي إذ خرق احدى القواعد الأربع التي نهض عليها مبدأ التعاون ، وهذه المبادئ هي :[١]

١- قاعدة الكم : تعد حدا دلاليا القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة وتتفرع بدورها الى : (أ)- لتكن افادتك للمخاطب على قدر حاجته. (ب)- لا تجعل إفادتك تتجاوز حد المطلوب .

٢- قاعدة الكيف : القصد منها منع ادعاء الكذب أو اثبات الباطل ، ولهذا يطلب من المتكلم ألا يورد من العبارات سوى التي وقف على دليل يثبت صدقها ، وقد تم تفريعها الى : (أ)- لا تقل ما تعلم خطأه. (ب)- لا تقل ما ليس لك عليه دليل .

٣- قاعدة العلاقة أو الورود : وهي بمثابة حد مقصدي ، الهدف منها منع المتكلم من أنّ ينزلق الى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب وتقول هذه القاعدة " ليناسب مقالك مقامك " ، وترمي الى أنّ يناسب القول ما هو مطلوب في كل مرحلة أي وجوب تعلق الخبر بالمقام .

٤- قاعدة الجهة أو الكيفية : ترتبط بالقاعدة الأساسية التي نعبر عنها ب " التزم الوضوح " وتتفرع إلى : (أ)- لتحرز من الإلتباس (ب)- لتحرز من الإجمال (ت)- لتتكلم بإيجاز (ث)- لترتب الكلام . ويمكننا أنّ نشير إلى أنّ أهم ما يمتاز به الإستلزام الحواري من خصائص هي : (١)- خرق ايجابي مقصود لإحدى مبادئ الحوار مع الإحتفاظ بمبدأ التعاون . (٢)- التركيز على قصدية المتكلم وقدرة المخاطب على كشف نوايا المتكلم . (٣)- الإستلزام هو معنى متضمن وهذا المعنى يتغير بتغير السّياق والمقام (٤)-الإستلزام يتطلب كفاءة تواصلية ؛ لكونّه فعلا تواصليّا غير مباشر ، ويعتمد في العادة على خلفية من المعلومات المشتركة بين المتكلم والمخاطب . (٥)- أصل الخطاب حسبما تفترضه هذه النظرية وجود مبادئ حوار ومحادثة يلتزم به المتكلم والمخاطب.

---

(١)الإستلزام الحواري في التّداول اللساني : ٩٩ – ١٠٠

وعلى الرغم من اعتراف كرايس بإمكان تولد مدلول الإستلزام الحواري حتى مع احترام المتكلم لكل تلك المبادئ وعدم خرقه لأيّ منهما فإنّه ينبه على أنّ تولد المدلولات الإستلزامية الحوارية غالبا ما يحدث نتيجة خرق المتكلم بشكل ظاهري على الأقل لواحدة أو أكثر من تلك القواعد مع بقاء تقيده بمبدأ التعاون .[١]

وهذا يعني أنّ الإستلزام الحواري يجري بطريقتين مختلفتين على الأقل وذلك تبعا للموقف الذي يتخذه المتكلم من القواعد .

الطريقة الأوّلى : أنّ يراعي المتكلم القواعد والقوانين بشكل صريح تاركا مهمة توسيع وابراز ما قيل باللجوء الى استدلالات مباشرة انطلاقا من مراعاة المتكلم للقواعد وما يمكن أن نسميه ب " الإستلزام الإنموذجي ".

الطريقة الثانية : أنّ يخل المتكلم عن قصد بقواعد الحوار وقوانينه ، أو كما يعبر عن ذلك كرايس عندما يستخف " flaut " المتكلم بهذه القواعد . وعليه يمكن وصف هذا النوع من الإستلزام الناتج على الإخلال بالقواعد . وسواء أكان الإستلزام نموذجيا أم ناتجا عن الإخلال بقواعد الحوار فأنّ سياق الكلام وتأويل المخاطب لما يستمع اليه يبقيان محددين أساسين في توجيه الفهم وتحديد المعنى المراد دون غيره .[٢]

وفي اطار اشتغاله على التفريق بين المعاني الصريحة (ما يقال) والمعاني الضمنية (ما يقصد) قسم كرايس الحمولة الدلالية على أساس هذين المعنيين ، وأوضح ذلك على النحو الآتي :-

(١)- المعاني الصريحة : هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل ما يلي :-

(أ)- المحتوى القضوي : وهي مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها الى بعض

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ١٦٣- ١٦٤

[٢]- ينظر الإستلزام الحواري في التّداول اللسانيّ : ١١٣

في علاقة اسناد .

(ب)- القوة الإنجازية الحرفية : وهي القوة الدلالية المؤشرة لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة اسلوبية ما ، كالإستفهام ، والأمر ، والنهي ،والتوكيد ،والنداء ، والاثبات والنفي .

(٢)- المعاني الضمنية : هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ولكن للسّياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها وتشمل ما يأتي :-

(أ)- معاني عرفية : وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين مثل معنى الإقتضاء .

(ب)- معاني حوارية هي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة مثل الدلالة الإستلزامية .[١]

ومهما يكن من أمر القوانين والمعايير التي وضعها كرايس لتقييد الحوار بين المتخاطبي فإنّها تبقى قوانين ومعايير على الرغم من قبولها فهي غير منضبطة تمام الإنضباط ؛ لإنّ هناك أنواعا من الحوارات تخالف هذه المبادئ تماما وهذا الإختلاف هو الجدير بالإحترام بل أنّ نظرية الإستلزام قائمة عليه ؛ لأنّ احترام المتكلم والسامع القوانين في مبدأ التعاون والعمل بموجبها يعني أنّ ما يقوله المتكلم مفهوم لدى السامع ، ولا قيمة للحوارية إذن ؛ لأنّها تدخل فيما أسماه كرايس بالإستلزام العرفي الذي يكون معلوما للطرفين المتحاورين ، وعليه فإنّ انتهاك قواعد اللعبة هو الذي يولد الإستلزام . ولقد أشار آن روبول وجاك موشلار إلى أنّ هذه القواعد والمعايير إلى أنّها مبادئ - ولهذا فهي تختلف - أكثر من كونها قواعد ومعايير ؛ لأنّ قواعد المحادثة لا تمثل مجرد معايير ينبغي للمخاطبين اتباعها فحسب بل تمثل ما ينتظرونه من مخاطبهم فهي مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معيارية أو

---

[١]- ينظر التّداوليّة عند العلماء العرب : ٣٤ ــ ٣٥

قواعد سلوك .[١] ومن ثم فإنّ هدف كرايس من نظرية الإستلزام الحواري في الأصل هو وضع آليات ضابطة للحوار من خلال المحادثة اليومية المباشرة وليس في صدد تأسيس وتبني شاملة تأخذ على عاتقها حصر العملية التخاطبية بتلك القوانين أو المبادئ .[٢]

لقد تم النظر إلى ظاهرة الإستلزام الحواري بعد كرايس على أساس أنّها نظرية تعدد الأفعال الى المحتوى القضوي الواحد في هذا الإطار قسم سورل الجمل من حيث عدد الأفعال اللغوية المواكبة لها على قسمين قسم من الجمل الذي يواكبه فعل لغوي واحد وقسم آخر من الجمل ويواكبه أكثر من فعل لغوي وتحديدا وفعلين لغويين مباشر وغير مباشر مدلول عليه سياقيا أو المستفاد من المقام .[٣]

وبعد هذه المقدمة التي مهدت لنا الطريق للمسك بالقصد التواصلي للمتكلم يمكن لنا الآن أن نلج الى المتن الشّعري النواسيّ مستهلين ذلك ب :

(١)- مبدأ الكم : وينص هذا المبدأ على " أنّ كمية الأخبار التي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرع الى مقولتين :

(أ)- لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب .

(ب)- اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الأخبار ".[٤]

من الشواهد التي خرقت مبدأ الكم وعدلت عنه وضُخ فيها كمية من أكثر من المعلومات أو الأخبار إلى المرسل اليه أثناء المساهمة الحوارية قول أبي نواس يخاطب النظام :[٥]

---

[١]- ينظر التّداوليّة اليّوم : ١٥٧

[٢]- ينظر استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة : ٢١٢

[٣]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٢٦٦ – ٢٦٧

[٤]- ينظر م . ن : ٤٥

[٥]- ديوانه ، الحديثيّ : ٧٤ - ٧٦

١- دَعْ عنكَ لومي فإنّ اللّومَ إغــراءُ ... وداوِني بالتي كانت هي الـــداءُ

٢- صفراءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتَها ... لو مسَّها حجرٌ مسَّته سـَـــرَّاءُ

٣- من كفِّ ذاتِ حِرٍ في زيٍّ ذي ذكر ... لها مُحِبّان لوطيٌّ وزنـَّـــاءُ

٤- قامت بإبرِيقِها واللّيلُ مُعْـــتَكرٌ ... فَلَاحَ من وجهِها في البيتِ لأْلاءُ

٥ -فأرسلتْ من فمِ الإبريقِ صافـيةً ... كأنّما أخـذُها بالعـينِ إغفـاءُ

٦- فلو مزجتَ بها نوراً لمازجَـها ... حتّـى تـولَّدَ أنـوارٌ وأضـواءُ

٧-دارتْ على فتيةٍ دانَ الزَّمانُ لـهم ... فما يُصيـبُهُم إلا بما شـاؤا

٨-لِتلكَ أبكي ولا أبـكي لمنزلةٍ ... كانتْ تَحُـلُّ بها هندٌ وأسمـاءُ

٩-حاشا لِدُرةٍ أن تبُـنى الخيامُ لهـا ... وأنْ ترُوحَ عليها الإبـلُ والشاءُ

١٠-فقلْ لمَنْ يـدّعي في العلمِ فلسفةً ... حفظتَ شيئاً وغابتْ عنـكَ أشياءُ

١١-لا تحظُرِ العفوَ إنْ كنتَ إمْرَأً ... فإنّ حَضْرَكُـهُ في الدينِ إزرَاءُ

في هذا الخطاب التواصلي نجد المتكلم الذي هو في الحقيقة مخاطب يرفض أو يطلب النهي في اللوم عن شرب الخمر ؛ لأنّ الخلفية التواصلية غير المشتركة بينها .

إنّ سياق الموقف*يتضمن نقطتين الأوّلى اللوم على شرب الخمرة والمجاهرة بالعصيان ، والثاني إنّ مآل هذا العمل في رأي المعتزلة هو الخلود في نار جهنم ومن ثم كان الأوّلى بالمتكلم أنّ يتجنب هذه الإطالة في الجواب وأن يقتصر على الأبيات (١و١١و١٢) .

---

* كان أبو نواس قد مرّ بالنّظام وهو يناظر في الوعيد ويقول : من مات مرتكبا لكبيرة غير تائب منها لم يعف الله عنه وخلده في النار ، فخاطبه أبو نواس بقوله : فقل لمن ... ينظر الحديثي : ٧٦

أما الأبيات من (٣-١٠) فقد أفادت أكثر مما هو ؛ لأنّها تتحدث عن لون الخمرة وأثرها في الإنسان والجماد والساقية وصفاتها الجسدية وزيبها وكذلك مجالس الشراب وروادها من الفتيان والموازنة بين حياتين هما اللهو والبدو . وهذا الخرق لمبدأ الكم استلزم دلالة الترويج للخمرة ولذاتها وبيان صفاتها .

ومن النماذج على انتهاك مبدأ الكم قول أبي نواس :[١]

١- قالوا: اغتسلوا حانتِ الظه رُ و الكؤوسُ تدورُ

٢- فقلتُ: سَوفَ ،فقـــالـــوا تركُ الصلاةِ كبـيرُ

٣- فقــلتُ لا تعذلـــونـــي فأنّني معـــــذورُ

في السيناريو الآنف دار التواصل بين جماعة من النّاس ، وبين أبي نواس ودخلت تلك الجماعة في حوارية مع أبي نواس من خلال الفعل الإنجازي (اغتسل) وكان الدافع لهذا الإغتسال هو أن صلاة الظهر قد حانت وهم سكارى ، فكان جواب المخاطب (سوف) .

نجد أبا نواس لم يوفر كمية مناسبة من المعلومات ، أي أنّ اجابته أقل من المطلوب وهذا يستلزم أن يفهم السامعون أنّه لا ينوي الإغتسال الآن بدليل أن (سوف) حرف دال على الإستقبال ، ومن ثم لا يريد أن يقول (نعم الآن) حتى لا يكون جوابه ملزما ويترك مجالا للمناورة والتأخير في الغسل .

(٢)- مبدأ الكيف : وينص هذا المبدأ على أنّ لا تقل ما تعتقد أنّه غير صحيح ، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه .[٢]

---

[١]- ديوانه ، الحديثيّ : ٩١٤

[٢]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو ، عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي " ، يحيى بعيطيش : ١٠٨

ومثاله الحوار بين أبي نواس وتاجر الخمرة إذ قال :[1]

١ -سألتُ تاجرَها: كم ذا لعاصرِها؟ فقال: قصَّرَ عن ذاك إحصائي

٢-أنُبئــتُ أنّ أبا جــدي تَخيــرّها مِن ذُخْرِ آدمَ أو مِن ذُخرِ حَواءِ

في هذا الحوار خرق تاجر الخمر مبدأ الكيف الذي يقتضي ألآ يقول إلا ما يعتقد صوابه وألآ يقول ما لا دليل عليه وقد خرقه عمدا ليظهر لأبي نواس أن سؤاله غير صحيح ؛ لأنّه بائع للخمرة وليس عاصرها . أما قوله : " قصّر عن هذاك احصائي " و " نبئت أنّ أبا جدي..." فيستلزم أنّ الخمرة قديمة قدم آدم وحواء ، أي أنّها خمرة معتقة ادّخرت من زمن قديم وهي عالي الجودة وهذا ما قصده أبو نواس من سؤاله : " كم ذا لعاصرها ؟ " فالعبارتان : " كم ذا لعاصرها ؟ " و" نبئت أن أبا جدي " . تحملان دلالة أو شيئا غير ما تقوله الكلمات . ومن خلال عدم اعطاء جواب محدد من قبل المخاطب – بائع الخمر- نمَّ هذا الجواب عن جهل بزمن الإنتاج . أما الأخبار عن معلومة في سندها وتوثيقها شك ، كقوله :

أنبئت أن أبا جدي تخيَرها من ذخر آدم أو من ذخر حواء

فهذه الإجابة لا دليل على صحتها سوى هذا الخبر وهو خبر مقطوع سلسلة رواتها للمدة الواقعة بين أبي جد البائع وبين آدم وحواء ، لكن الإدلاء بهكذا معلومة كان يقصد البائع من ورائه قصد محدداً و يتمثل ذلك بقدم زمن الخمرة وذلك يستلزم جودتها وارتفاع ثمنها. ومن النماذج على انتهاك مبدأ الكيف قول أبي نواس يصف كلابا لداوود بن سليمان بن

أبي جعفر أحد أمراء الدولة العبّاسية إذ قال :[2]

١- فأمتــعَ اللهُ بــهِ الأميـرا ربِّي ولا يَزالُ بهِ مسرورا

٢- متكرَّما في غبطةٍ مَحبورا يُزيِّن المِنبَر والسّريــرا

---

[1]- ديوانه ، إيفالد فاغنر : ٣ \ ٢١

[2]- ديوانه ، الحديثيّ : ٢٨٤

إنّ المتكلم أبا نواس يخبر المخاطب داوود بن سليمان أن أمتع الله الأمير بهذا الكلب ويديم به فرحه وسروره ولازال ذا غبطة وسعادة ، ويكون هذا الكلب زينة للمنبر والإمارة . لاريب أنّ عبارة " يُزيِّن المنبر و السريرا " هو انتهاك لمبدأ الكيف وخرق للصدق ؛ لأنّه أخبر بقول كاذب كذبا تاما .

ولا شك أن كذب هذا القول لأي مستمع على اعتبار أن ما صرح به أبو نواس لا يطابق ما يقصده وما يفكر به ؛ لأنّه من غير المعقول أن يكون الكلب زينة لأهم مؤسستين ، هما : المؤسسة الدينية المتمثلة بالشعائر والعبادات لاسيما الصلاة وقد رام اليها أبو نواس هنا بالمنبر و المؤسسة الدنيوية المرموز إليها " السّريرا " أي العرش ومن ثم تستلزم أنّ تكون القضية المقصودة في هذا السّياق هي نقيض ما صرح به المتكلم أي قصد السخرية والإستهزاء بالمرسل اليه أو المستمع وهو هنا الأمير العبّاسيّ داوود بن سليمان بن أبي جعفر .

(٣)- مبدأ الملائمة : ويتعلق هذا المبدأ بالتقيد بموضوع الحوار ، أي يجب ألآ يكون تدخل المساهمين في الحوار خارجا عن موضوع المتحاور فيه .[١] كقول أبي نواس :[٢]

١- وظبيٍ خلوبٍ اللفظ حلوٍ كلامُهُ مُقَبَّـــلُةُ سهلٌ وجـــانبُه وَعــرُ

٢-فقمتُ إليه والكرى كُحلُ عينيه فقبّلتُهُ والصــبُّ ليـــس له صـــبرُ

٣– وقلبّتــه ظـــهراً لبـطنٍ وتارةً يكون بساط الأرض بالباطن الظهرُ

٤ -فما زلـــتُ أُرقيه وألثـمُ خدَّه الى أنْ تَغنـــى راضياً وله شُـــكرُ

٥-" ألآ يا أسلمي يا دار ميَّ على البِلَى ولا زالَ منـــهلاً بجرعائك القَطر"

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ١٠٨

[٢]- ديوانه ، إيفالد فاغنر : ٣\ ١٥٣

البيت الأخير هو اجترار لقول ذي الرّمة .[١] اجترارا والدلالة القضوية لهذا الخطاب هو الدعاء بأن تسلم دار المحبوبة مي ولا تبلى وأن يتتابع نزول المطر على الأرض الطيبة ولكن السّياق اللغوي أو سياق القول الذي انجز فيه هذا الخطاب ولّد دلالة حوارية أو سياقية هي قصد تجدد المضاجعة مع هذا الغلام ودوام الحياة بالخير في التواصل معه وأن لا يكون هذا آخر العهد في ذلك . وهذه الدلالة المستلزمة تولّدت بفعل خرق المتكلم لمبدأ الملائمة .

(٤)- مبدأ الكيف : ويشمل جملة من الشروط لها طابع اجتماعي وأخلاقي وجمالي وأهمها : (أ)- ليكن تدخلك واضحا .(ب)- تجنب الغموض .(ج)- تجنب اللبس . (د)- ليكن تدخلك مركزا (و)- كن منظما (ي)- كن مؤدبا .[٢] ومن الامثلة على هذا المبدأ الكرايسي قول أبي نواس يمدح العبّاس بن عبدالله بن جعفر .[٣]

كيف لا يدنيك من أملٍ مَن رسولِ اللهِ من نَفَرِهْ

واضح أنّما قاله أبو نواس " مَن رسول الله من نفره " هو انتهاك لشرط من شروط مبدأ الكيفية أو الإسلوب وهو " كن مؤدبا " كيف يكون رسول الله - ص آله- وهو النّبيّ المرسل تابعا لأمير من أمراء الدولة العبّاسيّة وهذا ما أكده أحد رواة أبي نواس وهو أبو الأصفر قائلا : علمت أنّه كلام ردئ موضوع في غير موضعه ، وأنّه مما يعاب به ، لأنّ حق سيّدنا رسول الله – ص وآله - أجدر أن يضاف اليه ولا يضاف هو الى أحد .[٤]

وقد تولّد من هذا الإنتهاك دلالة استلزامية هي اتباع السّنن والسّير على نهج الإقدمين لأشعارهم وطرائق تعبيرهم وهذه الدلالة الإستلزامية تجلت بالحوار بين أبي نواس وأبي

---

[١]- ديوان ذي الرّمة ، وهو غيلان بن عقبة العدويّ ، عني بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري هيسي مكارتني ، سنة ١٩١٩ م – ١٣٣٧ هـ : ٢٠٦

[٢]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ١٠٨

[٣]- ديوانه الحديثيّ : ٤٠٥

[٤]- ينظر أبو نواس ، لإبن منظور : ١٣٦

– من قبيل الذي هو منهم كما قال حسّان بن ثابت *:

الأصفر : فلما رأى ذلك في وجهي فقال لي : ويلك ! إنّما أردت أن رسول الله – ص وآله -

وما زال في الإسلامِ من آلِ هاشمٍ دعائم عزٍ لا تُرامُ ومَفْخرُ

بهاليلُ فيهم جعفرٌ وإبــنٌ أمِـــــهِ عليٌّ ومِنْهم أحمدُ المُتخيّرُ

فقال منهم : فما قلت من نفره أي من النفر الذين العبّاس منهم فما تَعيب من هذا ؟ .[١]

إذن تترشح من هذه الحوارية الملاحظات الآتية :

١- إنّ خرق التسلسل في مراتب الهاشميين لم يكن بدعة من أبي نواس فقد سبقه حسان ابن ثابت في ذلك .

٢- يتضمن جواب أبي نواس مبدأ كرايسيا هو : لا تقل ما ليس عندك دليلا عليه أي مبدأ الكيف أو النوع .

٣- كان الرفض بوصفه فعلا تأثيريا " فلما رأى ذلك في وجهي " سببا في كشف المتكلم عن قصده والتصريح بمراده . ويلك أردت أنّ رسول الله – ص وآله – من القبيل الذي هو منه. هذا أولاً ، ثم الكشف عن الدلالة الإستلزامية ثانيا .

ومن النماذج التي خرق فيها أبو نواس شرط الوضوح من مبدأ الكيفية قوله :[٢]

١-فقامَ ذو وفرةٍ مِن بطنِ مَضـــــجَعِهِ يَميلُ مِن سُـــكرِهِ والعــينُ وسنـــاءُ

٢-فقالَ : " مَنْ أنتَ" في رفقٍ فقلتُ لهُ: " بعضُ الكرامِ ولي في النعتِ أسماءُ

---

[١]- م . ن : ١٣٦

* شرح ديوان حسان بن ثابت الإنصاريّ ، وضعه وضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م : ١٨٠ - ١٨١

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٧٠٠

في هذا الخطاب التّواصليّ بين أبي نواس وصاحب الحانة نجد المتكلم والمخاطب متعاونين على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام والغاية هنا تتحدد بشرب الخمر . لكن الإنتهاك الرئيس الذي قام أبو نواس في هذه الحوارية كان في جوابه ل " ذي وفرة " ؛ لأنّه اجاب اجابة غير واضحة إذ قال : " بعض الكرام ولي في النعت أسماء " فهذا الجواب كان صالحا لو سأل ذو الوفرة " ما أنت ؟ " . أما الدلالة الإستلزامية المتولدة من هذا الخرق فهي تعظيم الشأن وعلو المنزلة بقرينة الجملة المعطوفة " ولي في النعت أسماء " ؛ لأنّ تعددية الإسم والمسمى واحد علامة على جلالة صاحبه ورفعة مقامه . ووفقا لمفهوم المخالفة في المنطق يكون أبو نواس قد انتهك الشرط الأوّل من قاعدة التواضع والذي ينص على " قلل من مدح الذات ".[١] وقد تكون الدلالة الإستلزامية غير ما قلناه بل كان القصد من هذا الخرق هو اجتناب الخوض في الموضوعات الجانبية التي منها السؤال عن الاسم والتقيد فقط في موضوع الحوار الرئيس وهو الخمرة . إنّ سياق المقال يعضد التأويل الثاني ، ويتضح ذلك من خلال التأمل في الأبيات الآتية :[٢]

٩-وقلتُ : أنّي نحوتُ الخمرةَ أخطِبُها قالَ " الدراهم هل للمهر إبطاءُ

١٠-لـــما تبيّن أنّي غـــيرُ ذي بَخَـــلٍ وليس لي شُغُلٌ عنها وابطـــــاءُ

١١- أتى بها قهوةً كالمســـكِ صـــافيةً كـــدمعةِ منحتْها الخدُّ مرهـــاءُ

١٢- ما زالَ تاجِرُهـــا يسقي وأشربُها وعندنا كاعِبٌ بيضاءٌ حـــسناءُ

١٣- كم قد تغنتْ و لا لـــومٌ يلمُّ بـــها " دَعْ عنكَ لَومِي فإنَّ اللّومَ إغراءُ "

فالبيت العاشر لاسيما قوله " وليس لي شغل منه وابطاء " وكذا البيت الأخير وتحديدا قوله " دع عنك لومي فإن اللوم اغراء " هما دليلان على ما ذهبنا اليه من تحديد قصد الشاعر.

---

[١]- اللسان والميزان : ٢٤٧

[٢]- ديوانه ، الغزاليّ : ٧٠٠

المبحث الثالث

الاستلزام التخاطبيّ في الخطابين المجازيّ والإنشائيّ

يعد القول مجازيا إذا كان معنى الجملة لا يتطابق مع قول المتكلم فالتمييز بين ما يقوله المتكلم وما كان يريد قوله – وهو يستلزم استلزاما قويا أنّه كان في امكانه أنّ يقول حرفيا ما كان يريد قوله – يجعل من الصعب أن لم نقل من المستحيل أن نشرح لماذا اختار المتكلم استعمال قول غير حرفي لقول ما يريد قوله .

وحسب سبربر وولسون يمثل كل قول فكرة للمتكلم ، ويمكن أنّ تكون هذه الفكرة في حد ذاتها إما تمثيلا لحالة أشياء تطابقا ، وإما تمثيلا لتمثيل آخر مقول أو مفكر فيه مشابه لها . فإذا كانت الفكرة تمثيلا لحالة الاشياء في الكون وصفية وإذا كانت تمثل آخر مقولا أو مفكر فيه كانت تأويلية .[١]

ويرى جون لاينز أن طريقة المجاز من الطرائق المقبولة سياقيا لإستخدام اللغة للتعبير عن شيء يختلف عما يقال فعلا ، والمجاز عنده أكثر استخداما في سياقات معينة من غيرها .[٢]

ونظرية كرايس تتضمن توظيف قواعد المحادثة ويجري عندما ينتهك قائل ما بصورة جلية هذه القاعدة أو تلك وعلى مخاطبه في هذا الحالة القيام بفرضيات تمكن من تفسير انتهاك القواعد .[٣]

في هذا المبحث نسلط الضوء على الإستلزام التخاطبي في الخطاب المجازي من خلال ثلاث تقنيات مثالا لا حصرا هي : الإستعارة والكنايّة ثم المفارقة .

---

[١]- ينظر القاموس الموسوعي للتّداولية : ٤٤٤

[٢]- ينظر اللغة والمعنى والسياق : ٢٣٤ – ٢٣٩

[٣]- ينظر التّداوليّة اليوم : ٥٧

أولا:- الاستلزام التخاطبي في بنية الإستعارة

من المعلوم أنّ الإستلزام يمكن تقديره والمراد بذلك أنّ المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة للوصول الى ما يستلزمه الكلام .[١] ومن الأمثلة على الإستلزام في بنية الإستعارة قول أبي نواس :[٢]

حاشا لدُّرةٍ أن تُبنَى الخيامُ لها وأن تَروحَ عليها الإبلُ والشاءُ

يأتي هذا البيت في سياق أبيات يخاطب فيها أبو نواس إبراهيم النّظام ويفند آراؤه . والتحاور قائم هنا على أساس التعاون . إنّ القرينة في " حاشا لدرة أن تبنى الخيام لها " تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي ل " درة " فيبحث عما وراء الكلام من معنى ودلالة . فأما المقصود بالدّرة فهي الخمرة ؛ لأنّها تؤخذ من الكرم وكأنّها تحلب منه إذا كانت اللفظة بالكسر (الدِّرة) أي كثرة اللبن ويكون الإسم منها(الدُّرة) .[٣] أو الدّرة هي اللؤلؤ .[٤] وقيل أنّ الدّرة امرأة .[٥]

إنّ القراءآت الآنفة تؤشر بوضوح انتهاكا لمبدأ من مبادئ الطريقة أو الكيفية التي تنصب بالأساس على التزام الوضوح في الكلام وتجنب الغموض والإلتباس القصدي ونستنتج من قراءآت المتلقين تلك أنّهم لا يعلمون على وجه التحديد قصدية الشاعر من لفظة الدّرة كما هو بيَن من قراءة علي فاعور وفاغنر .

---

[١]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤١

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٧٥

[٣]- ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها

[٤]- ينظر ديوانه ، عليّ فاعور : ١٢

[٥]- ينظر ديوانه إيفالد فاغنر : ٣ \ ١٧

وفي اطار الإستلزام التخاطبي في بنية الإستعارة نسمع قول أبي نواس :[1]

يقولُ يا أســـفي والدمعُ يغلبُهُ هتكتَ مِني الذي قد كان يُصطانُ

فقلتُ : ليثٌ رأى ظبياً فَواثَبَهُ كذا صروفُ ليالي الـدّهرِ ألــوانُ

يطغى الإسلوب غير المباشر على عملية التحاور بين المتكلم (الغلام) وبين المخاطب أبي نواس ، ولاسيّما في قول أبي نواس : " فقلت : ليث رأى ظبيا فواثبه " .

إنّ السّياق يبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي فيبحث عما وراء القول من دلالة ، ومن ثم يمكننا القول أنّ المتكلم يريد أنّ يلقي إليه خبراً بدليل أنّه ذكر جملة خبرية والمفروض من هذا المتكلم أنّه ملتزم بمبدأ التعاون أي أنّه لا يريد الخداع والتضليل .

إنّ السّبب في اللجوء الى التعبير الإستعاري " ليث رأى ظبيا فواثبه " هو لمعرفة المتكلم أنّ المتلقي يستطيع أن يفهم المعنى غير الحرفي ، فنرى المتكلم يخلع على نفسه صفات الشجاعة والسّرعة والإفتراس باستعمال لفظة " ليث " ويخلع على الغلام الأمرد صفات الجمال والنعومة والتضحية باستعمال مفردة " ظبي " . إنّ هذه الإجابة تنتهك مبدأ الطريقة الذي يلتزم الوضوح في الكلام وكذلك ينتهك مبدأ النوع والكيف الذي يلتزم الصدق ، فمن القائل أنّ المتكلم هو أسد وأنّ الغلام هو ظبي ؟ أما المعنى الإستلزامي الصادر من هذا الخرق فهو الإفتراس لسد شهوة مثليي الجنس وليس الإفتراس لسد الجوع وعليه فأنّ أبا نواس عند تلفظه ب " ليث رأى ظبيا " قصد فعل اتيان الذكور أو الغلمان .

والفعل التأثيري السّلبي من قبل الغلام والذي ظهر من خلال التعبير ب " يا أسفي والدمع يغلبه " يكشف عن عمق فاجعة المتكلم – الغلام - لفعل الهتك من قبل أبي نواس ويأتي جواب القائل لهذا الأسف والعتاب على هتك المصان لبيان حقيقة حالة نفسية شاذة . لقد صوّر أبو نواس الجنس المثليي بوحش كاسر كالليث لا يرحم ولا يشفق على ضحيته

---

[1]- م . ن : ٣ \ ٣٢٠

(الظبي \ الغلام) حتّى يقتله ومن ثُم فإنّ الدلالة الإستلزامية تتخذ أغلفة وطبقات للمعاني ، منها أنّ فعل اللواط هو من نوع الإفتراس الحيواني أو أنّ هذا الفعل هو الموت نفسه بعينه والنهاية بعينها ؛ لأنّ مسلوب الشرف هو بالضرورة مسلوب الحياة أيضا .

ثانيا : الاستلزام الحواري في بنية الكنايّة

يتحقق الإستلزام الحواري في اللغة العربية بآليات ووسائل انزياحية متباينة ومتنوعة ومن أقوى تلك آليات وأنصعها هي الكنايّة . وفي شعر أبي نواس كنايات زخرفت الخطاب الإبداعي بجمالها ورونقها أضف الى هذا ثراءها دلاليا ومنح المتلقي لتفعيل نشاطه القرائي واسقاط مخزونه الثقافي لردم الثغرات وصياغة اللا مصوغ . ومثال ذلك قول أبي نواس في قصيدة يمدح فيها حمدان بن زكريا :[١]

البحرُ أصبحَ همي والبحرُ أشهى وأطيــبُ

وقـد تأليـــتُ ألا ما عِشْتُ في البرِّ أركبُ

وظّف أبو نواس هنا الكنايّة في قوله " البحر أصبح همي " و " البحر أشهى وأطيب " و " في البر أركب " فالبحر والبر كنايّة عن المرأة والرجل . ويرى أغلب شرّاح ديوان أبي نواس ونقلة أخباره – ويتفق الباحث معهم بعد استقصائه لديوان الشاعر – أنّ البحر والبر عند أبي نواس كنايّة عن المرأة والغلمان .[٢]

ويمكن تصنيف هذين الرمزين تحت عنوان التّداوليّة الخاصة ؛ لأنّهما خاصان بأبي نواس .

---

[١]- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٧٢

[٢]- ينظر دواوينه ، الحديثيّ : ٧٧٢ ، الغزاليّ : ٧٢٤ ، محمّد أنيس مهرات : ١٢٨، ديوان أبي نواس ، شرحه وضبطه وقدّم له ، عليّ العسيليّ ، منشورات مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م : ٦٩

إنّ السّياق العام لهذا الخطاب الشعري هو المجون وتتمركز ثيمة الخطاب حول اجتناب مضاجعة الغلمان ويعضد ذلك سلسلة بنى أسلوبية من التأكيد ب (أنّ) في البيت الأوّل وب (قد) في البيت الثاني و(القسم) في البيت الثالث و(الثقة و الاطئمنان) في البيت الرابع . وفي هذا السّياق اللغوي برز البحر والبر ليس بوصفهما لفظين يدلان على معناهما الحرفي وبعبارة أخرى ليس هو المحتمل في السياق ، بل بوصفهما علامتين موحييتين يرتبط استخراج دلالتهما بظروف وملابسات العملية التخاطبية .

أما الدلالة التأويلية للبحر فهي المرأة وللبر فهي الغلمان . وهذه الدلالة التأويلية هي قصد الشاعر ؛ لأنّ الخطاب انجز في مقام خاص هو مقام المجون ومن لا يسمح بقبول المعنى الحرفي للبحر والبر على المستوى المعجمي وهذا العدول السّياقي التّداوليّ حدث نتيجة خرق أحد مبادئ السّياق الإجتماعي والثقافي ، وعليه فإنّ المتكلم (أبا نواس) عند تلفظه بجملة " البحر أصبح همي " و" في البر أركب " قد قصد جملة أخرى هي سأضاجع النساء واجتنب مضاجعة الغلمان وهذه الدلالة الإستلزامية بمفهوم كرايس ؛ لأنّ المتكلم أخذ بعين الإعتبار المعطيات الآتية :

١- إنّه احترم مبدأ التعاون ، وهذا ما نستشفه من البيت الأوّل :[١]

حمدانُ مالك تغضبُ علـيّ من غيرِ مغضبِ

إذ نستشف من محتواه القضوي وجود مساهمة حوارية وتفاعل بين المتخاطبين .

٢- السّياق اللغوي للخطاب يصرف السامع والمتلقي الأخذ بالمعنى الحرفي للبحر و البر.

قال أبو نواس في قصيدة يمدح الخصيب بن عبد الحميدة ، منها قوله :[٢]

إذا قامَ عنّتهُ على السّاقِ حِليةٌ لها خطوة عند القيام قصيرُ

---

[١]- ديوانه ، الحديثي : ٥٧١

[٢]- م . ن : ٤٢١

هذا الخطاب هو صورة كنائية يصف فيها المتكلم أبو نواس حالا من أحوال الخصيب وهي كثرة الحليّ في رجل ممدوحه سبب في تباطئ أو قصر خطوة في المشي أو كما قال أحد الشرّاح هذا البيت " إذا قام هذا الأسير تناغمت أصوات قيده (كالحلية في يد المرأة) وسار بخطوات قصيرة .[١]

وقد انجز هذا المحتوى القضوي بإسلوب خبري بصيغة جملة فعلية تصدرتها أداة شرط غير جازمة هي إذا . لكن السّياق غير اللغوي للخطاب يكشف غير ذلك فقد جاء في الخبر أنّ الخصيب طلب من الشعراء أن ينشدوا الشعر واستجاب أبو نواس لذلك بقوله : " أنشدك أيّها الأمير قصيدة هي بمنزلة عصا موسى تلقف ما يأفكون ، قال هات إذا ..." .[٢]

وإذا تأملت القصيدة ترى السّياق اللغوي يسجل مجيء هذا البيت في سياق أبيات تتمركز بؤرتها الدلالية حول موضوعة المديح وحضور الضمير (الهاء) في (عنته) هو اشارة شخصية تتحدد مرجعها في سياق الخطاب التّداوليّ بالمخاطب أو أمير مصر الخصيب . ويستبطن من هذا الخطاب أنّ المتكلم (أبا نواس) يجيب عن تساؤل حقيقي أو مفترض هو كيف يقوم أمير مصر ؟ فجاء الجواب " إذا قام ..."

وعليه فإنّ السّياقين المقالي والمقامي يدفعان باتجاه التخلي عن المعنى الحرفي للخطاب والتوجه صوب المعنى الذي ولّده سياق الموقف كما ذكر آنفا . وإنّ استجابة أبي نواس تعني أنّه متعاون مع الخصيب. أما الدلالة الإستلزامية من هذا الخطاب الكنائيّ فهي " النعمة والترف " ؛ لأنّ الدلالة الحرفية لا تكشف قصد الشاعر كون لفظة " عنته " تعني أذلته ، أخضعته وإنّما يقال ذلك للأسير الذي يذله ويخضعه الوثاق لا الأمراء .[٣]

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٣٧٧

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٤٢٠

[٣]- م . ن : ٤٢١

إنّ مقاربة الخطاب الكنائي " إذا قام... " بتدبر يُبيّن أنّ الشاعر قفز على مراحل ترتيب الأحداث لكثرة الوسائط أو اللوازم بين الملزوم واللازم ؛ لأنّ كثرة النعمة تستلزم كثرة المال والجاه وكثرة المال والجاه تستلزم كثرة اقتناء الحلي ولبسها وكثرة لبس الحلي تستلزم الثقل والثقل يستلزم بطئ الحركة .

وتقدم اختلاف الروايات لديوان أبي نواس نشاطا قرائيا مضيئا لكيفية حصول المستمعين أو القُرّاء على استلزمات جديدة من لفظة واحدة ، لكنها تروى بصورتين من ذلك أنّ البيت السابق يروى بالشكل الآتي :[١]

إذا قامَ غنَّتهُ على السّاقِ حِلّية لها خطوة عند القيامِ قصيرُ

أي باسقاط " عنّته " وجعل " غنته " مكانها . والرواية الجديدة للبيت يسهم في انتاج تأويل جديد واستلزام جديد أيضا من ذلك ما قاله أحد شُرّاح ديوان أبي نواس قراءة للبيت الآنف قائلا : " أراد أنّه قيامه يلاطم سيفه ساقه فيصدر رنينا شبيها بالغناء وهو مع هذا قصير الخطو كناية عن رصانته ".[٢] يستنتج من قصر الخطو الممدوح أنّه رصين وهذه الدلالة قريبة أو مطابقة للقراءة الآتية : " أراد بالحلية : السّيف . وغنّته على السّاق : أي أنّ سيفه عند قيامه وخطوه يلاطم ساقه فيصدر منه رنين . وقصر الخطو : كناية عن المشي الرصين ".[٣]

ومن طبيعة كل احالة لسانية حرفية أن الألفاظ المكونة لها لا تنفك عن مضمامينها (المدلول الحرفي للإلفاظ) المستعملة غير أنّ الخطاب الطبيعي والأدبي هو خطاب مفتوح يكشف عن خصوصيات تخاطبية تجعل اللغة في غالب الأحيان لا تظهر خفيها وهو يعزز دور السّياق في سد الثغرة الحاصلة بين الإحالة الحرفية للألفاظ وبين ما يمكن أنّ

يستفيد المخاطب من خفي الخطاب . ذلك أن إنموذج التخاطب يتوسل بجميع الوسائل

[١-٢]- ديوانه ، عليّ فاعور : ٢٧٣

[٣]- ديوان أبي نواس ، دار صادر، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ م : ٢٠٤

المحتوى الدلالي للتلفظات والتأويل الصحيح للتلفظ يتطلب بطبيعة الحال أن يستعيد المخاطب الإحالة الضمنية للتلفظ ، فالتخاطب بشكل عام لا يتأسس من خلال ما نقوله بشكل صريح ، ولكنّنا نترك الكثير حول ما نعنيه للاستنتاج ، وهنا بالتحديد يلعب السّياق ووضعية التواصل دورا حاسما في تأويل هذا النوع من الإستلزامات التخاطبية .[١]

من ذلك ما رواه أبو هِفّان : " حُدِثتُ أنّ أبا نواس بعث غلاما يقال له اسحاق الى عمرو الورّاق يتسهديه قربة نبيذ فحبس الغلام ساعة ، ثم بعث اليه بقنينة . فلما وافاه كتب اليه أبو نواس :

١- بعثــتُ أستهديــكَ قِربــةً فجُــدتَ يا عمرو بقنيــنةْ

٢- وبــعد ذاكَ غُــلامي أتــى بــهِ انكــارُ وبــهِ ليــنهْ

٣- يُــخبرني وجــنَتَــهُ أنّــه قد طُعنَ المسكينُ في التينهْ

٤- فأبعثْ بأخرى تلك مهراً لهُ لا يغــتذي في كفِهِ طيــنهْ

قال فضحك عمرو ونقل اليه جميع ما يحتاج اليه من نبيذ وصار اليه معتذرا ما كتب به اليــه ".[٢]

هذه الأبيات بوصفها خطابا أو رسالة لغوية وجهت من المرسل أبي نواس إلى المرسل اليه الورّاق واستثمر المرسل مبدأي الملاءمة والكيف في خطابه لإنتاج دلالة حوارية سياقية تناسب المقام . فأبو نواس لم يصرح مباشرة عن فعل الفاحشة التي لحقت بغلامه ، وإنما استعمل لفظة " التينة " بوصفها لا تتقيد بمدلولها المعجمي - وهي الفاكهة المعروفة – بل جاء في سياق خاص هو سياق المجون وركوب المعاصي للدلالة على

---

[١]- ينظر التّداوليّات : ٤٧٦- ٤٧٩

[٢]- أخبار أبي نواس ، أبو هِفّان بن حرب المهزيّ : ٨٧ – ٨٨

فعل اللواط . والتينة هنا كناية عن الأست .[1] فالمتكلم قصد الدُّبر لكنّه استعمل لفظة التينة ، والمخاطب – الوّراق - ادرك قصد متكلمه في هذا السّياق التواصلي . وقوله : " قد طعن المسكين في التينه " يدل على غير محتواه القضوي فأنتج ما يعرف بالدلالة الكرايسية أو الدلالة الإستلزامية وهي وقوع اعتداء جنسي على غلامه المسكين .

ونلحظ تفعيل سلوك اجتماعي لكن بصورة محرّفة هو أنّ المتكلم يطلب من المخاطب مهرا جزاء لفعله الآنف أي تقديم مهرا للغلام " فأبعث بأخرى تلك مهرا له " .كما يتجلى في هذا البيت الوظيفة الإقناعية بوصفها بعدا تداوليّا ، بما أنّ الغلام لي فعليك ياورّاق دفع مهر له ولهذا وافق الورّاق على طلب أبي نواس كما هو بيّنٌ من الرواية التاريخية التي ذيلت هذه الأبيات " فضحك عمرو ، ونقل اليه جميع ما يحتاج اليه من النبيذ وصار اليه معتذرا ما كتب به اليه " .

إذن علاقة النص بالمقام هي التي وجهت بوصلة الدلالة الى المنطقة التأويلية للخطاب ولولا تفعيل سياق الموقف لما أمكن تأويل العبارة الكنائّية " قد طعن المسكين في التينة " تأويلا يصل الى قصدية المتكلم ، والآلية الموظّفة في الوصول الى هذا الفهم والتأويل كانت آلية بلاغية تشكلت بنائيا بنمط كنائّي هيمن عليها معنى متداول في النّظام الإجتماعي من زمن الخطاب والى يومنا هذا .

وبناء على ما تقدم فإنّ التعبيرات المجازية التي يتضمنها الإستلزام الحواري ليست الهدف المطموح اليه من لدن كرايس تفسير هذا النص والإفراط في تعليل سبب التوجه ووقوع الإختيار له من قبل المتكلم والإستئثار به من دون غيره ، وإنّما الغاية التي يودها من هذه الأساليب هي التمييز بين ما يقال فعلا وما يقصد طبقا للملائمة السّياقية التي يحددها الظرف الإجتماعي والثقافي فضلا عن قيود المتشاركين في الحوار وافتراضاتهم في هذه الأنواع

---

[1]- المنتخب في كنايات الأدباء وارشاد البلغاء ، القاضي أبو العبّاس أحمد بن محمّد الجرجاني (- ت ٤٨٢هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤ م : ٤٢

من النصوص والخطابات .[١]

ثالثا : الاستلزام الحواري في بنية المفارقة

المفارقة " تعبير بلاغي يجيء فيه المعنى الحرفي للكلمة أو العبارة عكس المقصود ، وفي الأدب يعد التهكم تكنيكا للإشارة الى مقصد أو موقف مضاد لما يصرح به فعلا ".[٢] والمفارقة مستوى من مستويات السخرية شأنها شأن التهكم ولكنها تتمايز عن التهكم في أنّ الأوّل يكون على مستوى الإضحاك وتعارض القيم الوجدانية ويكاد عنصر النقد لا يظهر في هذا المستوى إلا بالنظر الى الوجود الإنساني بصفة عامة . وهنا تندرج كلمة نادرة ونكتة .[٣]

ولعل هذا المستوى يكشف لنا سبب اختيار إبن منظور (نوادر أبي نواس) عنوانا لمؤلفه جمع فيه أخبار أبي نواس . أما التهكم فهو مستوى أعلى من مستوي السخرية وفيه نجد النقد يتجه نحو الهدف يسدد اليه منفصلا عنه منتصرا عليه.[٤]

وقد أدت المفارقة في الخطاب الشعري دورا فاعلا في تفعيل السّياق ونشاط التأويل انطلاقا من أنّ المتكلم يجعل سامعه يدرك من الدلالة ما يفوق المعنى الحرفي للجملة وكان استثمارها في الشعر العربي واسعا .

ولقد كان للمفارقة دور أكثر حضورا في شعر أبي نواس ؛ لأنّ الشاعر وظّفها في طبيعة المتناقضات التي يعيشها ؛ ولأنّ أبا نواس عاش القلق في نفسه وفي الوضع المتصل

---

[١]- اللغة والمعنى والسياق : ٢٣٩

[٢]- معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، تونس ، صفاقس : ١١٢

[٣]- البلاغة الجديدة بين التخييل والتّداول ،د.محمّد العمري ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط ٢، ٢٠١٢ م : ١٠٨

[٤]- م . ن : ١٠٩

بالظروف العامة على مستوى الفكر والسلوك والسياسة والدين وذاك القلق تسرب الى شعره بوضوح وجعل منه محفزا لظهوره المتناقضات في قصيدته من ذلك قوله في مدح الأمـــين :[١]

١- نَبِّهْ نديمَكَ قد نَعْـس يـَسقيك كأساً في الغَلسْ

٢- صرفاً كأنّ شعاعَها فــي كفِ شاربِها قبــسْ

٣- ممّا تخيّرَ كرمَـــها كسرى بعانـةَ واغترسْ

٤- تدعى فيرفعُ رأسَــهُ فإذا استقــلَ به نَكـــسْ

٥- يسقيكها ذو قرطــقٍ يُلهي ويُعجلُ مَن حَبَسْ

٦- خَنِثُ الجفونِ كأنّــه ظبيٌّ الرّياضِ إذا نَعسْ

٧- أضحى الإمامُ محمّدُ للــدينِ نوراً يُقـــتبسْ

وقد سبق هذه الأبيات خبر طويل نقله أبو هِفّان المخزوميّ ننقل منه هذا التحاور " فلما كان السَّحر دنا من محمّد فقال : يا أمير المؤمنين . قال لبيك يا خير الندامى . فقال أبو نواس : يا سيد العالمين : أما ترى رقة هذا النسيم وطيب هذا الشمال وبرد هذا السحر ، وصحة هذا الهواء المعتدل والجو الصافي وبهيج هذه الأنوار . فلما سمع محمد وصفه استوى جالسا وقال : يا أبا نواس ما بي للشرب موضع ولا للسهر مكان وقد بسطتني بمنثور وصفك فنشطني بمنظومة للشراب . فأنشأ يقول : ..." .[٢]

جمع أبو نواس في هذه القصيدة بين متناقضين (النديم الذي أعياه الشراب والسُّكر وهو في الوقت نفسه الإمام ونور المقتبس للدين وهذا التناقض الصارخ يدفع بالمتلقي الى عدم قبول

---

[١]- ديوانه ، الحديثيّ : ٤٦٢ ــ ٤٦٣

[٢]- أخبار ابي نواس ، أبو هفّان : ١٨٦

المستوى الدلالي للخطاب . فأيُّ سخرية هذه الذي بلغه الشاعر في وصف ممدوحه ؟ فتارة هو سكران ثمل لا يقوى على فعل شيء :

تدعى فيرفع رأسه فإذا استقل به نكس

ومن كان هذا حاله كيف يصبح بعد هُنيهة :

أضحى الإمام محمّد للدين نورا يقتبس

يأبى السّياقان النصي والموقفي للخطاب الشعري التمسك بالمعنى الصريح للبيت الأخير " أضحى الامام محمد ..." ومن أجل استدلال يتجاوز المحتوى الدلالي للعبارات علينا التوجه لمطالب يتعلق بطبيعة التحاور القائمة على أساس التعاون . وملف القصيدة يكشف بوضوح أنّ المتخاطبين متعاونان لكن نجم عدول عن أحدى مبادئ المتحكمة في الحوار وهذا العدول خلق دلالة استلزامية أو قصدا ليس موجودا في البيت عند تلفظه وهذا القصد هو السّخرية والإضحاك . وقد تولد هذا القصد بفعل خرق مبدأ الملائمة أو المناسبة الذي ينص على " ليناسب مقالك المقام " .[١] إنّ البيت الأخير لا يناسب سياق الموقف الذي ورد فيه وهو سياق الخمر واللهو وارتكاب المعاصي ويمكننا حينئذ أن نستنتج أنّ أبا نواس قصد التهكم والسّخرية ولم يقصد المدح ، ومن هنا فإنّ انتهاك الحوار يتحقق في كل مفارقة يراد بها عكس ما يقال أو غير متوقع .[٢]

وما ذهبنا اليه يوافق ما قالته د. أحلام الزعيم في معالجتها للقصيدة نفسها : " وإذا ماعدنا الى قصائد أبي نواس عدا التي مدح بها الخلفاء لغايات كثيرة ومنها كسب عطفهم نرى أنّه كثيرا ما كان يسخر من الخلفاء تلك السّخرية المبطنة التي كان يسعى من خلالها الى فضحهم وتعريتهم ، حتى كأنّ مجاهرة أبي نواس بشرب الخمر و تغزله بالغلمان كان يقصد

---

[١]- ينظر الإستلزام الحواري في التّداول اللسانيّ : ١٠٠

[٢]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٩

من ورائها تعرية الخليفة وكشف صورته أمام الناس ".[١] وعليه يحمل هذا الخطاب الشعري دلالتين : حرفية القصد منها المدح ، وسياقية استلزامية تولّد بفعل السّياق ، وهي الفضح والتعرية وكشف الصورة الحقيقية للخليفة أما النّاس .

ومن النماذج الشعرية للإستلزام التخاطبي في بنية المفارقة قول أبي نواس في إحدى خمرياته :[٢]

١- ولاحٍ لحاني كي يجيءَ بَبدعةٍ وتلك لَعَمْرِيَ خُطّةٌ لا أطيقُها

٢- لحاني كي لا أشربَ الراحَ إنّها تُورِّث وِزْرا فادحاً من يذقها

٣- فما زادني اللاحونَ إلا لجاجةً عليها ؛ لإنّي ما حيَيتَ رفيقُها

٤- أأرفضُها واللهُ لم يرفضِ اسمَها وهذا أميرُ المؤمنين صديقُـها

جاءت هذه الأبيات في سياق قصائد الخمرية وثيمتها الرئيسة رفض لوم متكلم حقيقي أو افتراضي قد ألح في لومه على الشاعر ؛ لإنّ شرب الخمر يسبب إثما ثقيلا ثم وظّف الشاعر المفارقة في قوله :

أأرفضها والله لم يرفضْ اسمها وهذا أمير المؤمنين صديقها

أية مفارقة هذه التي يذهب إليها الشاعر ؟! إذ جمع بين متناقضين (أميرالمؤمنين \ صديق الخمرة) . لقد فعّل أبو نواس المفارقة للتضليل وايهام المتكلم في عصره أو الجمهور الذي سيتلقى خطابه في المستقبل لتبرير شرب الخمر ؛ ولأجل اضفاء نوع من الشرعية على عمله ، فقد خطا خطوتين ، الأوّلى : هي التعالق النصي ؛ لأنّ قوله" والله لم يرفض اسمها"

---

[١]- أبو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد ، د.أحلام الزعيم ، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ : ٤٠

[٢]- ديوانه . الغزاليّ : ٩٠

" وهذ أمير المؤمنين صديقها " . إنّ مجاهرة الخليفة العبّاسيّ محمّد الأمين بوصفه أميرا للمؤمنين وخليفة لرسول الله بشرب الخمرة بل وادمانه عليها اتخذه الشاعر دليلا على عمله وبرهاناً على صحة سلوكه .

لكن السّياق يحرف بوصلة الخطاب الى دلالة استلزامية حوارية تتحدد بالسخرية والتهكم من الخليفة العبّاسيّ . إنّها سخرية مبطنة يسوقها الشاعر في اطار المديح عامدا الى اخراجها من خلال المفارقة التي لا يخلو من الإدانة .[٢] وهذه الدلالة الإستلزامية صدرت عن خرق مبدأ الملائمة أو المناسبة ؛ لأنّ قوله : " والله لم يرفض اسمها " ، و " هذا أمير المؤمنين صديقها " لا يلائم موضوع الحوار .

أما في موضوعة مباحث علم المعاني فتعد أساليب الإنشاء الطلبي من بين تقنيات المرسل في الخطاب ، وتظهر هذه الأساليب كآليات لسانية في ملفوظ المتكلم فيحملها المعاني والأغراض التي قصد اليها من خلال توظيف تلك الآليات .

ننطلق في دراسة هذه المقولات البلاغية بوصفها متعلقة بالمرسل اليه ؛ لأنّ الإستلزام يجعلنا نتساءل عن تجليات القدرة اللغوية لدى المتكلم في استثمار اللغة وشحنها بجانب دلالي مستلزم في القول ويستدعي تأويلا من طرف المخاطب من أجل الخروج من الحرفية التعبيرية الىالمعنى المستلزم مقاميا .[٣]

---

[١]- قال تعالى: " يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للنّاس وإثمهما أكبر من نفعهما " البقرة : ٢١٩ ، وقوله تعالى : " يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصُدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ".المائدة ٩٠ - ٩١

[٢]- ينظر أبو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد : ٤٢

[٣]- ينظر قضايا تداوليّة في دلائل الإعجاز اعبد القاهر الجرجاني ، ثقبايث حامدة ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٢ : ١٢٥ - ١٢٦

إنّ نظرية الأفعال اللغوية لم تقف عند حدود المحتوى القضوي (معناها الحرفي) والقوة الإنجازية الملازمة للتلفظ بل تجاوزت ذلك نحو ما ينعت بالإستلزام الحواري . ذلك أنّ كرايس لاحظ بأنّ جمل اللغات الطبيعية يمكن أن تدل في بعض السّياقات على معان أخرى خفية غير المعنى القضوي .[١] وقد استثمر أبو نواس للتعبير عن قصده التواصلي أشهر أساليب الإنشاء وأبرز آلياتها لاسيما الأمر والإستفهام والنهي والنداء ، من ذلك قوله في السّياق الآتي ، قال يمدح الخليفة العبّاسيّ محمّد الأمين :[٢]

يا أمينَ اللهِ عِشْ أبداً عِشْ على الأيّامِ والزَّمنِ

إنّ التلفظ بجملة " عش أبداً \ عش على الأيام والزمن " يتضمن ثلاثة معان هي : المعنى الحرفي وهو العيش أبد الآبدين . والقوة الإنجازية الملازمة للتلفظ هي : الأمر بوساطة الفعل " عش " .

أما المعنى الإستلزامي الذي يفاد من السّياق فهو الدعاء ؛ لأنّ أبا نواس يوجه خطابا الى مخاطب أعلى منه مرتبة وأعظم منه مقاما وهو الأمين ، ومن ثم لم يقصد المتكلم بوصفه عبدا من العباد ونديما للخليفة فعلا مباشر ؛ ولأنّ الفعل الأمري " عش " يصح صدوره من الخالق وحده الى المخلوق ، والسّياق الذي ورد فيه هذا الفعل ليس سياقا تكوينيا دينيا بل سياق دنيوي مدحي صدر من متكلم أدنى مرتبة من المخاطب كما هو واضح . وكانت آلية الإنتقال من الفعل المباشر الى الفعل غير المباشر هو خرق أبي نواس لمبدأ الكم ؛ لأنّ مساهمته الحوارية كانت أكثر مما هو مطلوب من المعلومات ذلك أنّ قوله : " عش أبدا " .

وجاء هذا الخرق بعد التزامه بشرط اجتماعي وأخلاقي وجمالي وهو التأدب في الحوار وتجسد ذلك بقوله : " يا أمين الله ". لكن تغيير سياق الموقف يتبعه تغييرٌ في السلوك والمقاصد فبعد حبس أبي نواس من قبل الأمين وطول المقام به في السّجن ويأسه من

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ٢٦٦

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٣٢

الأمين ، أخذ يعلل نفسه بعفو المأمون قبل وصوله الى بغداد وجلوسه على كرسي الخلافـــة .[١] نسمع قول الشاعر في السجن :[٢]

أما الأمينُ فلستُ أرجو دَفعه عني ، فمَنْ لي اليوم بالمأمونِ

إنّ السّياق التّداوليّ لقوله : " فمن لي اليوم بالمأمون ؟ " أنجز فعلين لغويين أحدهما مباشر وهو فعل الإستفهام المدلول عليه حرفيا بقرينة بنيوية هي " مَنْ " الإستفهامية .

إنَّ الجملة الإستفهامية في مقامها السّياقي التي وردت فيه لا يقصد بها انجاز فعل الإستفهام وتعيين العاقل ؛ لأنّه معين ، وإنّما انجز فيها فعلا ضمنيا هو التعظيم من شأن المأمون والتنويه بكرمه للعفو عنه من السجن ويطمع نيل الجوائز وكثرة المال والذي يعزز ذلك هو كشف المأمون بوصفه متلقيا لقصدية الشاعر عن ذلك بقوله : " والله لئن لحقته لأغنَيتَّهُ غِنّى لا يؤمله " .[٣]

لقد تمت هذه الدلالة الإستلزامية – التعظيم - لما كان عدم الشّفاعة معلوما لأبي نواس من قبل الأمين فامتنع لذلك حقيقة الإستفهام وتولد منه التعظيم وهو المعنى المناسب للمقام . وسبب الإستلزام هو خرق مبدأ الكم ؛ لأنّ المتكلم لجأ إلى اسلوب الإيجاز ، وكذلك خرق مبدأ الملاءمة ؛ طلب العفو لابد أن يكون من الأمين وهو السجّان الفعليّ وليس المأمون ، والعلاقة المستنبطة هي أنّ أبا نواس يستشرف المستقبل وفق قراءة خاصة للمعطيات التي أفرزتها صراع الأخوين على السلطة ، ومن ثم فهو يتوقع هزيمة الأمين وانتصار المأمون ، وهذا يدل أنّ المأمون هو الحاكم الحقيقي والسجّان الفعلي .

وإذا كان النهي يمثل طلبا يبحث عن اجابتـــه في متن النـــص الشـــعري أو في الصـــور المتشكلة في ذهن المتلقي تصنعها القصيدة فإنّ ذلك لا يبتعد عن وظيفة القصيدة أصلا ذلك أنّها تبحث دائما عن الإجابة عن أسئلة تثيرها الواقع الموضوعي، أو الحالة النفسية للشاعر.

---

[١]- ينظر أبو نواس لإبن منظور : ٢٥٢

[٢]- م . ن : والصفحة نفسها .

وقد استثمر أبو نواس النهي البلاغي في عملية التخاطب ومن ذلك قوله :[١]

لا تحظرِ العفوَ إنْ كنتَ إمرأً حرجا فإنّ حَظرَكَهُ بالدينِ إزراءُ

يخاطب أبو نواس في هذا البيت إبراهيم النظّام وكان مرّ به وهو يناظر في الوعيد ويقول : من مات مرتكبا كبيرة غير تائب منها لم يعف الله عنه وخلّده في النار .[٢] كان بإمكان أبي نواس أن يمتنع عن إجابة النظّام لكن بمجرد أن فعل ذلك فقد أسهم في هذا الحوار . ونرى أبا نواس قد أخل بمبدأ الكم ؛ لأنّه لم يقدم المعلومات اللازمة ذات الصلة بخلفية عقائده ، لكن هذا الإخلال لا يمكن ارجاعه الى قصور في معرفة أبي نواس . فهو وإنْ تجنب التصريح في هذا الموضع عن إيمانه بالعفو الإلهي والرّحمة الربانية اللامتناهية الحدود لكنه كشف ذلك في موضع آخر مستشهدا بقوله تعالى : " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يَغفرُ الذنوبَ جميعاً " .[٣]

لقد رد أبو نواس هنا على منطق النظّام بمنطق يعاكسه و يدحضه قائلا له : إنّك تتشدد في العفو عن مرتكب شرب الخمر مع أنّ الله غفور رحيم .[٤]

إذن الفرق واضح بين ما قيل وهو : لا تحظر العفو إنْ كنت ... " و ما تم تبليغه وهو التوبيخ ، أي توبيخ النظّام المعتزليّ لقصر نظره في التعامل مع الشريعة وبعبارة أخرى أنّ الرّحمة الإلهية لا تتقوقع في سجن آراء طائفة من الطوائف . فالقصد أو الدلالة الإستلزامية هو التوبيخ من خلال إسلوب النهي كان صادرا من خرق مبدأ الكم والمعنى الصريح توارى عن الإنظار ؛ لأنّ المتكلم أبا نواس لا يمتلك سلطة الأمر والنهي على المخاطب (النظّام) ومن ثم استلزم الخطاب هذا المعنى السّياقي لتفنيد آراء المخاطب .

---

[١]- ديوانه ، الحديثي : ٧٦

[٢]- ينظر ديوانه ، الحديثيّ : ٧٦

[٣]- الزمر : ٥٣

[٤]- ينظر ديوانه ، عليّ فاعور : ١٢

ومن المعاني الإستلزامية المفادة من السّياق اللغوي للخطاب لصيغة النداء قول أبي نـــواس :[1]

١- يا لكِ مِنْ تُفاحةٍ غضَةٍ طيّـبها حُبـــيّ بـــأنفاسِـــهِ

٢- فزادَ طيباً ريحها طيبُهُ فطابَ فيـها ريـــحُ جُلاسِـّهِ

٣- وطابت الكأس وأبريقنا من موضعِ التقبيل من كاسِهِ

الحمولة الدلالية لهذا الخطاب الشعري تدل على معنيين إثنين في الوقت نفسه ، أحدهما حرفي والآخر مستلزم . أما المعنى الحرفي فهو نداء التفاحة الطرية الطيبة الرائحة باستعمال أداة النداء (يا) . وأما معناها الإستلزامي ، فهو التعجب من تلك التفاحة الطرية التي طابت بأنفاس محبوبه فأزدات طيبا وهذا الإدراك الجمالي الأوّل للدلالة .

أما الدلالة الثانية فهي التعجب من رائحة أنفاس الحبيب . ولما كان فعل النداء غير مقصود للمتكلم انتفى بذلك حقيقة النداء وتولّد منه معنى التعجب المناسب للسياق . ونشأت الدلالة الإستلزامية هنا بسبب انتهاك المتكلم مبدأ الكم ؛ لأنّ المتكلم قدّم معلومات أكثر مما هو مطلوب ، فالمعلومة المطلوبة هو التعجب من رائحة الحبيب لكنه قدّم معلومات أخرى الى جانب ذلك منه ازدياد طيب رائحة التفاح وانتقال هذا الطيب الى جلسائه والكأس والإبريق .

---

[1]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٤١٦

المبحث الرابع

الاستلزام التخاطبيّ والتناص

جاء مفهوم التناص في الدراسات الحديثة ليشكل رداً على المفاهيم البنيوية التي ذهبت الى أن النص كيان مستقل ومنغلق على ذاته .

أما من الوجهة السياقية فأنّ أغلب ظواهر تداخل النصوص تلتقي مع المعاني المتعلقة بالإستلزام والإستدلالات على المعاني الضمنية في النص الادبي .[١] ومفهوم التناص يمكن عدّه من الأساليب التي تجعل المؤلف والقارئ يتشاركان في ابداع النصوص الإدبية ، فالتناص هو نوع من العلاقة بين نص أدبي لاحق ينتمي لمؤلفه ونصوص سابقة أو معاصرة له سواءً أكانت هذه العلاقة ظاهرة أم خفية ، خارجية أم داخلية ، جزئية أم كلية ، معتمدة على مبدأ النفي أم التظافر أو الحوار يقوم القارئ باكتشافها .[٢]

وترى جوليا كرستيفا التناص أنّه ترحال للنصوص وتداخل نصي ، ففي فضاء نصي معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى .[٣]

وبذلك فإذا طبقنا تعريف التّداوليّة بوصفها دراسة استعمال اللغة في التواصل الإنساني حسب ما تحدده ظروف المجتمع على حالة التواصل الإدبي ، فإنّ ذلك يجعلنا نقول إنّ التّداوليّة الأدبية تعتني بدور المستخدم في الإنتاج الإجتماعي للنصوص واستهلاكها .[٤]

---

[١]- ينظر التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان : ١٩٤ – ١٩٥

[٢]- ينظر التّداوليّة في البحث اللغوي والنقدي : ١٥٤

[٣]- ينظر علم النص ، جوليا كرستيفا ، ترجمة فريد الزاهي عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر – المغرب ، ط ١ ، ١٩٩١ م : ٧٨

[٤]- ينظر الموسوعة التّداوليّة المختصرة التّداوليّة الأدبية ، جاكوب، جي. مي، ترجمة د. أحمد عدنان حمدي : ٤٧

ومن الوسائل المساعدة لهذا الإنتاج هو تداخل النصوص الذي يعطي فرصة للقارئ الجاد أو الكفء لإستحضار نصوص سابقة سواء بطريقة مشابهة للإستلزام أو الإستدلال على المعاني الضمنية التي تؤثر في اعاقة الانتاج أو انشاء النص الإدبي حسب فهمه وقدرته على الإكتشاف والتأويل والخافية المعرفية التي يمتلكها.[١]

ويمكن رصد نماذج تناصية في شعر أبي نواس ، من ذلك قوله :[٢]

١- أين الجواب وأين رد رسائلي قالت تنظّر ردّها في قابـــل

٢-فمددت كفي ثم قلت: تصدّقي قالت: نعم بحجارة وجنـــادل

٣-إنْ كنتَ مسكينا فجاوز بابنا وارجع،فما لك عندنا من نائل

٤-يا ناهر المسكين عند سؤاله الله عاتب في انتـــهار السـّائل

يلاحظ اتكاء الخطاب الشعري لاسيما بعد بزوغ الإسلام على النصوص الدينية ، وهذا عائد الى سلطة الخطاب الديني من جهة وامكانية الشاعر في توظيف ذلك الخطاب في سياقات متنوعة . ويلاحظ تباين اهتمام الشعراء بذلك من اقتباس أجزاء آية إلى الاكتفاء بالإشارة إليها .

ونلمس بوضوح أنّ مرجعية فضاء المناصصة هي مرجعية دينية وتحديداً مع آية قرآنية هي قوله تعالى : " وأما السائل فلا تنهر " .[٣]

إنّ المعنى الصريح للآية المباركة هو نهر المسكين السائل والقوة الإنجازية لهذه الجملة صيغت بإسلوب النداء . وأبو نواس وظّف في الشطر الثاني الآية المباركة التي نهت عن نهر السائل ، وهذا النهر هو المعنى المباشر للنص القرآني . أما النص الشعري فقد تضمن

---

[١]- ينظر التّداوليّة في البحث اللغوي والنقدي : ١٥٤

[٢]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٥٤٧ ــ ٥٤٨

[٣]- الضحى : ١٠

معنى غير مباشر مردّه تغيير مقصد الشاعر وتغيير سياق الموقف . في الخطاب القرآني وجه الله عزّ وجلّ خطابه : " " وأما السائل فلا تنهر " إلى رسوله – ص وآله – بوصفه مخاطبا في سياق ديني ارشادي تبليغي ومعناه كان واضحا ومباشرا وبنيته التركيبية تميزت بتقديم المفعول به على الفعل والفاعل وهي انتجت زمانيا في عصر الرسالة ومكانيا في مكة المكرمة ودلالتها القضوية تذكر نعم الله على رسوله – ص وآله – آلاّ يزجر سائلا رفع حاجته الى هداية او طلب دنيوي .

في الخطاب الشعري الآنف فثمة حوار بين المتكلم \ أبي نواس وبين المخاطب جنان متخذا نمط سؤال \ جواب وثيمة هذا الحوار هي الإعتذار من جنان وسؤاله لها في طلب العفو في جو ينبض بالحب والضعف من جهة المتكلم في قبال الإعراض والإكراه من قبل المخاطبة ، وزمن انتاج هذا الخطاب هو العصر العبّاسيّ والمكان هو بغداد .

إنّ قول أبي نواس : " يا ناهر المسكين عند سؤاله... " هو تناص مع الآية القرآنية المذكورة . والنص المتناص تحديدا هو " الله عاتب في انتهار السائل " إنّ النهر القرآني يغاير النهر النواسي ؛ لأنّ الأخير في مقامه السّياقي الذي ورد فيه لا يقصد انجاز فعل

الهداية أو المعاش كما هو في الخطاب القرآني ، بل هو معنى مقامي مغاير لمعناه الحرفي ؛ لأنّ معنى السّائل هنا هو معنى حرفي بمعنى أي إنسان يطلب الهداية أو المال كما هو في الخطاب القرآني ، أما قصد الشاعر فهو سائل الحب والهوى وهو معنى غير مباشر مردّه تغيير مقصد الشاعر .

إنّ أبا نواس انجز في بيته الأخير فعلين انجازيين : فعل لغوي مباشر هو فعل النداء المدلول عليه حرفيا بقرينة بنيوية هي حرف النداء (يا) والمنادى المضاف " ناهر المسكين" غير أنّ الجملة أو البيت في المقام السياقي الذي ورد فيه لا يقصد به انجاز فعل النداء وإنّما انجز فيه فعل التّذكر ، وهو كما يلاحظ غير مباشر وهذا ما اصطلح عليه كرايس بالإستلزام الحواري ، وهذا المعنى الحواري تولّد بفعل انتهاك المتكلم مبدأ الكم الذي يتصل بكمية المعلومات المطلوبة . فقوله في البيت الرابع كان اخبارا بكمية أكثر مما هو مطلوب إذ كان

بإمكانه القول نعم أو اجابة قصيرة هذا بالإضافة الى أنّ انزياح النداء الى التذكر في سياق الخطاب يحمل ضخ معلومات أكثر من المطلوب .

ويسمح الخطاب الشعري أيضا معنى استلزاميا آخر هو التحسر والتضجر ، وهذه الدلالة التي ضمنّها المتكلم في خطابه واستدلال المتلقي يتساوق مع الرأي القائل أنّ الإستدلالات التي يمكن أنْ يسمح بها الخطاب لكل من المتكلم والمخاطب يحكمه مبدأ العلاقة أو الملائمة . بمعنى أنّ الإستدلالات الأكثر احتمالا داخل الخطاب هي تلك التي يكون لها مؤشر لساني واحد أو أكثر داخل الخطاب أو لها علاقة بموضوعة letheme ذلك الخطاب ومقاصد المتكلم ومقام وروده .[١]

ومن الخطاب المتناص الذي تضمن دلالة استلزامية قول أبي نواس في محمّد بن ريـاح:[٢]

١- أراد محمّدُ بنُ رياحِ شتمي فعاد وبالُ ذلك على رياحِ

٢- أتذكرُ إذ حِرُّ أمِّك فـــوق... يدور كما يدور أبو رِيـاحِ

٣- تغنّتْ لي وقد رَكِبـتْ عليــه وسارتْ فوق مدّلج وقــاحِ

٤- ألسنا خيرَ مَنْ ركبَ المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ

نلمس بوضوح أنّ البيت الرابع هو اجترار لبيت جرير في مدح عبد الملك بن مروان: [٣]

ألستُم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أجرى أبو نواس تغيرا طفيفا على نص جرير بيد أنّ له أثرا كبيرا على صعيد دلالة النص ، وتمثل هذا التغيير في الإحالة التخاطبية فقد بدل ضمير الجمع للمخاطبين في خطاب

---

[١]- ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة : ١٨٣

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ٥٩٩

[٣]- ديوان جرير ، بشرح محمّد بن حبيب ، تحقيق نعمان محمّد امين طه ، جامعة القاهرة ، دار المعارف ، ذخائر العرب ٤٣ ، ط ٣ : ١ \ ٨٩

جرير الى ضمير الجمع للمتكلمين في خطاب أبي نواس ، وهذا الإنحراف أو التحوير أسهم في خلق شعرية للتناص أو النص الجديد منشأها قصد المتكلم . وهذا الإنحراف الطفيف في تغيير المقصد يكشف ضعف الرأي القائل أنّ قانون الإجترار في التناص أسهم في مسخ النص الغائب ، لأنّه لم يطوره واكتفى بإعادته كما هو أو مع اجراء تغيير طفيف لا يمس جوهره بسوء .[١] لأنّ خطاب أبي نواس " ألسنا خير من ركب المطايا ..." ليس مسخا بل هو انتاج جديد أسس بموجبه أفقا جديدا للتاريخ الأدبي ، ؛ لأنّ استعمال أبي نواس للغة في سياق موقف خاص ومرجعية الإحالات التخاطبية وقصدية الشاعر كل ذلك بلور معنى حواريا سياقيا استلزاميا جديدا هو الهجاء .

إنّ ارتكاز أبي نواس واضح على عبارة " من ركب المطايا " وجعلها مفتاحا لإنتاج غرض آخر هو الهجاء . وسرعان ما يحيلنا الخطاب الشعري على تباين دلالي بين زمنين زمن مرتبط بالسّياق التاريخي الذي ولد فيه خطاب جرير وهو امتداح عبد الملك بن مروان ، وزمن انتاج خطاب أبي نواس وتغيير القصد والفهم من ركوب المطايا من معناها الحرفي الى معناها المجازي وصيرورة ذلك الى هجاء محمد بن رياح وأسرته .

ويرى الباحث في مقاربته لهذا الخطاب أنّ التعالق النصي ولّد نوعين من المعاني السياقية :

الأوّل : هو المعنى الإستلزامي الخاص وهو ناتج من نقل النص الغائب من سياق المدح الى سياق الهجاء ومن مدح خليفة إلى هجاء إمرأة .

الثاني : المعنى الإستلزامي المعمم الذي بلغ درجة من العموم ولم يعد فيه المعنى مرتبطا بسياق خاص وهو الإثبات والتقرير ؛ لأنّ قوله : " ألسنا خير من ركب المطايا... " له دلالتان : حرفية جاءت بصيغة الإستفهام المقترن ب(ليس) من خلال أداة الإستفهام الهمزة ، ودلالة مستلزمة مقاميا هي الإثبات ، أي اثبات فعل الركوب لأُم المهجو والدلالة الأخيرة

---

[١]- التناص في شعر الرّواد ، أحمد ناهم ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١، بغداد – العراق ، ٢٠٠٤ م : ٤٣

تمحو الدلالة الحرفية وتصبح دلالتها الوحيدة هي المستلزمة أو المعممة حسب اصطلاح كرايس .[١] وتصبح الدلالة الحرفية لا تنطبق على مبادئ الحوار لرصد دلالتها المستلزمة .

في مجال التداخل النصي تترشح دلالة استلزامية خاصة وناتجة بفعل التحول من السّياق الديني الى سياق الغزل بالمذكر والمجون ، من ذلك قول أبي نواس :[٢]

١- وعاذلةٍ تلومُ على اصطفائِي غُلاماً واضِحاً مثلَ المهاةِ

٢- وقالتْ : قد حُرِمتَ ولم تُوفقْ لطيبِ الهوى وصال الغانياتِ

٣- فقلتُ لها : جَهِلتِ فليسَ مِثلِي يُخادِعُ نَفسَه بالتُرَّهاتِ

٤- أأختارُ البِحارَ على البرارِي وأحياناً على ظبيِ الفلاةِ

٥- دَعِينِي لا تَلومِنِي فإنّي عـلى ما تَكرهينَ الى الممات

٦- بذا أوصى كتابُ اللهِ فيّنا بتفضيلِ البنينِ على البناتِ

لجأ أبو نواس الى السّردية للتعبير عن أغراضه ومقاصده وقد اصطنع حوارا اشترك فيه طرفان العاذلة والشاعر نفسه . وثيمة هذه المقطوعة تتجسد في السلوك غير الرشيد من الشاعر من خلال اصطفائه للغلمان ونبذه القوارير . ويحسم الشاعر نتيجة هذا الحوار لصالحه وذلك بالإنتصار لمذهب تفضيل الغلمان على الغانيات من خلال تداخل نصي مع القرآن الكريم . فقوله :

بذا أوصى كتاب الله فينا بتفضيل البنين على البنات

يتناص قول السابق أبي نواس مع قوله تعالى : " يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ

---

[١]- ينظر اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، د. أحمد المتوكل ، منشورات عكاظ ، الرباط ، ١٩٨٩ م ، وأيضا ، التّداوليّات علم استعمال اللغة : ١١٢

[٢]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ١٨٢

الإنثيين " .[١] إنّ مبدأ التعاون هنا متحقق ؛ لأنّ العاذلة وأبا نواس متعاونان فيما بينهما في عملية التخاطب ، والمخاطب \ أبو نواس يرد على سائله ، لكن ما قاله المخاطب ليس اجابة مباشرة عن سؤال العاذلة فهو ينتهك مبدأ الكم ؛ لأنّ جواب المخاطب استغرق أربعة أبيات كما انتهك المخاطب مبدأ الكيف الذي ينص على أنّ " لا تقل ما ليس عندك دليل عليه " .[٢]

وقد أنتهكه عمدا ليظهر للعاذلة أن سؤالها غير صحيح ويؤنبها على جهلها . والعاذلة قادرة على الوصول لمراد الشاعر ؛ لإنهّا تعلم أنّ القرآن لم يفضل البنين على البنات إلا في الميراث وليس في نكاح الغلمان ؛ وذلك يستلزم أنّ الشاعر يقصد بقوله شيئا غير ما تقوله الكلمات وهو أنّ قول العاذلة غير صحيح وهكذا سحب أبو نواس دلالة الآية القرآنية من سياقها الديني الخاص وهو سياق الميراث الى سياق خاص هو سياق المجون والإستهتار وركوب المعاصي ؛ لأنّه قصد " من تفضيل البنين على البنات " التعشق بالغلمان واباحة الفواحش والمنكرات . فالسّياق لعب دورا في التأويل .

وفي دائرة التعالق النصي أيضا تبرز خاصية من خواص الإستلزام التخاطبي وهي " إنّ الإستلزام متغير والمقصود بالتغير إن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي الى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة ".[٣] من ذلك قول أبي نواس حكاية على لسان أحد غلمانه في واحدة من أشهر خمرياته ذات الطابع القصصي :[٤]

١- ودارَ بكأسِنا رشــأٌ رخيــمٌ لطيفُ الكشحِ مهضومُ الوشاحِ

٢- وقالَ: أتبرجونَ غداً ؟ فقُلنا وكيف نُطيقُ بعدكَ من بــَراحِ

---

[١]- النساء : ١١

[٢]- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٦

[٣]- م . ن : ٤٠ – ٤١

[٤]- ديوانه إيفالد فاغنر : ٣ \ ٩٧

٣- فَخَاتَـلنا فَـأسـكَرنا فنِمنا إلـى أن هَمّ الدّيـك بالصّياحِ

٤- فلمّا ركـزتُ الرمحَ فيه تنبّـهَ كالوقيـذِ مِـن الجِـراحِ

٥- فلـما ركـزتُ الرمحَ فيهِ تنَبَّه كالوقيـذِ مـن الجِراحِ

٦- فقلتُ لهُ: بحقِ أبيكِ سَهـلْ ولا تـَحوجَ الى سَفه التَـلاحي

٧- فقالَ : لقد ظفرتَ فنكْ هنيئاً بإسـعافٍ وبـذلٍ مسـتماحِ

٨- فلما أن وضعتُ عليه رَحلي تبدى مُنـشِداً شـعرَ امتداحِ

٩- ألستُمُ خيرَ مَنْ رَكِبَ المطايا وأنـدى الـعالمينَ بطـونَ راحِ

فالتعبير " ألستم خير من ركب ... " يتعانق مع قول جرير في امتداح عبد الملك بن مـروان .[١] وأبو نواس تلفظ بهذا البيت في سياق الرذيلة . وتغير المقام أو السّياق المقامي أدى الى تغير القصد ، فالدلالة السياقية المتولّدة من البيت الأخير هو ركوب الشاعر على ظهر غلامه أي ممارسته للشذوذ الجنسي . إنّ التواصل التعبيري للبيت الأخير تجاوز المحتوى القضوي لتلفظات النـص المتنـاص فهو لا يقصـد مـن المطايـا المعنى المعجمي من الخيل والإبل وما شاكل ذلك . كما أنّ الضمير في " ألستم " لا يعود على الخليفة . وأيضا دلالة الركوب لا يقصد منها ركوب الحيوانات ومن أجل ذلك يتطلب التأويل الصحيح للتلفظ من تفعيل السياق ووضعية التواصل . فالتواصل الكلامي حدث مكانيا في حانة من الحانات بدليل قوله :[٢]

إذا حانات خمر في كروم معرشة معرّجة النواحي

والزمان هو السَّحر تقريبا " الى أن هَمَ ديك بالصياح ". والموضوع هو الركوب الغلمان والسكر. أما الشخصيات فهي غلام جميل وصفه ب " رشأ رخيم لطيف الكشح " والشاعر .

---

[١]- ديوان جرير : ١ \ ٨٩

[٢]- ديوانه ، ايفالد فاغنر : ٣ \ ٩٧

نستدل من مسرح التخاطب كما يسميه نبيل أيوب .[١]

إنَّ قصد الشاعر من البيت هو حاله التي هو فيها من الإلتذاذ الجنسي . وفي اطار التناص يمكن رصد خاصية أخرى من خاصيات الإستلزام التخاطبي عند كرايس وهي أنّ الإستلزام ممكن إلغاؤه ويكون ذلك عادة بإضافة قول يسد الطريق أمام الإستلزام أو يحول دونه .[٢] لكن في غير العادة يتقدم قول أو بنية لغوية يسد الطريق أمام الإستلزام من ذلك قول أبي نـــــواس :[٣]

١- فَدَيتُ مَنْ قلتُ لهُ : فَدَيتُ ذا الـوَجهُ الحَــسَنْ

٢- فَقالَ لي مُستَهزِئاً : في الصيفِ ضَعيّتِ اللّبنْ

التواصل الكلاميّ يوضح لنا أنّ المخاطب " ذا الوجه الحسن " وقد وظّف المثل " في الصّيف ضيعت اللبن " . وأبو نواس في هذه النتفة الشعرية اصطنع لنا حوارا بينه وبين غلام جميل ، و طرفا العملية التحاورية هما الشاعر \ الغلام الحسن وهما متعاونان في التخاطب ونجد الشاعر يحكي على لسان مخاطبه الحقيقي أو الإفتراضي قولا مأثورا هو " في الصيف ضيعت اللبن " أي أنّه قام بسحب القول من السّياق الأوّل وهو سياق الندم والقطيعة ؛ لأنّ هذا المثل يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه ، فالمثل في الأصل خاطب به عمرو بن عُداس زوجه دختوس بعد طلاقها ،وبعد الفاقة طلبت من عمرو حلُوبة فقال لها " في الصّيف ضيعت اللبن .[٤] الى سياق جديد هو سياق التغزل بالغلمان لكنّ

---

[١]- النقد النصي : ٢٥٩ ــ ٢٦٠

[٢]- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٩

[٣]- ديوانه : غريغور شولر : ٤ \ ٤٣٤

[٤]- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (- ٥١٨) ، تحقيق محمّد محييّ الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان : المثل ٢٧٢٥ ، ٢ \ ٦٨

الإستلزام المفترض الذي ينتج هنا قد ألغي وهذا يرجع الى أنّ الإستلزام قد تقدمه قول : " فقال لي مستهزئا " فلو لم يذكر أبو نواس هذا القول أو ذكر قولا آخر لإستلزم " في الصّيفضيعت اللبن " عنده قصدا ضمنيا ، لكن أبا نواس بقوله " فقال لي مستهزئا " فقد ألغى الاستلزام أي أنّه لم يقصد من قوله : " في الصّيف ضيعت اللبن " غير الإستهزاء فهو بتصريحه لم يبق مجالا للمعنى الضمني.

المبحث الخامس

الاستلزامات المولّدة بالشكل اللغوي

يمكن تصنيف هذه الإستلزامات إلى ما يأتي :

(أ) – الاستلزام التخاطبي الوضعي : لما نشأت فكرة الإستلزام التخاطبي عند كرايس نتيجة لتفرقته بين المعنى الصريح للجملة ، وبين ما نحمله من معنى متضمن فيها فرق بين نوعين من الإستلزام الحواري ، وهما الإستلزام العرفي ونحصل عليه انطلاقا من الألفاظ اللغوية نفسها .[١] أو هو الذي لا يتولد بواسطة قواعد المحاورة بل بواسطة ألفاظ متعارف عليها في توليد ذلك النوع من التلويح .[٢]

وهذا الصنف قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلف السّياق وتغيرت التراكيب ، ومن ذلك مثلا (لكن) فهي تستلزم دائما أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع مثل " زيد غني ، لكنه بخيل " . وأما الإستلزام الحواري فهو متغير دائما بتغيير السّياقات التي يرد فيها .[٣]

وقدّم كرايس ستة مقاييس تمكن من التمييز بين الإستلزامات التخاطبية الوضعية ، والإستلزامات التخاطبية التحادثية وهي :[٤]

١-قابلية الاحتساب : يقع تحليل الإستلزمات الخطابية مبدئيا بالاستناد إلى مبدأ التعاون وإلى الحكم المحادثية ، فهي إذن قابلة للاحتساب خلافا للإستلزمات الخطابية الوضعية التي تكون

---

[١]- ينظر القاموس الموسوعي للتّداوليّة : ٥٧١

[٢]- ينظر نظرية الفعل الكلامي : ١٦٣

[٣]- ينظر م . ن : ١٦٣ – ١٦٤

[٤]- ينظر القاموس الموسوعي للتّداوليّة : ٢٦٩ - ٢٧٢

بعكس ذلك غير قابلة للإحتساب بل هي تنقدح آليا استنادا الى محتوى العبارة .

٢-قابلية الإلغاء : يفيد هذا المقياس أنّ الإستلزام المحادثي الخطابي يمكن أن يلغى دون أن يتسبب ذلك في تناقض ، في حين أن إلغاء الإستلزام الخطابي الوضعي يسبب تناقضا.

٣-عدم قابلية الانفصال : إنّ الإستلزام الخطابي قابلٌ للإنفصال إذا كان قائما على معنى العبارة على شكلها ، وإذا تعذر فصل عن القول بمجرد تعويض العبارة بأحد مرادفاتها.

٤-عدم الوضعية : يترجم مقياس عدم وضعية الإستلزامات الخطابية المحادثية بكل بساطة فكرة أن هذه الإستلزامات الخطابية لا تمثل جزءا من المعنى الوضعي للعبارات اللغوية ، خلافا للإستلزامات الخطابية الوضعية إذا قررنا بوجوب احتساب المعنى الحرفي للقول قبل احتساب استلزاماته الخطابية ، فإنّ هذه الإستلزامات لا يمكن أن يكون جزءا من المعنى الوضعي للعبارات اللغوية . من ناحية اخرى من الممكن جدا أن يكون القول صادقا في حين تكون استلزاماته الخطابية كاذبة ، فإذا أخبر المتكلم أنّ لمريم ثلاثة أبناء والحال أن لها أربعة فإنّ قوله ليس كاذبا ، لكن استلزامه الخطابي المحادثي لمريم ثلاثة أبناء فقط لا أكثر كاذب .

٥-الإرتباط بإلقاء القول : اذا لم يكن الإستلزام الخطابي المحادثي الوضعي للقول أو بالإحرى جزءا من المقول ترتب على ذلك أنّه لا يمكن أن ينقدح إلاّ من التلفظ بعبارة ما في معنى ما .

٦-عدم التحديد : إنّ أحسن مثال للإستلزامات الخطابية المحادثية غير المحددة هو مثال للإستعارات ففي بعض الإستعارات تكون هذه الإستلزامات أكثر تحديدا ، وتكون في بعضها الآخر أقل ، ويرتبط هذا التنوع في تحديد الإستلزامات الخطابية المحادثية بدرجة تكلس الإستعارة فكلما ارتفعت درجة التكلس كانت الإستلزامات أكثر تحديدا ، وكلما انخفضت (أي كانت أكثر ابداعا) كانت الإستلزامات أقل تحديدا . لكنَّ الإختلاف الجوهري القائم بين الإستلزام المحادثي والإستلزام الخطابي الوضعي مرّده الى أنّه إذا كانت الإستلزامات

الوضعية تولدها كلمات أو عبارات لغوية فإنّ الإستلزامات المحادثية يولّدها اجراء يعمل مفهومي مبدأ التعاون وحكمة المحادثة .[١]

ومن شواهد الإستلزام الوضعي في شعر أبي نواس قوله يلوم عاذله لبادرة بدرت منه:[٢]

لو كانَ لومُكَ نُصحاً كنتُ أقبلُهُ لكنَّ لومُكَ مَحمُولٌ على الحَسَدِ

في هذا الخطاب نحصل على استلزام عرفي بوساطة لفظة (لكن) ؛ لإنّ هذه اللفظة تستلزم دلالة واحدة في جميع السّياقات والتراكيب ، وهي الإستدراك وإن ما بعدها " لومك محمول على الحسد " يخالف ما قبلها " لوكان لومك نصحا كنت أقبله " وهذا الإستدلال ولّده الشكل اللغوي للأداة (لكنّ) .

ومن النماذج الشعرية التي تتجسد فيها الإستلزام التخاطبي الوضعي قول أبي نواس في احدى خمرياته :[٣]

١- قُطربُّل مَربـعِي وَلِيَ بقُـــرى القُفْصِ مصـــيفٌ وأمِيَّ العِنَبُ
٢- ترضعني دَرُهـــا وتلحفنِـــي بظلَـــتِها والهـــجيرُ ملتـــهبُ
٣- إذا ثَنَتهُ الغصونُ جَلَـــلَنـــي فيَنانُ ما فـي أديمِهِ جـــوبُ
٤- تبيت في مـــــأتمٍ حمـــــه كما ترثي الفـــواقدُ السّـــلبُ
٥- يـــهبُ شوقي وشوقهن مـــعاً كأنّـــــما يستـــحفيا الطـربُ
٦- وقمتُ أحبو الى الرضاعِ كما تَحاملَ الطفلُ مَسَّـــهُ السَّـغَبُ
٧- حتى تَخيَّرتُ بنتَ دَســـــكَرةٍ قد عجمتها السّـــنُونُ والحقبُ
٨- هتـكتُ عنها واللّيـلَ مُعتـَكِرٌ مُهلهلَ النَسجِ مـــالَهُ هُـــــدْبُ

---

[١]- ينظر القاموس الموسوعي للتّداوليّة : ٢١٣

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ١٣٧

[٣]- م . ن : ٨٥ – ٨٧

٩-مِنْ نسجِ خرقاءَ لا تُشـــدُ لـــــها آخـــــية في الثـَرى ولا طُنبُ

١٠-ثم تَوجَأتُ خُصْرَها بشـــبا ال إشـــفِى فَجـَـاءتْ كأنّـــها لَهبُ

١١- فَاستَوثَق الشُرْبُ للندامى وأج راهـا اللُّجَيـــــنُ والـــغُـــربُ

فضاء الخمرة يحيل إلى قُطرَبُل وقفص ، وهما أشهر حانات الخمر وأبرز مواطن اللهو ومعاهد النزهة ومجالس الفرح والأغصان الكثيفة والأوراق المتشابكة كأنّها السّماء قد سدت الفتحات التي بين الأوراق ، وفي ظل هذه الأجواء هاج شوق الشاعر وشوق الحمائم واهتزوا للطرب جميعا ، بعدها زحف أبو نواس نحو الخمر كزحف الطفل الجائع نحو الحليب . وأصفى أبو نواس خمرة معتقة في ليلة شديدة الظلمة مزقت النسج الذي يعلو سطحها بعد ذلك ضرب أبو نواس بشفرة السكين جانب الخمرة وتلا ذلك كله تهيأة مجلس للندامى ودارت بينهم الخمرة في كؤوس من الفضة و الذهب .

نلحظ في هذه الخمرية حضوراً فاعلاً للإستلزام التخاطبي المولّد من عامل الشكل اللغوي ، وقد توزعت هذه العناصر على أربعة روابط هي الواو ، حتى ، ثم ، والفاء . علما أنّ الرابط (الواو) هو أكثر الروابط حضورا على مستوى الكم إذ ورد سبع مرات .

أما الرابطان الفاء فقد ورد مرتين و(حتى ، ثم) مرة واحدة لكل منهما . إنّ تنوع هذه الروابط وعددها مؤشر دلالي على اتساق الخطاب ، ومن هنا فأنّ للعطف أهمية كبرى في وصل المعاني بعضها ببعض وربط أجزاء الكلام كما أن أثره لا ينحصر في تحقيق التماسك على مستوى الجزء من الكلام ، وإنّما يتوزع في مختلف المستويات . فأحيانا نجده على مستوى الألفاظ واحياناً على مستوى الجملة وأحيانا على مستوى الجمل .[١]

لذلك نلحظ في النص علاقة وطيدة بين الشاعر وبين (القفص) وهي قرية شهيرة من قرى الخمرة والعنب الذي يعصر من الخمر والبساتين والحدائق التي هي مواطن للنزهة جعلت

---

[١]- ينظر نحو النص اطار نظري ودراسات تطبيقية ، عثمان أبو زنيد ، عالم الكتب الحديث ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م : ١٣٢

من عملية التعامل معها شيئا مشتركا بين شقيه بحرف العطف الواو كما في البيت الأوّل والثاني ، وكذا الحال في البيت الخامس (شوق الشاعر \ شوق الحمائم) إلى فعل مشترك هو الإهتزاز للطرب ؛ ولأنّ الطرب والغناء وشرب الخمر تشترك في حقل دلالي واحد هو اللهو استلزم الجمع بينها بالرابط (الواو) ونوع العطف هنا هو عطف جملة على أخرى . ويتجلى في البيت الأخير عطف لفظة على أخرى ، إذ عطف أبو نواس لفظة الغرب – أي الذهب – على لفظة اللجين – أي الفضة – وهذا الجمع كان مستلزما طالما أن دوران الكؤوس على الندامى يكون بالفضة والذهب استلزم الأمر أن يكون الجمع بالعطف بوساطة الواو .

ومن أدوات العطف المستعملة في النص الأداة (حتّى) وهي تفيد انتهاء الغاية الزمانية أو المكانية . ففي البيتين السادس والسابع عطف المتكلم الفعل " تخيّرت " على القيام ؛ لأنّ الهدف من القيام هو الإختيار ، أي اختيار الخمرة العتيقة ولذلك فقد صح عطف الثانية على الأوّلى فارتبطت بها . واستلزم حركة القيام الوصول الى الخمرة المعّتقة والإنتهاء إليها ، وهذا الإنتهاء هو غاية الفعل ، ومن هنا وظّف أبو نواس أداة العطف (حتّى) . والرابطان الآخران المستعملان في هذا النص هما (ثم) و(الفاء) والأوّل يفيد التعقيب والثاني يدل على تأخر المعطوف عليه متصلا به وثم على التراخي .[١] وظهر هذان الشكلان من العطف في البيت العاشر والناظر لهذين الرابطين يدرك الدور الذي قام به العطف في توالي وحدات النص واختلاف دلالة كل منهما . فجاء استعمال (ثم) في موقع يناسب دلالته ؛ لأن الشاعر بعد أن هتك النسج المهلهل على الخمر قام بضرب وعاء الخمرة بسكينة أو آلة حادة " شِبا الاشفى " فجاء استعمال (ثم) ليستلزم التعقيب ؛ لأن فعل الضرب " توجأتُ خصرها " أعقب هتك النسيج ؛ ولأنّ سيلان الخمر من الوعاء جاء بعد ثقب وعاء الخمرة استعمل أبو نواس أداة العطف (الفاء) في قوله : " فجاءت كأنّها لهب " ليستلزم التراخي .

---

[١]- ينظر شرح إبن عقيل على ألفية إبن مالك ، تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م : ٣ \ ١٨٧

(ب)- الاستلزام التخاطبي المعمم :

يطلق كرايس تسمية الإستلزامات الخطابية المعممة على الإستلزامات الخطابية التي يولّدها شكل لغوي .[١] ويطلق عليه " لفنسن " اسم التلويح النمطي (غير الإستثنـائي).[٢] وهذا الصنف هو الذي يحدث عندما لا نحتاج الى معرفة خاصة بالسّياق لحساب المعنى الموصل الاضافي .[٣]

إنّ الإستلزام التخاطبي المعمم ظاهرة تفسر تطوريا بأنّها ظاهرة تحجر مرت بمرحلتين ، مرحلة تكون فيها دلالتان اثنتان ، دلالة حرفية ودلالة مستلزمة مقاميا ومرحلة تنمحي فيها دلالتها الحرفية فتصبح دلالتها الوحيدة هي دلالتها المستلزمة أي تتحجر هذه الأخيرة أو تعمم حسب مصطلح كرايس بحيث تصبح دلالة حرفية لا ينطبق عليها مبدأ خرق قواعد الحوار لرصد دلالتها المستلزمة .[٤]

ومن النماذج الشعرية لأبي نواس في اطار الإستلزام التخاطبي المعمم قوله :[٥]

أَلَمْ تَرَنِي أَبِحْتُ الرّاحَ عِرضي وَعَضَّ مراشفَ الظبيِّ المليحُ

الدلالة الصريحة على الإستفهام في هذا البيت هو النفي لدخول أداة الإستفهام الهمزة على أداة النفي (لم) ، أما دلالتها الضمنية فهي الإثبات أو التقرير أي اثبات حكم اباحة العرض للخمر وعض شفاه الغلمان الحسان . أو كما قال أحد الشُرّاح : " لقد أبحتُ عرضي للخمر

---

[١]- ينظر القاموس الموسوعي للتّداوليّة : ٢١٣

[٢]- ينظر نظرية الفعل الكلاميّ : ١٦٢

[٣]- ينظر التّداوليّة : ٧٢

[٤]- ينظر اللسانيات الوظيفية : ٢٦ ، وأيضا التّداوليّات علم استعمال اللغة : ١١٢

[٥]- ديوانه ، الحديثيّ : ١١٩

تفعل به ما تفعل ولعض مراشف غلمان كالضباء في حسنهم " .[١] فالدلالة الاستلزامية لهذا الخطاب هو الإثبات أو التقرير وهذه الدلالة السّياقية المعممة تولّدت من شكل لغوي هو النفي المتصدر بالإستفهام " ألم " وهذا التركيب له دلالة عامة في جميع السّياقات هي دلالة الإثبات . ومن ذلك قوله :[٢]

أَلَمْ تَرَ أنَّ المالَ عَوّنٌ على النَّدى وليسَ جوادٌ مُعْدَمٌ كبَخيلِ

الحمولة الدلالية لقول أبي نواس هو الاثبات ؛ لأنّ مخاطبا لو أجاب الشاعر لقال : " بلى " وهذا المعنى الإستلزامي من نمط المعاني العرفية الضمنية وهي التي ترتبط بالجملة أو التركيب ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام دخول الإستفهام على النفي فالدلالة الإستلزامية هي الإثبات أي اثبات أنّ المال عون على الندى والإقرار بأفضيلة الجواد المعدم على البخيل .

(ت)- الاستلزام التخاطبي المتدرج أو الدرجيّ

يتم ايصال بعض المعلومات دائما عن طريق اختيار كلمة تعبر عن قيمة واحدة من بين تدرج للقيم . ويتضح هذا الأمر جليّا في مصطلحات تستخدم للتعبير عن الكم . ومثال ذلك حيث تنتظم هذه المصطلحات في تدرج من أكثر قيمة الى أقلها قيمة (كل ، معظم ، كثير، بعض ، قليل) و(دائما ، غالبا ، أحيانا) . عندما ينشئ المتكلم اللفظ فأنّه يختار كلمة من التدرج الأكثر أخبارا ومصداقية (كما ونوعا) حسب الظروف المحيطة . إنّ أساس التضمين المتدرج هو أنّه عند ثبوت أية صيغة في التدرج يتم تضمين نفي كل الصيغ الأعلى في التدرج . وينشأ العدد من التضمينات المتدرجة باستعمال تعابير قد لا نعتبرها في وقت الكلام جزء من أي تدرج . إنّ من أبرز خصائص الإستلزامات المتدرجة هي أنّه عندما يصحح المتكلمون أنفسهم في بعض التفاصيل كـــما في المثـــال الآتـــي : "

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٢٠٣

[٢]- ديوانه الحديثيّ : ١٨٤

حصلت على بعض هذه المجوهرات " في هذا المثال تضمن ابتداء ليس معظّماً من خلالبعض ولكن بعد ذلك يصحح تثبيت معظمّا يمكن أن يفسر ذلك التثبيت الأخير مع استلزام متدرج آخر ليس كل .[١]

ومثال الإستلزام الدرجي في شعر أبي نواس قوله :[٢]

١- وَوقّرْ الكـــأسَ عن سفيهٍ فـإنّ آيـينها الوِقـــــارُ

٢- بنت مـــدى الـــدّهر أو كبـيرة شأنها كُـــــبّارُ

٣- تَخيّرت والنجوم وقــف لم يتمكن بها المـــدارُ

٤- فلم تزلْ تأكل الليالـــــي جثمانَها ما بها انتصارُ

٥- حتى إذا ماتَ كـــلَّ ذامٍ وخَلَصَ السّرُ والنّجارُ

٦- عادتْ الى جوهرٍ لطيفٍ عيان موجودة ضـمارُ

يخبرنا أبو نواس في مقطوعته الخمرية عن سلوكيات التعامل مع الخمرة وكأسها في مجالس الشراب من ذلك التبجيل والإحترام ؛ لأنّ قانون الشرب هو الوقار . وفي البيت وصف أبو نواس الخمر بالكبير في قوله : " كبيرة شأنها كُبّار " ومن ثم فإنّ لفظة كبيرة تدل على التدرج وبما أن كبيرة تستلزم نفي التصغير أو أن تكون صغيرة فهذا يعني أنّ من يشربها حري أن يكون كبيرا . وجاءت جملة " كبيرة شأنها كُبّار" جملة إسمية للدلالة على الثبوت ودوام السكون أي أن كبر الخمرة هو كبر دائم وثابت وساكن . أما قوله

حتى إذا مات كلّ ذام وخلِّص السّر والنجّار

فإنّ المحتوى القضوي لهذا البيت هو مرحلة الصفاء والنقاء التي بلغتها الخمرة بعد أن "

---

[١]- ينظر التّداوليّة : ٧٣ ــ ٧٤

[٢]- ديوانه ، الحديثيّ : ١٤٥

زال عنها كل عيب وخلصت الى جوهر لطيف ، فلا يكاد يبقى منها شيء يرى " .[١]

إنّ لفظة " كل " اسم موضوع للإحاطة والشمول .[٢] وجاء هنا لإيضاح صفات الخمرة وبيان صفاتها ونقائها وجودتها . واستلزمت " كُلّ " الشمول ونفي ال " بعض " .بمعنى آخر أنّ الجودة والكمال واللطافة كلها صفات دالة على الخمر وينفي عنها صفات التهجين والإمتزاج والشوائب ، وبذلك استلزمت صفات الجوهر واللطافة .

وتأتي لفظة " قليل " في اطار الإستلزامات المتدرجة ومثاله قول أبي نـواس يصـف شاهينا :[٣]

بمُقلةٍ قليلة التّكذيب طرّاحة خلف لقى العيوبِ*

أظهر أبو نواس في هذا البيت احدى صفات عين الحبارى بقوله " قليلة التكذيب " ولفظة " قليلة " هي نقيض " كثيرة " ، وهذه اللفظة تأتي في آخر سلم التدرج لقيم " كُلّ ، معظم ، كثير، قليل " . ومن ثم أنّ المتكلم قصد اخبارنا بشيء لم يتم ايصاله مباشرة والدلالة الإستلزامية ل " قليلة التكذيب " هي أنّه مبصرة بدقة ، تلقي بصرها الى أبعد ما يكون فكأنّها تبصر ما غاب عنها .[٤]

ومن الإستلزام الدرجي المعبر عن الأكثر اخبارا في سلم قيم الصدق لفظة " دائم " وذلك

---

[١]- ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ٢٩٦

[٢]- شرح ابن عقيل على ألفية إبن مالك : ٣ \ ١٧٢

[٣]- ديوانه ، الحديثيّ : ٢٥٦

* " أي هو بعيد النظر بها أقصى ما نظر. وطرّاحة نظّارة : ديوانه الحديثيّ : ٢٥٦"

[٤]- ينظر ديوانه ، محمّد أنيس مهرات : ١٥٩

في قوله :[1]

يفَتَأ حَرَّ الوَجْهِ مِن لهيبِ سَقياً لِعيشٍ دائمٍ وطيبِ

يأتي هذا البيت في ذيل احدى طرديّاته يصف فيه الصيد بالشاهين وأكل لحوم الطيور الطازجة مع رفاقه ويرى أنّ هذه الحياة هي حياة طيبة لذا فهو يدعو لبقائها . واختيار مفردة " دائم " تستلزم نفي مفردات " غالبا ، احيانا " من سلم القيم . فالمرسل قصد بوساطة لفظة " دائم " الإستمرار والديمومية لهكذا نمط من العيش . ويمكن ايجاز نتائج هذا الفصل بما يأتي :

-تنوعت خطابات أبي نواس بين التمسك بمبدأ التعاون والقواعد المتفرعة وبين خرق تلك المبادئ وجاءت تلك الإنزياحات والخروقات لغايات قصدية تخدم الهدف التّداوليّ في الخطاب الشعريّ .

-شكل الخطاب المجازي مساحة غنية لإشتغال هذا المفهوم التّداوليّ وفق مشروع كرايس.

-كثرت الأساليب الإنشائية البلاغية في عملية التحاور الإفتراضي أو الحقيقي في المتن النواسيّ وتعددت دلالاتها الإستلزامية المناسبة للسياق .

-أنتج التناص في خطابات أبي نواس مستويات للمعنى وتعددية في الدلالات وفقا للإدراك الجمالي للمتلقي .

-أظهر تأثر التناص بالقوالب الصياغية صيرورة تلك القوالب أساليب تداوليّة بين الشعراء ، وتعد من جانب آخر من سمات الشعر الشفاهي التي تساعد على الحفظ والإنشاد .

-وظّف المتكلم الروابط التّداوليّة توظيفا يخدم وحدات النص وتباين دلالاتها .

-يصنف الإستلزام في الخطاب الشعري النواسيّ ثلاثة أصناف هي الإستلزام التخاطبي الوضعي والمعمم والمتدرج أو الدرجيّ .

---

[1]- ديوانه ، الحديثيّ : ٢٥٨

الخاتِمة

الخاتمة

بعد هذا المشوار مع شعر أبي نواس نصل الى تأكيد أن التّداوليّة مبنية على التواصلية ، وإن استعمال اللغة يتشكل من خلال التفاعل بين الذوات ، وإن كان الوعي بأن الكلمات تنتظم في تراكيب ، وإن لكل وحدة في الجملة علاقة مع غيرها من الوحدات الـأخرى لا يعني بالضرورة اهمال السِّياق لصناعة المعنى وتشكيل الدلالات .

إنّ عناية التّداوليّة بمقاصد المتكلم وفي ظل السِّياق المساهم في انتاجه تكشف في وجه من وجوهها حقيقة الصراع بين مركزين لإنتاج القصديّة وامتلاك ملكية المعنى وهما الميتافيزيقيا بكل صورها وأشكالها وعلى قمة هرمها الإله ، وبين الإنسان أو بالأحرى العقل الإنساني أو الذات الإنسانية بوصفهما المصدر الأوحد لإنتاج المعنى والدلالة في عصر الحداثة وما بعده ، لكن في الواقع أن كلا المنهجين يفضيان الى نتيجة واحدة هو الإقرار بوجود مركز للوجود والعالم ،ومرجعية تحيل عليهما . وعليه لا يمكن تجاوز قصدية المتكلم بأي مسوغ من المسوغات أو تجت أي ذريعة كانت .

لقد اتسمت الموضوعات المعالجة في المتن النواسيّ بأنّها واقعية ولصيقة ببيئة الأطراف المتخاطبة ، وإنّ الشاعر \ أبا نواس لم يستعمل اللغة استعمالا قائما على توليد جمل وتراكيب خاضعة لأنساق لغوية معينة فقط بل أنّ تجربته الشعرية لها سماتها التّداوليّة . ويستثمر المتكلم السِّياق لإغداق دلالات جديدة على الملفوظات لإيهام القارئ ومن ثم ممارسته نوعا من التأويل المفرط . وعلى الرغم من رفض الكثيرين لموقف أبي نواس من المقدمة الطللية واعتراض أخرين على الخمريات أو ما أطلق عليها بالنصوص المحرّمة إلا أنّها تعكس عموما وجها من وجوه إبراز انزياح أطر الإنتاج الإبداعي للشاعر والذي يهب الخطاب وظيفته التواصلية والتفاعلية ، قصد التثبت والتأكيد وتقوية الحكم وهي تتجلى بمثابة أفعال انجازية متضمنة في الخطاب المنزاح ومتسّقة مع قصديّة المخاطب من العملية التخاطبية واحداث التغيير في الوظيفة السّياقية ، ومن ثم انصبت عناية المتكلم \ أبي نواس على الدلالة الضمنية أو معنى المتكلم المشتغل في الخفاء من وراء الدلالة الظاهرة أو الحقيقية لتظهر بعد ذلك مختلف الأفعال الكلامية المقصودة داخل الخطاب ، وقد أفضى ذلك

كله الى اعطاء أبي نواس القارئ المعاصر وسلسلة القرّاء الفعليين أو الحقيقيين عبر العصور فرصة في البحث والتقصي عن المعنى المضمر أو المقصود ، ويتجلى من ذلك بيان كفاءة القارئ أو المتلقي في عملية القراءة والتأويل . وكل ذلك يتفق مع توجهات الدرس التّداوليّ المعاصر . وأظهر أثر التناص بالقوالب الصياغية صيرورة تلك القوالب أساليب متداولة بين الشعراء وتعدُّ من جانب آخر من سمات الشعر الشفاهي التي تساعد على الحفظ والإنشاد . كما شكلت المرجعية الثقافية للمؤلف عامل سلب أو ايجاب على استراتيجية نصه في التأثير واستراتيجية المستمع أو المتلقي في الإستقبال . ولقد أماطت المعالجة التداوليّة اللثام عن المواكبة والإستثمار في التجديد والتغيير في الحقول المختلفة ولاسيّما حقلي الأدب والسياسة . ومن جانب آخر كشف التحليل التّداوليّ تحولاً في بنية الحدث الكلامي على مستوى معمارية قصيدة المديح . فضلا عن وجود تداوليّات خاصة سواء كانت تحيل إلى شخصية الشاعر ام إلى فئة معينة في المجتمع وعلى المستويين الإجتماعي والديني . وسوسيولوجياً أزال الخطاب الشعري باسلوب السخرية السِّتار عن جانب من الممارسات السلوكية لبعض خلفاء بني العبّاس .

وتبيّن أن استعمال الألفاظ المتجاورة بعضها مع البعض الآخر دلاليا كان يهدف إلى تبيان الفروق بين الأقوال والتي تظهر من خلالها دينامية المعنى عن طريق الإنتقال من المعنى الحرفي الى طبقات المعاني واختراق أغشية النص للولوج الى القصديّة التواصلية للخطاب ؛ لأنّ تغييرات البنية اللسانية ليست تغييرات شكلية صرفة بل هو بفعل اشتغال القصد المتعلق بالإنتاج استنادا الى مقصدية المتكلم وطبيعة المقام الخطابي المؤطر للمرسل اليه وخلفياته الإجتماعية ، ولهذا أتكا على المغايرة بين الأساليب الخبرية والإنشائية كي يدفع عن أسلوبه أجواء الملل والسأم – وإن لم يخلُ من ذلك بشكل كلي – ويقشع عن فضاء عمله شعور الإنسجام الباهت والإتساق الخافت ليجري بعده في أذهان المستمعين نمير النشاط والتفاعل.

إنّ عناية أبي نواس بخطابه الشعري وبمستوياته المتنوعة سواء أتم ذلك بخرق قواعد الحوار التخاطبي أم لم يتم جاء بالنظر لعامل الكفاءة لدى كل من المرسل والمرسل اليه . ولقد ادرك النواسي بفطنته ووعيه أهمية عناصر انتاج الخطاب أثناء عملية التخاطب من

وظائف ومقاصد لأجل تحقيق فعل التأثير في المتلقين ومنتقيا طريقة المحاججة في ذلك بوصفها طريقة ناجعة للإقناع وجلب المنفعة وهي ما تصبو إليها معالجات التّداوليين المعاصرين .

لقد استثمر أبو نواس خلفياته المعرفية في اتجاهه التجديدي في كتابة الشعر ، وهو ما يتضح

من متونه الخمريّة والطرديّة والغزليّة لاسيما الغزل بالغلمان بوصف تلك الأغراض أشهر الموضوعات المستحدثة في عصره ، وكان اكتراث أبي نواس من ذلك يتصل بالتطور والتحول في الحياة بشكل عام ليؤطره بعد ذلك في البعد التمردي الذي هيّمن عليه في مجال الإبداع الفني والجمالي .

لقد تبيّن بشكل جلّي أنّ المتن الشعري النواسيّ ملائم للدراسة التّداوليّة ؛ وذلك لتوفر الأسس التي تقوم عليها هذه النظرية اللسانية أو هذا المنهج النقدي من مبدأ القصديّة ، ومراعاة السِّياق، والإفتراض المسبق ، والتأثير في المخاطب والفعل الكلامي وإن كان الفعل الكلامي الشعري يختلف لطبيعة تكوينه ومعايير بنائه عن الفعل الكلامي العادي .

إنّ تعددية رواية شعر أبي نواس ونقله وجمعه وتحقيقه من زمن الإنتاج الى يومنا هذا واعطائه العناية في فضاء الإستشهاد وسعة تأثيرها على المجتمع الإنساني وتداوله المضطرد لهو دليل على قيمة هذه المدونة الشعرية في التراث العربي والإسلامي والعالمي. وأخيرا ، يتصور البحث أن توظيف المنهج التّداوليّ في التحليل والمعالجة عظيم جداً وأمرٌ لا يمكن تجاوزه في الحقول المعرفية كلّها .

مصادر البحث ومراجعه

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم ، بالرسم العثماني ، نال شرف كتابته الخطاط عثمان طه ، دار البرهان للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩ .

(أ)

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د. محمود أحمد نحلة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠١١ م .
- أبو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد ، د. أحلام الزعيم ، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١م .
- أبو نواس ، خليل شرف الدّين ، منشورات دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ١٩٩٢ .
- أبو نواس ، عمر فرّوخ ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، ط ٢ ، شباط ، ١٩٦٤ .
- أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه ، إبن منظور المصريّ ، قدّم له وأشرف على تصحيحه وتقسيمه وتبويبه ، عمر أبو النصر ، ط٢ ، ١٩٦٩ .
- أخبار أبي نواس ، أبو هِفّان بن حرب المهزيّ ، تحقيق وتقديم فرج الحوار ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠١١ .
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة ، عبد الهادي بن ظافر الشهريّ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .
- الإستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، محمّد الولي ، منشورات دار الأمان ، الرباط – المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٥ .
- الاستلزام الحواري في التّداول اللسانيّ ، العياشيّ أدراوي ، منشورات الإختلاف ، الرباط ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م .
- إمراء الشعر في العصر العبّاسيّ ، أنيس المقدسيّ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، آب ، ٢٠٠٨ .
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة ، دراسة نحوية تداولية ، د. خالد ميلاد ، جامعة منوبة ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ٢٠١١ .

(ب)

- بحار الأنوار ، للمولى محمّد باقر المجلسي ، طبع دار الكتب الإسلامية ، طهران .
- البعد التّداوليّ والحجاجي في الخطاب القرآني ، أ.د قدور عمران ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، ط ١ ، ٢٠١٢ م .

(ت)

- تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمّد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، سلسلة ذخائر العرب (٣٠) ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩ م .
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، محمّد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .
- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، د. صلاح اسماعيل عبد الحق ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .
- تحوّلات زهرة العبّاد في الخطاب النقدي ، سمير الشيخ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠١١ م .
- التّداوليّات علم استعمل اللغة ، اعداد وتقديم د. حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- التّداوليّة ، جورج يول ، ترجمة د. قصي العتّابي ، الدار العربية للعلوم والفنون ناشرون ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .
- التّداوليّة عند العلماء العرب دراسة تّداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي ، د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة – بيروت ، ط ١ ، تموز ٢٠٠٥ م .
- التّداوليّة في البحث اللغوي والنقدي ، تحرير أ . د . بشرى البستاني ، مؤسسة السيّاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، لندن ، ط ١ ، ٢٠١٢م .

- التّداوليّة من أوستين الى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ترجمة صابر حبّاشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية – اللاذقية ، ط ١ ، ٢٠٠٧ .
- التّداوليّة والحجاج مداخل ونصوص ، صابر حبّاشة ، الإصدار الأوّل ، ٢٠٠٨ م .
- التّداوليّة اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول ، جاك موشلار ، ترجمة د. سيف الدين دغفوس وآخرون ، مراجعة د. لطيف زيتوني ، المنظمة العربية للترجمة ، دار الطليعة بيروت – لبنان ، ط ٢ ، تموز ٢٠٠٣ م .
- التناص في شعر الرّواد ، أحمد ناهم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد العراق ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .

(ج)

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري المصري (١٩٤٣ م) ، تحقيق نجوى أنيس ، دار احياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، يناير .

(خ)

- الخطاب التّداوليّ والحجاجي في الخطاب القرآني ، أ . د. قدور عمران ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠١٢ م .
- الخطاب وخصائص اللغة العربية ، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ، د ، أحمد المتوكل ، الدار العربية للعلوم ناشرون .

(د)

- دلالة السّياق ، ردّة الله بن ضيف الطلحي ، جامعة أم القرى ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ .
- ديوان أبو نواس برواية الصّولي ، تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثيّ ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ م .
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ ، حققه وضبطه وشرحه ، أحمد عبد المجيد الغزّاليّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٤ م .

- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي ، تحقيق غريغور فاغنر و إيفالد شولر ، جمعية المستشرقين الإلمانية ، دار المدى ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- ديوان أبي نواس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- ديوان أبي نواس ، شرحه وضبطه وقدّم له عليّ العسيليّ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ .
- ديوان أبي نواس ، شرحه وضبطه وقدّم له الأستاذ عليّ فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ديوان أبي نواس ، شرح وتحقيق محمّد أنيس مُهرات ، دار مُهرات للعلوم ، سورية – حمص ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق د . محمّد محمّد حسين ، الطبعة النموذجية القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- ديوان جرير ، بشرح محمّد حبيب ، تحقيق نعمان محمّد أمين ، جامعة القاهرة ، دار المعارف ، ذخائر العرب ٤٣، ط ٣ ، المجلد الأوّل .
- ديوان ذي الرّمة ، غيلان بن عُقبة العدويّ ، عُني بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري هيسي مكارتني ، سنة ١٩١٩ م .
- ديوان قيس بن ذُريح (قيس ولبنى) ، اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

(ش)

- شرح إبن عقيل على ألفية ابن مالك ، تأليف محمّد محيّ الدين عبد الحميد ، ، الجزئين الأوّل والرابع ، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، ٢٠٠٤

- شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري ، وضعه وضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م

- شظايا لسانية ، أ . د. مجيد الماشطة ، دار السّياب ، لندن ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م
- شعر أبي نواس قراءة أسلوبية ، عبد الناصر حسن محمّد ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

(ص)

صحيح البُخاريّ ، لأبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزُبَهْ البُخاريّ الجُعفي ، الجزء الثاني ، مطابع الشعب ، باب الإستسقاء ، ١٣٧٨ هـ .

(ط)

- الطراز ، يحيى بن حمزة العلويّ ، مراجعة وضبط وتحقيق ، محمّد عبد السّلام شاهين ، دار العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ - .

(ع)

- علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة يويئيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلبي ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م .
- علم لغة النص النظرية التطبيق ، د. عزّة شبل محمّد ، تقديم سُليمان العطّار ، مكتبة الآداب ، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
- علم النص ، جوليا كرستيفا ، ترجمة فريد الزاهي ، مراجعة عبدالجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- علم النص مدخل متداخل الإختصاصات ، تون أ. فان دايك ، ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ م .
- عندما نتواصل نغير – مقاربة تّداوليّة معرفية لآليات التواصل والحجاج ، د. عبد السّلام عشيرة ، أفريقيا الشرق المغرب ، ٢٠٠٦ م .

- عيار الشّعر ، محمّد أحمد بن طباطبا العلويّ ، شرح وتحقيق عبّاس عبد الساتر ، مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .

(ف)

- في براجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة تداوليّة ومعجم سياقي ، د. عليّ محمود الصرّاف ، مكتبة الآداب ، ط ١ ، ١٤٣١هـ -٢٠١٢م .

(ق)

- القاموس الموسوعي للتّداوليّة ، جاك موشلار – آن ريبول ، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية ، بإشراف عز الدين المجدوب ، مراجعة خالد ميلاد ، ط ١ ، ٢٠١٠.
- قراءآت في الأدب والنقد ، دراسة د. شجاع مسام العانيّ ، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩ م .

(ل)

- لسان العرب المحيط ، للعلاّمة إبن منظور ، قدّم لع العلاّمة الشيخ عبد الله العلايلي ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ، نديم مرعشلي ، دار لسان العرب – بيروت ، المجلد الأوّل (أ- ر) ، المجلد الثاني (ز- ف) .
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- لسانيات الخطاب ، الإسلوبية والتلفظ والتّداوليّة ، صابر حباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية – اللاذقية ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .

- لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء ، أ . د. نعمان بوقرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٢ م .
- لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة – فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة ، د. عبد الفتّاح أحمد يوسف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت – لبنان ، منشورات الإختلاف الجزائر ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- لسانيات النص النظرية والتطبيق ، مقامات الهمداني إنموذجا ، ليندة قيّاس ، تقديم عبد الوهاب شعلان ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م .
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، د. أحمد المتوكل ، منشورات عكاظ ، الرباط ، ١٩٨٩م .
- اللغة والمعنى والسّياق ، جون لاينز ، ترجمة د. عبّاس صادق الوهاب ، مراجعة يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .

(م)

- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن إبراهيم الميدانيّ النيسابوري (- ٥١٨هـ) ، تحقيق محمّد محيّ الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
- مدخل الى التحليل اللساني في الخطاب الشعري ، د. نعمان بوقرة ، عالم الكتب الحديث ، أربد – الأُردن ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م .
- مدخل الى علم الدلالة ، فرانك بالمر ، ترجمة د. خالد محمود جمعة ، دار العروبة الكويت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
- مدخل الى علم النص ، مشكلات البناء ، زتسيسلاف واورزنياك ، ترجمة وعلّق عليه أ .د. سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط ٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م .
- مدخل الى اللسانيات التّداوليّة ، الجيلالي دلاش ، ترجمة محمّد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، الجزائر ، ١٩٩٢ م .
- معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، تونس – صفاقس .

- معجم مصطلحات أصول ، قطب مصطفى سانو ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- معرفة الآخر مدخل الى المناهج النقدية الحديثة ، عبدالله إبراهيم وآخرون ، المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
- المعنى خارج النص أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية – دمشق ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م .
- المفصل في تاريخ العرب ما قبل الإسلام ، د. جواد عليّ ، الجزء الثالث ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، مكتبة النهضة ، بغداد .
- المقاربة التّداوليّة ، فرانسواز أرمينكو ، ترجمة د. سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي .
- المنتخب في كنايات الأدباء وارشاد البلغاء ، القاضي أبو العبّاس أحمد بن محمّد الجرجاني (٤٨٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤ م .
- من النص الى الفعل ، بول ريكور ، ترجمة محمّد برادة وحسّان بورقية ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- الموسوعة التّداوليّة المختصرة ، التّداوليّة الأدبية ، جاكوب .جي . مي ، ترجمة د. أحمد عدنان حمدي .

(ن)

- نجعة الرائد وشرعة الوارد في المتوارد والمترادف ، إبراهيم اليازجي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م .
- نحو النص اطار نظري ودراسة تطبيقية ، عثمان أبو زنيد ، عالم الكتب الحديث ، ط ١ ، ١٤٣١ م – ٢٠١٠ م .
- النص والخطاب والإتصال ، د.محمّد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ .
- النص والسّياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتّداوليّ ، فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق ، المغرب – بيروت ، ٢٠٠٠ م .

- نظرية أفعال الكلام العامة ، أوستين ، ترجمة عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، ١٩٩٢ م نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، - بغداد ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م .
- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م .
- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلاميّ ، هشام إ. عبد الله الخليفة ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- نظرية القصد وأثرها في اظهار المعنى والإعجاز القرآني عند القاضي عبد الجبّار المعتزليّ ، ليلى عبّاس خميس ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، العراق – بغداد ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية ، د. منال " محمّد هشام " سعيد نجار ، تقديم أ.د . نهاد الموسى ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م .
- النقد النصي وتحليل الخطاب ، د. نبيل أيوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- نوادر أبي نواس ، إبن منظور ، تحقيق يوسف البقاعي ، مؤسسات الأعلميّ للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .

(و)

- الوظائف التّداوليّة في اللغة العربية ، د. أحمد المتوكل ، دار الثقافة ، ط١ ،١٩٨٥م.

*** الأطـاريــح والرسائل**

- التّداوليّة في الفكر النقدي ، كاظم جاسم منصور العزاوي ، اطروحة دكتوراه ،العراق ، جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية ، ٢٠١٢

- تداوليّة النص الشّعري جمهرة أشعار العرب نموذجا ، شيتر رحيمة ، اطروحة دكتوراه ، الجزائر ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية اللغات والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ٢٠٠٩ .

- القصد عند شُرّاح ديوان أبي تمام ونُقّاده ، فؤاد مطلب خلف ، رسالة ماجستير ، العراق ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .

- قضايا تداوليّة في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، تقبايث حامدة ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي ، ٢٠١٢ م .

- مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية ، نسيمة نابي ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ٢٠١١ م .

- الوظائف التّداوليّة في المسرح مسرحية " صاحب الجلالة " – نموذجا - ، ياسة ظريف ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ٢٠١٠ م .

*** البحوث**

- الإقتضاء في التّداول اللسانيّ ، عادل فاخوري ، مجلة عالم الفكر ، اكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ، مج ٢٠ ، ٣ ، ١٩٨٩ م .

- التّداوليّة آفاق وتحليل ، شيتر رحيمة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة محمّد خيضر ، - بسكرة ، الجزائر ، ع ٢ و ٣ ، ٢٠٠٨ م .

- التّداوليّة امتداد شرعي للسيميائية ، أ. عبد الحكيم سحالية ، المركز الجامعي – الطارف ، الملتقى الدوليّ الخامس " للسيمياء والنص " بحث على الإنترنيت .

- مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب ، طه عبد الرحمن ، مجلة كلية الآداب ، بني ملال ، ع ١ ، ١٩٩٤ م .

- المقام في البلاغة العربية دراسة تداوليّة ، د. شكري الطوانسيّ ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٤٢ ، ع ١ ، يوليو ، سبتمبر ، ٢٠١٣ م .

- النص بناؤه ووظائفه مقدمة أولية لعلم النص ، فان دايك ، ترجمة جورج أبي صالح ، مجلة العرب والفكر العالمي ، مركز الإنماء القومي ، ع ٥ ، شتاء ، ١٩٨٩ م .

- نظرية كرايس والبلاغة العربية ، أ. باديس لهويمل ، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمّد خيضر ، بسكرة ، الجزائر .